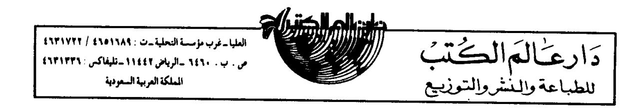
العلاقة بين العرب والفرس
وآثارها في الشعر الجاهلي

© دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

أبو شارب، مصطفى فتحي محمد
العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي - الرياض
٣١٢ صفحة ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك ٠ - ٤١ - ٧٧٥ - ٩٩٦٠
١ - الشعر العربي - تاريخ أ - العنوان
ديوي ١ ، ٨١١ ١٦/١٥٣١

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

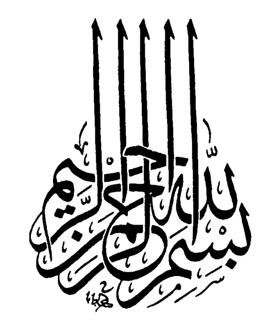
رقم الإيداع : ١٦/١٥٣١
ردمك : ٠ - ٤١ - ٧٧٥ - ٩٩٦٠



العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي

تأليف
الدكتور/ مصطفى فتحي أبو شارب
كلية الآداب - جامعة طنطا

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
الرياض



بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى.

صدق الله العظيم

من سورة طه، الآيات من ٢٥: ٢٨.

إهداء

إلى جيـل الأمس،
واليـــــوم،
والغـــد.

مقدمة

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام علـى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين.

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي والحصر.

وبعد:

فمما لاشك فيه أن حياة العرب في عصر مـا قبل الإسلام يكتنفها كثير من الغموض؛ وذلك لأن القدماء من المؤرخين الذيـن وصلت إلينا مدوناتهم لم يهتمـوا اهتمامًا كافيًا بدراسـة المناحي المتشـعبة لحياة عرب الجاهـلية، دراسة مفصـلة مستفيـضة، تتناول أجزاءهـا ودقائقها ولكـنهم عندما يـذكرون عرب الجاهلية يتحدثون عنهم حديثا قاصرًا يشوبه كثير من الخلط والاضطراب؛ لأنه لم يكن يقصد لذاته، لذلك نجده متباعدًا متناثرًا في ثنايا مؤلفاتهم، حتى إننا نجد التنافر والتناقض واضحين في الكتاب الواحد للمؤلف الواحد. كما نرى بعض الواهـمين المتسرعين الـذين لا يتوقفون ولا يـتثبتون يزعـمون أن عرب الجاهلية عاشوا بمعزل عن العالم الخـارجي، وأنهم لم يؤثروا فيه ولم يتأثروا به، ولم يختلطوا بغيرهم من الأمم المجاورة، وأن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا لم يصـور حياة العرب وعلاقتهم بغيرهـم من الأمم لامن قريب ولا من بعيد.

وسنري في هذا الـبحث ما يثبت بطلان هذه الـدعوى؛ لأن الحديث عن علاقة الـعرب بغيرهم مـن الأمم من الموضوعات التـي تطرقت إليهـا بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن العصر الجاهـلي، ولكننا نقف منها موقف

الحيرة في أكثر من موضع؛ لأنها ليست جميعها متساوية في الصدق وأكثرها يصف تلك الجاهلية بأنها قليلة الحظ من كل عمران ورقي، بعيدة كل البعد عن مظاهر الحضارة والمدنية؛ وذلك يرجع إلي نظرتهم إلي الشعر الجاهلي والقصيدة الجاهلية علي أنها قصيدة تقليدية لا يستطيع الشاعر الخروج عن المنهج الذي وضعه الشعراءمن وصف للأطلال وبكاء علي الديار ووصف الرحلة والناقة وحياة الصحراء وما فيها من حيوانات وحشية، ثم التطرق إلى الموضوع الذى نظم الشاعر من أجله قصيدته وغالباً ما يكون مدحاً أو هجاءً أو غزلاً أو رثاءً أو وصفاً ليوم من أيام العرب أو فخراً يفتخر به الشاعر بنفسه وقبيلته. ونظروا إلى تلك الحياة التى يصورها هذا الشعر على أنها حياة بدائية صحراوية، وأغفلوا هذه الفروق الاجتماعية بين طبقات المجتمع العربى قبل الإسلام وأغفلوا أيضا هذه الحضارة التليدة التى ورثها العرب عن أسلافهم، كالحضارة المعينية والسبئية والعادية والثمودية والنبطية والحميرية، وغيرها التى بدأت منذ شاء الله لها أن تبدأ، وانطفأ نورها قبيل الإسلام بزمن لا يعدو خمسين ومائة من السنين.

وفى هذا البحث نعرض لعلاقة العرب بالفرس مستمدين ذلك من المصادر التاريخية والشعر الجاهلى لتوضيح العلاقات المتبادلة بينهما، من علاقات سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية وحضارية ودينية، وكيف ظهر أثر هذه العلاقات فى الشعر الجاهلى، وهل صور الشعر الجاهلى هذه العلاقات أم عجز عنها؟ كل هذه التساؤلات يمكننا الإجابة عنها من خلال النتائج التى نصل إليها في هذا البحث؛ لأن الفن جانب حيوى من جوانب الحياة العامة وثيق الصلة بها، يؤثر فيها ويتأثر بها، والشعر أسمى أنواع هذه الفنون، ولا سيما الشعر الجاهلى عند العرب الذى قال فيه القدماء: "إنه ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون" (١).

(١) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى: شرح محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى - بالقاهرة - ١٩٧٤م "جـ ١ ص ٢٤.

لذا لا نكاد نتصور أن الشعر الجاهلى يـعبر عن شخصية أصحابه فقط دون أن يتأثر بالبيئة التى عاش فيها؛ لأن الشـخصية والبيئة لهما أثرهما فى نمو أى فن وتطوره، ومن هذا المنطلق تحدد المنهـج الذى نسير عليه فى هذه الدراسة فقام المنهج على أساسين:

أساس تاريخي وأساس فني. وفرض علينا هذا المنهج أن نقسم البحث إلى ثلاثة أبواب، استقل الباب الأول منها بدراسة الإطار التاريخي لعلاقة العرب بالفـرس، وجاء هذا البـاب جزءاً لا يتجـزأ من البحـث حيث عرضـت فى الفصل الأول مـنه لبيئة الحيـرة وعلاقتها بالـفرس فتحدثت عن مـوقع الحيرة ونشأتها وكيف هاجرت القبائل اليمنية بعد انهيار سد مأرب إلى أرض العراق واستقرت هناك وكونت إمارة الحيرة التى انـقسم سكانها من العرب إلى تنوخ والعباد والأحلاف، وملكهم مالك بن فهم أيام ملوك الطوائف، وتتابع ملوك الحيرة من آل نصر بعد هلاك جذيمـة الأبرش، وعرضت لأشهر هؤلاء الملوك الذين كانت لهم صلات وثيقة بملوك الدولـة الساسانية والذين تكونت لدينا صورة واضحة عن شخـصيتهم، فتحدثت عن امرئ الـقيس الأول بن عمرو ابن عدى، والنعمان الأول بن امرئ القيس، والمنذر الأول بن امرئ القيس، والمنذر بـن ماء السمـاء، وعمرو بن هـند، وقابوس بـن المنذر، والمنـذر بن المنذر، والنعمان بن المنذر آخر ملـوك آل لخم، وإياس بن قبيصة الطائى الذى تولى أمر الحيرة بعد هلاك النعمان، وقد راعيت فى حديثى عن هؤلاء الملوك وعلاقتهم بالفرس الترتيب الزمـنى وإبراز أهم الجوانب التي أثرت فى الحياة العامة فى أثناء مدة ملكهم، وقد أغفلت بعضهم؛ لأننى لم أجد لهم شخصية واضحة أثرت فى الحيـاة العربية من خلال اتصالهم بمـلوك الفرس، وبعد أن برزت لنا الصورة العامة لبيئة الحيرة الخـاضعة لحكم الساسانيين، كان علينا أن نتحدث عـن عرب اليمن وعلاقـتهم بالفرس، تـلك العلاقات التـى ظهرت

واضحة في العقد الأخير من القرن السادس الميلادى عندما استنجد سيف بن ذى يزن الحميرى بكسرى ليخلصه من حكم الأحباش وصارت اليمن منذ ذلك الحين ولاية فارسية تخضع لحكم ملوك الفرس وخاصة بعد مقتل ابن ذى يزن، واستمرت على هذه الحالة إلى أن تسلمها المسلمون من أيدى مرازبة كسرى.

وخلصنا من هذا الفصل إلى أن عرب الحيرة وملوكهم كانوا على اتصال وثيق بملوك الفرس وكذلك عرب اليمن، ولابد لمظاهر هذا الاتصال أن تظهر فى مختلف جوانب الحياة.

ثم مضينا إلى الفصل الثانى من الباب الأول الذى يشمل الإطار التاريخي لعلاقة العرب بالفرس لنتحدث عن علاقة القبائل العربية بالفرس، وفى هذا الموضع لم نتحدث عن جميع القبائل العربية، بل تحدثت عن مجموعة من القبائل رأيت اتصالهم بالفرس واضحاً سواء أكان هذا الاتصال اتصالا مباشراً مع الفرس أم عن طريق عمالهم فى الحيرة واليمن، وحاولت قدر استطاعتى أن أحدد المواقع الجغرافية لهذه القبائل حتى تكون الصورة واضحة تماماً أمامنا، فتحدثت عن قبيلة إياد والأماكن التى نزلت بها فى الجزيرة العربية وعلاقتها القديمة مع الفرس، وأشرت أيضاً إلى الحملة العسكرية الفارسية التى قام بها سابور ذو الأكتاف والتى كان هدفها إجلاء القبائل العربية من منازلها إلى منازل أخرى بعيدة عن حدود مملكته، وتحدثت أيضاً عن الغارات التى قامت بها قبيلة إياد على حدود مملكة الفرس وعن تلك الغارة التى أغارها أنوشروان على إياد للانتقام منهم وذكرت فى أثناء ذلك قصيدة لقيط بن يعمر الإيادى التى بعثها إلى قومه يحذرهم غزو كسرى. فعلاقة إياد بالفرس علاقة قديمة ولم تكن سلما خالصا فى كل الأحوال، ولم تستطع إياد أن تنسل من قبضة الفرس، فنراها تقف فى صفوف الفرس فى

يوم ذى قـار، ونراها أيضـا تحارب معـهم فى الـعراق فى أثنـاء الفتـوحات الإسلامية، ثـم تحدثت عن قبيـلة بكر بن وائل وموقـعها فى الجزيرة الـعربية وإجلاء سـابور لهم فـى حملـته التى قـام بها، واضـطراب العـلاقة بينـهم، وخضوعهـم لهم إلى أن كان يوم ذى قار فـنرى بكراً تقف فـى وجه الفرس لتتخلص وتخلص معظم القبائـل العربية من قيود الفرس والخضوع لهم، ثم تحدثت عن قبيلة طئ وهى من القبائل الـقوية التى حافظت على علاقتها مع الفرس، وظلت العـلاقة بينهما طيبة إلى أن انـهزم الفرس فى ذى قار، وأراد كسرى أن يبـطش بأناس منهـم بعدما فر إياس بن قـبيصة من ساحـة القتال، ولكنه لم يـتمكن لاضطراب أمر الفـرس بعد الهزيمة، وكانت تمـيم أيضا من القبائل العربية القوية وكانت لـها صلات بملوك الحيرة وملوك الفرس منذ أيام سابور وحملته العسكرية وظلت العلاقة مضطربة بينهما حتى كان يوم الصفقة وقتل بنى تميم بالمـشقَّر على يد المكعبر أحد عمال كسرى بـالبحرين. ولمكانة قبيلة تميم وبخـاصة بنو يربوع جعل الردافة فيهم، وهى درجـة اجتماعية هامة آنذاك، وتحدثت أيـضا عن قبيلـة تغلب وهى من القـبائل القوية الـتى شقت عصا الطاعة على ملوك الحيرة وجعلت خضوعها لهم خضوعاً اسمياً فقط مما جعل مـلوك الحيرة وملـوك الفرس يستـرضون سادات هذه القـبيلة بالـهبات والمال.

ومن القـبائل التى تحدثـنا عنها أيضـاً عبد القيس الـتى سكنت البـحرين وكانت عـلى اتصال بملوك الـفرس والمناذرة الذيـن امتد نفوذهم إلـى هناك. وخلصنـا من هذا الفصل إلـى أن العلاقة بين القبـائل العربية والـفرس كانت قديمة واستمـرت حتى ظهور الإسلام ولم تكن الـعلاقة بينهما سلـما خالصاً فأحيانا تضطرب حتى تقام بينهما الحروب كيوم الصفقة ويوم طخفة ويوم ذى قار، ومن هذه الـقبائل أيضاً مـا خضع للفرس خضـوعاً تاما حتى عـيرتهم

بذلك القبائل الأخرى، وبنهاية هذا الباب وبعدما ظهرت عوامل الاتصال واضحة جلية، مضينا إلى الباب الثانى لنحدد العلاقات المتبادلة بين العرب والفرس وآثارها فى الشعر الجاهلى، وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول جعلت الأول منها للحديث عن العلاقات السياسية، وحاولت أن أبرز هذا الجانب من العلاقات موثقاً الحديث، بما أجده من الشعر الجاهلى بالإضافة إلى الأدلة التاريخية، فتحدثت عن استخدام العرب للبريد ووسائلهم فى ذلك، ومدى معرفتهم به وأهميته بالنسبة لهم، ثم تحدثت عن قوتهم الحربية التى تمثلت فى إقامة الحصون التى اهتم بها الفرس اهتماما بالغاً وأخذها العرب منهم وتمثلت أيضاً فى طريقة إعداد الجيوش المنظمة والمدربة تدريبا عسكريا بالأساليب الفارسية، وتحدثت عن قوة ملوك الحيرة الحربية وما كان لهم من كتائب عسكرية يستخدمونها فى غزوهم. وذكرت منها الرهائن والصنائع والأشاهب ودوسر والوضائع، ثم تحدثت عن اهتمام العرب - الذين كانوا على اتصال بالفرس - بأدوات الحرب وأساليبها واستعانة الفرس بالرماة الماهرين من العرب، ومعرفة العرب لفنون الحرب الفارسية، وتحدثت أيضاً عن مشاركة جيش الحيرة للفرس فى حروبهم ضد الروم والغساسنة التى استمرت مدة طويلة. وتحدثت عن التنافس السياسى بين الحيرة وغسان الذى كان لمصلحة كل من الفرس والروم، والذى أسفر عن يوم عين أباغ الذى اختلف فيه المؤرخون، وحاولت التوفيق بين رواياتهم عن هذا اليوم الذى انتصر فيه الغساسنة على المناذرة، وتحدثت أيضا عن وقوف العرب إلى جانب الفرس فى كثير من الموقف الحربية، وتحدثت فى نهاية الفصل عن الأيام التي كانت بين العرب والفرس أنفسهم كيوم الصفقة الذى كان لكسرى على بنى تميم وأسباب ذلك اليوم، ثم تحدثت عن يوم ذى قار الذى انتصر فيه العرب على الفرس ولحقتهم هزيمة ساحقة اهتز سلطان الفرس بعدها واضطربت أحوالهم على إثر هذه الهزيمة.

وخلصنا من هذا الفصل إلى إبراز الجانب السياسى والعلاقات السياسية التى تبادلها عرب العراق والدولة الساسانية من خلال الأحداث التاريخية والشعر الجاهلى الذى صور لنا هذه العلاقات تصويراً واضحًا غنيًا.

وعرضت فى الفصل الثانى من هذا الباب إلي العلاقات الاقتصادية القائمة بين العرب الفرس، فتحدثت عن الزراعة وازدراء العرب لهذه الحرفة التى لم تحظ باهتمامهم أو عنايتهم ، ثم تحدثت عن الصناعة والأماكن التى اشتهرت فيها والصناعات التى اشتهر العرب بها، ولاسيما صناعة السفن، وعن أثر الفرس فى هذه الصناعات وتنشيطها وتحدثت عن التجارة والقوافل والطرق التجارية والأسواق والسلع المتبادلة واهتمام العرب بهذا الجانب من جوانب الحياة الاقتصادية، وأثر الفرس فى تنشيطه والعمل على ازدهاره واحتكارهم لطرق التجارة البرية والبحرية وخاصة فى العقد الأخير من القرن السادس الميلادى بعد استيلائهم على اليمن وسواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى إلى جانب دول الخليج العربى، وتحدثت عن أشهر أسواق العرب التى كانت منفذًا من المنافذ الهامة التى عبرت من خلالها المؤثرات الفارسية إلى العرب، وتحدثت عن العملات الفارسية التى استخدمها العرب، وجباية ملوك الفرس والحيرة للضرائب فى الأسواق والموانئ وتذمر بعض الناس من هذه الضرائب. وخلصنا من هذا الفصل إلى أن المؤثرات الفارسية فى العلاقات الاقتصادية كانت واضحة وخاصة فى مجال التجارة، فقد ساعدوا على ازدهارها ونشاطها لمساهمتهم فى هذا المجال.

وانتقلنا من تصوير الحياة الاقتصادية إلى الفصل الثالث لنتحدث عن العلاقات الاجتماعية بين العرب الفرس ونبين أثرها فى الشعر الجاهلى، فتحدثت عن طبقات المجتمع الجاهلى (البدو والحضر) والمنافذ التى عبرت من خلالها المؤثرات الفارسية كوفود بعض العرب إلى بلاد فارس، ونقل

العادات والتقاليد الفارسية إلى بـلاد العرب، ثم تحدثت عن الردافة بوصفها منزلة ودرجة اجتماعية هامة، وموقف بـنى يربوع من ملوك الحيرة بسبب هذه الدرجة الاجتماعية الذى أسفر عن يوم طخـفة وكان لبنى يربوع على النعمان ابن المنذر، ثم تحدثت عن الحجابة والسقاية بوصفها من الدرجات الاجتماعية الهامـة آنذاك، وتحدثت عن بنـاء الغريين ويومـى البؤس والنعيـم، وعرضت لخلط المـؤرخين في ذلك لـنؤكد أن ماذكـروه من قصص حـول بناء الغـريين ويومى البؤس والنعيم هو من هذا النوع الأسطورى ولا يصح الاعتماد عليه.

كما تحـدثت عن ازدهار الشعـر فى الحيرة واهتمـام ملوك الحيرة بالـشعر والشعراء وعلاقتهم بهم، وهجاء بعض الشعراء لهم أو مدحهم، وخلصنا من هذا الفـصل إلى أن الحيـاة الاجتماعـية ازدهرت في عـصر ما قبـل الإسلام ازدهاراً كبيراً ولاسيما فى المجتمعات الحضرية التى ظهر فيها التكتل والتجمع وبعدت الشقة بيـنها وبين البداوة. وقد صور لنا الشعر الجـاهلى هذه العلاقة الاجتماعية - التى برز دور الفرس وملوك الحـيرة فيها واضحا- تصويرا دقيقا ينم عن اتـصال الشعر بالحيـاة وبالبيئة وبشخـصية الشعراء. وجعـلت عنوان الباب الثـالث والأخير من هذا الـبحث: "أثر الثقـافة الفارسية فـى الشعر الجاهلى" وقصدت بذلك أن ألم شتات هـذه المؤثرات السابقة فى هذا الباب وقسمته أيضا إلى ثلاثة فصول: أفردت الفصل الأول منها للحديث عن التأثير الفـكرى فتـحدثت عن عـلوم العـرب ومعارفـهم، ومعرفـة بعض الـعرب المتحضرين للقـراءة والكتابة وإلمام الشعراء بالثقافات المختـلفة؛ لنبين أثر هذه الثقافات فى شعرهـم، فعرضت لقصيدة من اعتذار النابغـة، ونهجه الشعرى وأساليبه وصوره وألـفاظة ومعانيه، وعرضت أيضا لـشعر عدى بن زيد ورأى النقاد فيه موضـحاً الأسلوب الذى غلب على شعره والظواهـر الفنية الجديدة التى استحـدثها عدى وأمثاله من الشعـراء المثقفين الذين اتصلوا بـغيرهم من

الأمم، كذكرهم لأخبار الأمم الماضية لاستخلاص العبرة والموعظة، وقد غلب على شعر بعضهم الطابع الدينى التعليمى الذى يتضمن أحياناً معنى الزهد أو الحكمة أو الوصية، وعرضت للأعشى وبعض أشعاره، وما اكتسبه شعره بسبب تنقله وكثرة أسفاره واختلاطه بالأعاجم من رقة وسهولة وتحضر، واختلاف بعض موضوعات شعره عن بقية أشعار الجاهليين، وعرضت فى هذا الفصل أيضا لأثر الفرس فى خيال الشعراء، وأثرهم أيضا فى لغة الشعر وألفاظه وما دخل إلى العربية من ألفاظ فارسية، واستشهدت على ذلك بالعديد من الأمثلة التى وردت فى كتب المعربات والمعاجم.

وارتبط الفصل الثانى من هذا الباب ارتباطا وثيقا بالفصل الأول؛ لأننى تحدثت فيه عن التأثير الحضارى ومظاهر الترف والعظمة التى أخذها العرب عن الفرس، فتحدثت عن المبانى وكيف قلد عرب الحيرة الفرس فى مبانيهم وقصورهم وأديرتهم، ثم تحدثت عن مجالس الغناء والشرْاب والقيان التى انتشرت فى ذلك العصر فى القصور والحانات والشوارع والطرقات وارتادها كثير من الشعراء، يستمتعون فيها بأجمل أوقاتهم ويقضون فيها لياليهم، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الشعراء استطاعوا أن يصوروا لنا هذه المجالس تصويراً دقيقاً يصف كل جوانبها وما فيها من مظاهر النعمة والترف الفارسى، ووصفوا لنا كل ما يحدث فيها وصفا دقيقا من غناء المغنيات والمغنيين، وشرب للخمر وأدواته وأزهار ورياحين تنتشر حولهم وكأنهم كانوا يعيشون في عصر الرشيد، وغلب على أسلوب الشعراء فى وصف هذه المظاهر الحضارية الأسلوب الرقيق العذب الذى يشبه أساليب الشعراء العباسيين فى الرقة والعذوبة والتحضر، وتحدثت أيضا عن مظاهر النعمة والترف التى كانت تعيش فيها المرأة المتحضرة آنذاك، وما كانت تستخدمه من أدوات لزينتها وملابسها، وتحدثت أيضا عن بعض العادات الفارسية فى المأكل والمشرب

التـى أخذها العـرب عنهـم، وبعض المآكـل الفارسـية التـى أحبها الـعرب وفضلوها على غيرها، لتكتمل لنا المظاهر الحضارية التى عاشها العرب الذين اتصلوا بالـفرس وتأثروا بهم، وأعقبت هـذا الفصل بالفصل الـثالث وأفردته للـحديث عـن التأثـير الديـنى، ولم أشـأ أن أتحدث في هـذا الفصـل عن المعتقدات الدينية التى كانت سائدة فـى الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولكننى قصرت الحديث علـى ديانة الفرس وهى المجوسية، وفصـلت القول فى هذه الديـانة وحاولت أن أوضـح أثرها فى نـفوس العـرب، وخلصت مـن هذا الفصل إلى أن هذه الديانة عرفها بعض الـعرب وتأثروا ببعض معتقدات أهلها كتعظـيمهم للنـار وتقديسهم لـها، وتحدثت عن نيـران العرب الكثيـرة التى عرفوها واستخدموها ليس على سبيل العبادة الخالصة، بل على جهة التعظيم والاهتمام. ولم أحاول أن أسـرف على نفسى أو على الحقيـقة بإصدار حكم عام يجـزم بأن العرب تـأثروا تأثيرا حـقيقيـا بديانة المجـوس؛ لأن الأشعار الجاهلية التى اعتمدت عليها فى هذا البـحث لم تسعفنى بما يجعلنى أطمئن إلى إصدار مثل هذا الحكـم. وبنهاية هذا الفصل نكون قد وصـلنا إلى نهاية البحث؛ لنعرض لخاتمة تتضمن أهم النـتائج التى توصل إليها الباحث خلال بحثه.

والمصادر التى اعتمدت عليها فى هذه الدراسة تنقسم إلى مجموعتين:

مصادر تـاريخية، ومصادر أدبـية، وأهم المصادر التـاريخية التى اعـتمدت عليها: تاريخ الـطبرى وكامل ابن الأثير ومروج الذهب للـمسعودى وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهانى، وتاريخ اليعقوبى، وتاريخ أبى الفداء والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، وغيرها.

أما المـصادر الأدبية فـتنقسـم إلى مصادر أدبـية عامة تـصور حياة الـعرب الاجتمـاعية والعـقلية وعـاداتهم وتقالـيدهم وأهمـها: الأغاني لأبـى الفرج

الأصفهانى، ونهاية الأرب للنويرى، والحيوان للجاحظ وبلوغ الأرب للألوسى والمحبر لابن حبيب، ومصادر أدبيه خاصة كدواوين الشعراء والمجموعات الشعرية كشروح المعلقات وجمهرة أشعار العرب للقرشي والمفضليات والأصمعيات وحماسة البحترى، وحماسة ابن الشجرى ومختاراته وآماليه وحماسة الخالديين والحماسة البصرية وغيرهم الكثير من المصادر والمراجع التى تتحدث عن حياة العرب فى عصر ما قبل الإسلام.

ولست أدعى لهذه الدراسة أنها استيعاب أو استقصاء لحياة العرب وعلاقتهم بغيرهم من الأمم فى عصر ما قبل الإسلام فإنها لا تتجاوز وضع لبنة فى صرح ضخم. فما زال كثير من الموضوعات الخاصة بصلات العرب بغيرهم من الأمم جديرًا بأن يفرد ببحث مستقل يستوعب هذه الصلات ويوضح أثرها فى حياة العرب، ويكشف عن معالم جديدة تغير بعض مارسخ فى الأذهان من أن العرب كانوا يعيشون بمعزل عن غيرهم من الأمم كالفرس والروم والحبش والهنود وغيرهم.

وآمل أن تكون هذه الدراسة خطوة فى هذا الطريق الوعر الذى أنضى فيه كثير من الباحثين رواحلهم ليقشعوا عن تاريخ العرب وماضيهم تلك الغشاوة التى حجبتها عنا الأوهام وإطلاق الأحكام المتسرعة وتعميمها .

وبعد :

فقد وجب علىَّ فى نهاية هذه المقدمة أن أعترف بفضل أساتذتى الذين عاونونى فى إتمام هذا البحث وإنجازه، فأتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى هدّارة الذى غمرنى بعطفه ورعايته وعلمه الغزير منذ بداية دراستى بجامعة الأسكندرية، وله فضل توجيهى إلى هذه الدراسة والإشراف عليها.

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى الأستاذ الدكتور/ طه السيد ندا، مدير معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة الأسكندرية؛ لمتابعته هذا البحث بعناية الأب الحريص على رعاية أبنائه وتوجيهاته القيمة التى ساعدتنى فى إنجاز هذا البحث، كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى القائمين على المكتبات العامة والخاصة والإخوة الزملاء وكل الذين قدموا لى يد العون فى سبيل إتمام هذا البحث وإنجازه.

وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى هذا البحث إلى ما قصدت إليه بفضل من الله ونعمة، وعلى الله قصد السبيل.

مصطفى فتحى أبو شارب
فى ربيع الثانى ١٤٠٨ هـ.
ديسمبر ١٩٨٧ م.

الباب الأول

الإطار التاريخى لعلاقة العَرب بالفرس

الفصل الأول

عرب الحيرة واليمن وعلاقتهم بالفرس

الفصل الثانى

علاقة القبائل العربية بالفرس

الفصل الأول

عرب الحيرة واليمن

وعلاقتهم بالفرس

"الفصل الأول"

عرب الحيرة واليمن وعلاقتهم بالفرس

أولا: عرب الحيرة وعلاقتهم بالفرس.

تميزت بادية العراق بخصوبة تربتها وصحة هوائها وغزارة مياهها، وكثرة خيراتها [١]؛ لذا كانت ملاذاً لهجرات العرب المقيمين بأطراف شبه الجزيرة العربية وخاصة عرب اليمن منذ أقدم الأزمان، وكانت هذه الهجرات تزداد فى الأوقات التي تضطرب فيها الحكومات الشمالية وتظهر حالة من عدم الاستقرار فى الجنوب.

ففى أوائل القرن الثالث الميلادى وإثر انهيار سد مأرب، وانتشار الجفاف في العربية الجنوبية شهدت أرض السواد [٢] (منطقة ريف العراق الخصيب) طلائع متعددة من هجرات قبائل تنوخ اليمنية الأصل، التى اتخذت لها مساكن فى المنطقة الخصبة الواقعة إلى الغرب من الفرات، وكان ذلك قبل انهيار الدولة البارثية [٣] وبداية ظهور الدولة الساسانية على مسرح التاريخ بقيادة (أردشير بن بابك) عام ستة وعشرين ومائتين بعد الميلاد [٤].

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الرابعة - دار السعادة - بمصر ١٩٦٤ جـ٢، صـ٦٣ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لابن البشارى المعروف بالمقدسى - الطبعة الثانية بمطبعة بريل - ليدن ١٩٠٩ - وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد صـ ٣٢ وما يليها.

(٢) سمى العراق سوادا بلون السعف الذى فى النخل ومائه (الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون الطبعة ٢ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر سنة ١٩٦٥ جـ٣ صـ ٢٤٦.

(٣) الدولة البارثية: هى الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأوائل، ويطلق عليهم الأشغانية وهم ملوك الطوائف. (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهانى - طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦١ - عن طبعة كاويانى فى برلين التى حققها المستشرق جوتوالد فى ليسبك صـ ١٣ وما بعدها)..

(٤) موسوعة تاريخ العالم تأليف وليم لانجر - الترجمة العربية - مكتبة النهضة المصرية جـ١ صـ ٣٤١ ، تاريخ العرب (مطول) لفليب حتى وآخرين الطبعة الثالثة - دار الكشاف بيرت ١٩٥٨ جـ١ صـ ١٠٧.

Aliterary History of Arabs, By Reynold Nickolson; London, 1914, P, 38.

وقد ذكر الأخباريون تفاصيل الهجرة التنوخية فى روايات أشبه بالقصص الذى تختلط فيه الحقيقة بالخيال، وغلب عليه الطابع الخرافى مما جعله يضطرب، ويتناقض فى كثير من الأحيان [١]. والذى يعنينا من هذه الروايات، هو البحث عن أمر العرب الذين استوطنوا أرض العراق واتخذوا الحيرة منزلا لهم مع بداية الدولة الساسانية [٢].

ويقسم الأخباريون عرب الحيرة إلى طبقات ثلاث:

تنوخ[٣] : وهم أعراب الحيرة، لا حضرها، وأهل مدرها، وكانوا يعيشون فى أطرافها وحولها، فى بيوت الشعر والمظال [٤] والأخبية، وهم من القبائل الأزدية اللخمية التى هاجرت من الجنوب وكان على رأسهم مالك بن فهم ، ثم أخوه عمرو بن فهم، إلى أن ملك عليهم جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدى الملقب بالأبرش [٥].

---

(١) راجع تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الرابعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٩م جـ١ صـ٥٥ وما بعدها ، الكامل فى التاريخ لابن الاثير تصوير دار صادر بيروت ١٩٦٥ عن نسخة الطبعة الأوربية التى أشرف عليها المستشرق كارلوس يوهنس تورنبرغ ١٩٦٧ جـ١ صـ٣٤٠ وما يليها.

(٢) حددنا هذه الفترة لأن تاريخها كان مدونا لدى الفرس، وإن كانت الحيرة قد أسست قبل ذلك فقد ورد اسم (حيرتا) فى نص يرجع إلى سنة ١٣٢م (المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على ج٣ ص ١٥٧ الطبعة الثانية والثالثة دار العلم للملايين بيروت - مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٦م وما بعدها)..

(٣) تنوخ: بفتح التاء وضم النون ثم خاء معجمه، والتتنخ: المقام (نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب لأبى العباس أحمد القلقشندى - تحقيق إبراهيم الإبيارى - الطبعة الثانية - دار الكتاب المصرى ١٩٨٠م صـ١٨٩.

(٤) جواد على : ج ٣ صـ ١٦٩.

(٥) لقبته العرب بالأبرش أو الوضاح؛ لأنه كان أبرص، فكنت العرب عنه وهابت أن تسميه وتنسب إليه إعظاما له (الطبرى جـ ١ ص ٦١٣ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق محمد مرسى الخولى طبعة دار الاعتصام القاهرة - بيروت - ١٩٧٢ م صـ ٧٣.

العبادُ: وهم نصارى العرب من أهل الحيرة [1] يتألفون من قبائل شتى جمعت بينهم وحدة الدين والموطن.

الأحلاف: وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، وتحالفوا معهم، ونزلوا فيها، ولم ينتسبوا فى الأصل إلى تنوخ أو إلى العباد الذين دانوا لأردشير [2]، وقد تألفت إمارة الحيرة من هؤلاء السكان وأصبحت إمارة عربية، لها حاكم يقوم على أمرها، يحافظ على الأمن فى الداخل وحماية الحدود من مهاجمة الأعداء، وصد الغزوات، وتشييد المبانى وإنشاء الطرق، وتحقيق العدل والمساواة، ومعاقبة الخارجين والجناة، إلى غير ذلك من الواجبات التى تنشأ من أجلها الحكومات.

ملوك العرب وعلاقتهم بالفرس:

يكاد يجمع الأخباريون على أن أول من ملك العرب من تنوخ هو مالك ابن فهم بن غانم بن دوس بن الأزد بن عدنان، وكان أيام ملوك الطوائف، وكان منزله مما يلى الأنبار [3] ثم مات وملك أخوه عمرو بن فهم وبعد هلاكه ملك جزيمة الأبرش، وقد ذكر الأخباريون روايات كثيرة حول هذا الملك.

---

(١) تاريخ الأدب العربى تأليف كارل بروكلمان - الترجمة العربية ج١ ص ١٢٤ ط ٤ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩ Nickolsn, P,39 وقيل إنهم بطن من جزيلة من لخم (العقد الفريد لابن عبد ربه شرح وضبط أحمد أمين وآخرين ج٣ صـ ٤٠١. ط ٣ لجنة التأليف القاهرة ١٩٦٥م).

(٢) الطبرى: ج٢ ص ٤٣، حمزة ص ٨٦، معجم البلدان لياقوت الحموى ج٢ ص ٣٣١ط دار صادر بيروت جواد على ج ٣ص١٧١.

(٣) المسعودى: ج٢ ص٩٠- الطبرى: ج١ ص ٦١٢، ابن الأثير ج٢ صـ٣٤١ - حمزة ٨٤ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ج ١٥ صـ ٣١ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، تاريخ أبى الفدا المختصر فى أخبار البشر ج١، ص ٦٩ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية بمصر، تاريخ اليعقوبى ج١ ص٢٣٦ طبعة ليدن - مطبعة بريل سنة ١٩٦٩م، العمدة لابن رشيق القيروانى ج٢ صـ٢٢٩ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الرابعة ـ دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٢م.

ونستطيع أن نخلص من تلك الروايات التاريخية الأسطورية التى نسجها خيال الرواة ودبجتها أقلام المؤرخين حول جذيمة ومملكته أنه كان ملكاً للعرب اتسعت رقعة مملكته، وله غزوات كثيرة على القبائل العربية، وكان ثاقب الرأى حازما، تجبى إليه الأموال وتفد عليه الوفود (١).

وقد ذهب أحد الباحثين (٢) إلى أن جذيمة كان نائبا عن الملك الفارسى (أردشير) على العرب. وأغلب الظن أنه عاصر ملوك الطوائف وكان لا يدين لهم وذلك قبل حكم (أردشير)؛ لأن عمرو بن عدى الذى ملك أمر العرب بعد جذيمة عاصر ملوك الطوائف فترة غير قصيرة وعاصر أيضاً (أردشير) فى مدة ملكه كلها ولحق (سابور بن أردشير) فى سنواته الأخيرة.

ويبدو أن جذيمة هذا كان له نديمان لا يفارقهما أبدا، وضرب بهما المثل وورد ذلك فى أشعار العرب، يقول أبو خراش الهذلى (٣) :

لَعَمْرِى لَقَدْ رَاعَتْ أُمَيْمَةَ طَلْعَتِى وإنَّ ثَوائِى عِنْدَهَا لَقَلِيْلُ (٤)
تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لاهِياً وذلك رُزْءٌ لو عَلِمت جَلِيلُ (٥)
وَلا تَحْسَبِى أنِّى تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكنَّ صَبْرِى يا أُمَيْمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمِى أنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيْلا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيْلُ (٦)

---

(١) الطبرى: ج٢، ص ٦١٣، ابن الأثير: ج١، ص٣٤٢. أبى الفدا: ج١ ص٦٩، حمزة: ص ٨٤. ياقوت: ج٢، ص ٣٣٠.
(٢) علاقة أمراء الحيرة بعرب شبه الجزيرة :د. أحمد النجار ص ٢٦ طبعة دار النهضة العربية سنة ١٩٧٩م.
(٣) ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٤٨ ج٢ ص ١١٦.
(٤) ثوائى: مكثى. والثواء: المقام ، يقول راعتها رؤيتى.
(٥) لاهيا: لاعبا، من اللهو، جليل: عظيم.
(٦) مالك وعقيل: هما نديما جذيمة الأبرش، وضرب بهما المثل (لطائف المعارف للثعالبى - طبعة دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى بمصر سنة ١٩٦٠- ص١٠).

وقال متم بن نويرة اليربوعى (١):

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَـــا كَأَنِّى وَمَالِكـــاً ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
وكُنَّا كَنَدْمَانَى جَذِيمَـــةَ حِقْبَـــةً ... مِن الـدَّهْرِ حَتَّى قِيـلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

وكان هلاك جذيمـة الأبرش على يد (الزبـاء) ملكة تدمر الـتى أراد الزواج منها وأرادت هى الانتقام منه لمقتل أبيـها عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينه ابن السميدع وهو من العماليق، فدبرت له مكيدة أودت بحياته (٢).

عمرو بن عدى اللخمى.

وملك بعد جذيمة عمرو بن عدى بن مضر بن ربيعة بن لخم (٣)، وهو ابن أخت جذيمـة ويعد المؤسس الحـقيقى لدولـة اللخميـين بالحيرة، وانتـقم من (الزبـاء) لمقتـل خاله فـى قصة يـرويها الأخـباريون، وكـان لا يدين لمـلوك الطوائف(٤) إلى أن جاء (أردشـير بن بابـك) واستجمـع ملك فارس وبـاتت الحيرة إمـارة تابعة لـلدولة الساسـانية فى الـنصف الثانـى من القرن الـثالث الميلادى.

وأغلب الظن أن عــمرو بن عدى عاصر (أردشير) مدة حكـمه لفارس وما حولها كما خضع لابنه (سابور بن أردشير) فقد قيل إن مدة ملكه قاربت المائة

(١) المفضليات: تحقيق: شاكر وهارون الطبعة الثالثة بدار المعارف. المفضلية ٦٧. صـ ٢٦٧.
(٢) الطـبرى: ج١ ص ٦١٨ وما بعـدها. ابن الأثـير: ج ١ ص ٣٤٥ وما بـعدها. المسـعودى ج ٢ ص ٩٥، النويرى ج ١٥ ص ٣١٦. حمزة ص ٨٤ - ٨٥. العصا: لأسامة بن منقذ تحقيق حسن عباس - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالأسكندرية صـ ٢٤٥ وما بـعدها، أمثال العرب: للمفضل الضبى الطبعة الأولى - مطـبعة التـقدم بمصر ١٩٠٩ ص ٨١ ومـا بعدهـا. أسماء المغـتالين: لابـن حبيب الجـزء الثانى مـن نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون الطبعة الأولى - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤م ص ١١٢.
(٣) جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسى صـ ٤٢٢ - ٤٢٣ تحـقيق عبد السلام هارون الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر.
(٤) الطبرى: ج١، ص ٦٢٢ وما بعدها. اليعقوبى: ج١ صـ٧ ٢٣، المسعودى ج٢، ص ٩٥.

أو تزيد (١)، وتتابعت بعد ذلك ملوك الحيرة من آل نصر اللخميين الذين يطلق عليهم النعامنة أو المناذرة وكان عددهم - على حد قول المؤرخين - عشرين ملكا إلى أن فتح الحيرة خالد بن الوليد ونحن فى هذا الصدد لا نسرد الأحداث التاريخية لهؤلاء الملوك بل نقتصر على ذكر الملوك الذين كانت لهم أهمية تاريخية نستبين من خلالها علاقتهم بالفرس.

امرؤ القيس الأول بن عمرو بن عدى (٢٨٨ - ٣٢٨ م).

وهو الذى تولى أمر الحيرة بعد أبيه ويعد أول ملك لدينا صورة واضحة عن شخصيته فكان من عمال (سابور بن أردشير)، (وهرمز بن سابور) و(بهرام بن هرمز بن سابور) على بلاد العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر (٢)، وامتد ملكه إلى زمن (سابور ذى الأكتاف) (٣) ويعرف بامرئ القيس البدء ويدعى أيضاً (مُحرّقا) (٤).

ويبدو من نقش النمارة الذى عثر عليه المستشرق الفرنسى (دوسو) أنه كان ملكا متوجاً قام بغزوات عديدة وسيطر على معظم القبائل العربية مثل أسد ونزار، وهزم مذحجًا ومعدًا واستعمل بنيه على القبائل وكانت له علاقات بالفرس والروم واعترفوا به ملكا للعرب كلهم (٥).

---

(١) ابن الأثير ج١ ص ٣٥١، حمزة ص ٨٦، المسعودى ج٢، صـ ٩٨.

(٢) الطبرى: ج٣، ص ٥٣، المحبّر لابن حبيب: ٣٥٨ - المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت.

(٣) حمزة: ص ٨٦ - ٨٧. تاريخ أبى الفدا: ج١ ص ٧٠ (وسمى سابور بذى الأكتاف؛ لأنه غزا العرب فى أرضهم وخلع أكتافهم وهو الذى ملك وعقد له التاج وهو فى بطن أمه)، لطائف المعارف: للثعالبى صـ ١٣٠.

(٤) المسعودى: ج٢، ص ٩٨، المعارف: لابن قتيبة صـ ٦٤٦ - ٦٤٧. تحقيق د/ ثروت عكاشة - الطبعة الرابعة - دار المعارف ١٩٨١م.

(٥) Les Arabes En Syrie - A Monsieur (Dussaud Rene).Paris-Ernest lerowx, Editeur, PP,34,35.

وقد لاحظ الأستاذ (كليرمون جانو) (Clermont Ganneau)

أن ظهور كلمة التاج فى نص النمارة - وهى كلمة معروفة عند الفرس - يدل على مظهر من مظاهر السلطان العربى الذى تأسس تحت الرعاية الفارسية [١] ، وهذا يدل على أن امرأ القيس كان ملكا على العرب من قبل الفرس، وكان من ذرية امرئ القيس بن عمرو بن عدى النعمان الأول بن امرئ القيس الثانى بن عمرو بن امرئ القيس الأول بن عمرو بن عدى.

النعمان الأول بن امرئ القيس (٤٠٠-٤١٨م).

وهو الذى استخلفه (يزد جرد الأثيم) على الحيرة، وهو الملقب بالأعور نحو (٤٠٠ - ٤١٨م) [٢] ويلقب أيضا بالسائح. وذكر المؤرخون أنه صاحب الخورنق، وقيل إنه فارس حليمة [٣] ، وهو قول مردود؛ لأن يوم حليمة كان فى عهد (المنذر بن ماء السماء) [٤]. وقد نال النعمان هذا من الشهرة ما لم ينله أحد من ملوك الحيرة، ويبدو أنه كان جديراً بهذه الشهرة فقد كان ضابطاً لملكه، كثير الأموال والأتباع، وكان أشد العرب نكاية بالأعداء، وتوسع فى غزواته فغزا الشام، وأكثر فى أهلها المصائب وسبى وغنم منهم الكثير [٥]، وتوطدت العلاقات السياسية بينه وبين الفرس، فقد كان له كتيبة عسكرية فارسية تدعى (الشهباء) وكتيبة أخرى تدعى (الوضائع) كان يغزو بهما مع بقية جيشه من لا يدين له من العرب، كما سنرى بعد ذلك[٦].

---

(١) Dussaud,PP 34,35.

(٢) فيليب: ج ١، صـ ١٠٩،

(٣) الطبرى: س ج٢ ص ٦٥، المحبر: صـ ٣٥٨.

(٤) النابغة الذبيانى: د/ محمد زكى العشماوى. ص ٣١ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

(٥) حمزة: ص ٨٨ - الطبرى: ج٢، ص ٦٧، الأمالى الشجرية: لابن الشجرى ج١، ص١٠١ وما بعدها. الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ١٣٤٩ هـ.

(٦) سنتحدث عن هذه القوة العسكرية فى فصل العلاقات السياسية من الباب الثانى.

أما الخورنق فهو تعريب خورنكاه وهـو الموضع الذى يؤكل فيه ويشرب، ويقع على بعد ثلاثة أميال من الحيرة [١].

وقد اختلط أمره على أحد المؤرخين فـذكر أن بانيه هو النعمان [٢] ثم نسبه فى موضع آخر للمنذر بن النعمان [٣] وأغلب الظن أن صـاحب الخورنق هو النعمـان بن امرئ القيس، ويمكـننا التوفيق بـين هذا الخلط حتى نطـمئن إلى صحة هذه النسبة. فـقد أمر يزد جرد الأثيم (٣٩٠ - ٤٢٠م) [٤] النعمان بن امرئ القيس ببنائه بظاهر الحيرة ليكن منزلاً لابنه بهرام جور [٥]، وقد استغرق بناؤه على يد سنمار الرومى ما يقرب من عشرين عاما، وهى فترة غير قصيرة تكاد تنتهى بنهايتها مدة ملك النـعمان، فلما مات وذلك فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة خلفه ابنه المنذر، -وما زال يزد جرد على عرش الفرس- وقام مقام أبيه برعـاية بهرام جور وبهذا يـكون قد اشترك النـعمان وابنه المنذر فـى تربية بهرام ورعايته.

ويقـترن اسم الخـورنق فى الـروايات العـربيـة والأشعار بـقصر آخـر هو (السدير) وهو تعريب (سه دير) أى قبة فى ثلاث قباب متداخلة وقيل إن الذى بناه هو النعمان بن امرئ القيس أيضا وكان يقع فى وسط الصحراء بين الحيرة والشام[٦]، ومما يـؤكد هذا القـول ما قالـه عدي بن زيـد العبادى وهـو من شعراء الحيرة حـين يذكر قصة تزهـد النعمان وسـياحته فى الأرض لصـاحبه

---

(١) النويرى ج١ ص ٣٨٦، دراسات فى الشعـر العربى د/ محمد مصطفى هدّارة طبعـة دار المعرفة الجامعية - الأسكندرية سنة ١٩٨٢. جـ٢ صـ١٠

(٢) الطبرى: ج٢ ص ٦٥. (٣) المصدر نفسه : ج٢، صـ٦٨ صـ ٦٩.

(٤) (4) Aliterary History of Persia, Browne, London and Leipsic, 1909- I, P, 135.

(٥) بهرام: كلمة فارسية معـناها: المريخ، وهو علم أيضا عندهم لليوم وللرجل ومـنه بهرمان وهو ياقوت أحمر (شفاء الغليل: للخفاجى ص ٣٩) ط ١ بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٢٥م.

(٦) النويـرى (نهاية الأرب) ج١ ص ٣٨٦ تـاريخ أبى الفدا: ج١ صـ٧٠ فليـب ج١ ص ١١٠ - دراسات فى الشعر العربى د/ هدّارة ج٢ صـ١٠.

النعمان بن المنذر (أبى قابوس) على سبيل العظة والتذكير، يقول [١]:

وتَأَمّل ربَّ الخَوَرْنَقِ إذْ أَشْـ ـــرف يوماً وللـهُدى تَفكيرُ
سَرَّه حالُهُ وكثرة ما يَمْـ ـــلكُ والبَحرُ مُعرِضاً والسَّديرُ
فارْعَوى قَلْبُه وقال: وما غِبْـ ـــطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يَصيرُ

وقد روى المؤرخون أساطير كثيرة حول تزهد النعمان ولبسه المسوح وتركه الملك لا يصح الاعتماد عليها فى هذا الموضع.

المنذر الأول بن امرئ القيس (٤١٨ - ٤٦٢م).

ثم آل ملك الحيرة بعد هلاك النعمان إلى ابنه المنذر الأول بن النعمان وقد ازدهرت الحيرة فى أيامه، وتهيأت له أسباب القوة والمنعة وكان على قدر عظيم من الحنكة السياسية والدراية بأمور المملكة، وتعهد رعاية بهرام جور كما ذكرنا، وتمكن بقوته العسكرية أن يعيد له ملكه بعد أن أجمع حكماء الفرس على تنحيته بسبب سوء سيرة أبيه ونشأته فى أرض العرب [٢].

وخرج المنذر بمصاحبة ملك الفرس سنة إحدى وعشرين وأربعمائة لقتال البيزنطيين [٣]، واتصل ملك آل نصر بالحيرة إلى أن تولى المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء[٤].

(١) ديوان عدى بن زيد - نشر محمد جبار المعيبد - ص ٨٩ - بغداد ١٩٦٥ - حمزة: ص ٨٩ (وتدبر). الطبرى : ج٢ ص ٦٨ (وتفكر). شعراء النصرانية: لويس شيخو ص ٤٤٣ مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٨٩٠م - ياقوت ج ٢ صـ ٤٠٢.

(٢) الطبرى ج٢ ص ٧١ وما بعدها، ابن الأثير جـ١ . صـ٤٠٢

(٣) فليب ج١ ص٥ ١١ ،د النجار ص ٣٣، تاريخ العرب العام ل.أ.سيديو ص ٣٨ ترجمة عادل زعيتر ـ الطبعة الثانية - عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٩م.

(٤) ماء السماء: لقب لأم المنذر بن امرئ القيس بن عمر بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى، وهى مارية بنت عوف بن جشم من النمر بن قاسط، وسميت بذلك لجمالها وقيل لولدها بنو ماء السماء، وهم ملوك العراق. (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى، ج٤، ص٣٦٦ بتحقيق عبدالسلام هارون ـ دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧م. جمهرة أشعار العرب للقرشى، تحقيق على محمد البجاوى ـ الطبعة الأولى ـ دار نهضة مصر، جـ١، ص٦٦ ـ الحيوان للجاحظ ج٥ ص١٤١.

المنذر بن ماء السماء:

ويلقب بذى القرنين[1]، وتولى إمارة الحيرة فى النصف الأول من القرن السادس حوالى (٥٠٥ ـ ٥٥٤م).

وكان عهده أسطع عهود اللخميين بالرغم من الأعباء الكثيرة التى حملها على عاتقه فى فترة ملكه، فقد تسنم عرش الحيرة وقباذ بن فيروز على رأس الفرس وهو الذى شجع مزدك على مذهبه وانتشرت الزندقة فى أيامه، ورفض المنذر اعتناق هذا المذهب فنحاه عن إمارته للحيرة، وجعل مكانه الحارث الكندى[2]. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن ملوك الحيرة كانوا عمالاً عليها من قبل الفرس.

ولدينا سبب آخر ربما كان هو الأصل فى تنحية المنذر عن ولاية الحيرة وهو أن قباذ كان قد عقد صلحاً فى عام (٥٠٦م) مع الروم بعد الحرب التى استمرت من (٥٠٢ ـ ٥٠٦م) غير أن هذا الصلح لم يدم طويلاً، ففى سنة (٥١٨م) تجدد الخلاف بين الفريقين وذلك على إثر مطالبة قباذ القيصر (جستينوس) (justinus) الأول بدفع الإتاوة التى اتفق فى صلح (٥٠٦م) على دفعها للفرس ومن ثم حرض قباذ ملك الفرس المنذر بن ماء السماء على التحرش بحدود الروم، وقد قام المنذر بغزوها فى سنة (٥١٩م).

واستمرت المناوشات بين المنذر والروم فى الوقت الذى ضعفت فيه مملكة الفرس بسبب ما انتشر فيها من فساد أيام قباذ، لذلكُ خشى ملك الفرس هذا الرجل الشجاع الذى يغزو الشام والروم بين الحين والآخر وخشى أيضا

---

(١) النقائض: لأبى عبيدة معمر بن المثنى ج٢ ص١٠١٨ باعتناء المستشرق بيفان طبع فى مدينة ليدن ـ بمطبعة بريل سنة ١٩٠٧م.

(٢) حمزة: ص٩١، تاريخ أبى الفدا: ج١، صـ٧٢.

اتساع نفوذه نحو فارس فأمر بتنحيته عن الحيرة[١] وخرج الملك من آل نصر إلى كندة، ولم تطل مدة حكمهم للحيرة أكثر من ثلاث سنوات أو تزيد شهورا عاد بعدها المنذر إلى ملكه بعد أن ملك كسرى أنوشروان الذى تمكن من إعادة المنذر ملكا على عرب الحيرة، واستطاع القضاء على مزدك وأتباعه الذين انتشروا فى أرجاء المملكة[٢]. وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو الكندى، فبلغه ذلك وكان بالأنبار ففر هاربا بماله وعياله، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء، فلحق بأرض كلب، فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار[٣] فقدموا بهم على المنذر فمثل بهم أشنع تمثيل وكان ذلك فى ديار بنى مرينا العباديين بين دير بنى هند والكوفة[٤] ،وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبى مفتخرا بقبيلته[٥]:

فـآبُوا بـالـنِّهـابِ وبـالـسَّبـايـا　　　وأُبْنـا بـالمُلُوكِ مُصَفَّدينـا[٦]

ويرثيهم امرؤ القيس بن حُجْر الكندى بقوله:[٧]

---

(١) جواد على: ج٣، ص٢١٩ وما بعدها ، وليم لانجر: ج١، ص٣٤٦.

(٢) الطبرى: ج٢، ص١٠١ وما بعدها، ابن الأثير: ج١ ص٤٣٤ ص ٤٣٥، Browne, I,p,I35

(٣) هم بطن من كندة من القحطانية وآكل المرار هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية (القلقشندى ص ٤٣) والمرار: نبت حار يتقلص منه مشفر البعير إذا أكله (المعمرون والوصايا للسجستانى ص٣٤ تحقيق عبدالمنعم عامر طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦١م).

(٤) ابن الأثير: جـ١، صـ٤٣٥.

(٥) شرح القصائد السبع الطوال: للأنبارى تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٨٠ صـ٤١٢ ـ شرح المعلقات السبع للزورنى صـ١٣٦، طبعة دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٩٦٧م.

(٦) النهاب: الغنائم وما ينتهب (لسان العرب لابن منظور ج٦ صـ٤٥٥٣ نهب) ـ والصفاد والصفد: الغل، وجمع الصفد أصفاد أى: أغلال وقيود (اللسان ج٤ صـ٢٤٥٧. صفد)

(٧) ديوان امرىء القيس صـ٢٠٠ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

ألا يا عـــيْنُ بَكِّى لـى شنينـا وبَكِّى لى المـلوكَ الذاهـبـينَا[1]
ملوكـاً من بـنى حُجْر بن عـمـرو يُسـاقـون الـعـشـيَّة يُقْتَلُونَا
فلـوْ فى يوم مَعْرَكَة أصـيـبُوا ولـكـنْ فـى ديـار بَنـى مَريـنـا
فلم تُغْسَلْ جـمـاجـمُهُم بِغسْل ولـكنْ بـالـدِّمـاء مُرَمَّلِينـا
تَظَلُّ الطيـرُ عـاكـفـةً عَلَيـهمْ وتَنْتَزِعُ الحَواجبَ والـعُيـونا[2]

وينسب المؤرخون أحـياناً بناء الغُرَيين ويومى البـؤس والنعيم[3] للمنذر بن ماء السماء، وأحيانا للنعمان بن المنذر صاحب النابغة[4].

وكان هلاك المنذر بن ماء السماء فى إحـدى المعارك الضارية بينه وبين أحد ملوك آل جفنة الغسانيين التى يسميها الأخباريون (يوم حليمة سنة ٥٥٤م).

عمرو بن المنذر (ابن هند).

وقد خـلف المنذر على ملك الحيـرة ابنه عمـرو بن هند[5]، وهو المعروف (بمضرط الحجـارة) وعرف أيضا (بمحرّق) وهى ألقاب تشـير بالطبع إلى قوته وشدة بأسه وبطشه، وكان حكمه فيما بين (٥٥٤م) و(٥٦٩م).

ويظهر من روايات الأخبـاريين عنه، ومن الأشعار التى ورد اسمه فـيها أنه كان سريع الانفـعال، جباراً عـاتيا، يتألم بسرعة مما يقـال له، وقد نتج عن ذلك مشكلات عديدة جعلته عـرضة لألسنة الشعراء، بالرغم من أنه أدرك أن

(١) شنينا: هو فعيل من الشن، وهو الصب المتقطع (اللسان ج٤ ص٢٣٤٥ شنن).

(٢) الطير: جماعة النسور والعقبان وسائر سباع الطيـر، والعاكفة: التى تلزم الشىء ولا تفارقه وتحبس نفسها عليه (اللسان ج٤ صـ٣٠٥٨ عكف).

(٣) ستتحدث عنها بالتفصيل فى العلاقات الاجتماعية.

(٤) المعـارف: صـ٦٤٩، البـدء والتاريخ لمطهر بن طاهـر المقدسى: ج٣، ص٢٠٤ ـ طبـعـة برطروند بشـالون ـ١٩٠٣م.

(٥) هى هند بنت عمرو بن حجر الكندى آكل المرار، وهى عمة امرئ القيس الشاعر.

الشعراء هم أبواق الدعاية وزعماء الرأى العام بين العرب فلم يأل جهداً فى اجتذابهم وإكرامهم وجعل الحيرة موئلاً للشعر والشعراء طمعاً فى اجتذاب العرب إليه.

وهو الذى جعل الدهر يومين، يوما يصيد فيه، ويوما يشرب فيه، فإذا جلس لشربه أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى يرتفع مجلس شرابه.

وفى ذلك يقول طرفة بن العبد البكرى مخاطباً عمرو بن هند[1]:

قَسَمْتَ الدَّهْرَ فى زَمَنٍ رَخِيٍّ   كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وللكَرْوَانِ يَوْمٌ   تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَمَا نَطِيرُ
فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ نَحْسٍ   تُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصُّقُورُ[2]
وَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْبًا   وُقُوفًا مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ

فقد جعل نفسه عرضة لألسنة الشعراء من أمثال طرفة والمتلمس وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلِّزة[3] وغيرهم ممن كانوا يفدون إلى الحيرة فى عصره. وقد قيل إنه هو الذي أرسل إلى عامله بالبحرين فقتل طرفة ونجا المتلمس[4].

وكان عمرو بن هند قد غزا بنى تميم فى دارها وقتل منهم نفوسًا كثيرة يوم أوارة الثانى[5]، واشترك فى حروب كثيرة ضد العرب والروم وأغار على بلاد الشام وكان على عربها الحارث بن جبلة الغسانى (٥٦٣م)، وواصل غزوه بعد ذلك تأديباً للروم الذين أساءوا معاملة رسوله فى القسطنطينية لمفاوضة

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٩٢ وما يليها بتحقيق د. على الجندى - مكتبة الانجلو المصرية.

(٢) الحدب: ما ارتفع من الأرض وغلظ. (اللسان ج٢، ص٧٩٥ حدب).

(٣) Arabic Literature An Introduction, By, GiBB - Oxford At the charendn press repeited, 1970, Second Revised Edition, p.p,22, 23

(٤) سنتحدث عن هذا الخبر بالتفصيل فى العلاقات الاجتماعية.

(٥) حمزة: ص٩٣ - ص٩٤، البدء والتاريخ: ج٢، ص٢٠٣.

القيصر على دفع الإتاوة التى اتفق عليها كسرى فى الصلح الذى عقد لإيقاف الحرب بين الطرفين سنة (٥٦٢م)[١]. وقد قتل عمرو بن هند على يد عمرو ابن كلثوم[٢] التغلبى، وكان سبب قتله غروره البالغ وإعجابه الشديد بنفسه.

قابوس بن المنذر.

وتولى الحيرة بعد عمرو بن هند، أخوه قابوس بن المنذر، أربع سنين فى زمن أنوشروان، وقيل إنه لم يملك[٣]، ويبدو أن هذه الفترة كانت فترة اضطراب فى الأسرة الحاكمة، وخصوصاً بعد مقتل عمرو بن هند، فبدأت القبائل العربية الخاضعة لأمراء الحيرة تتذمر وتتحلل من سلطتهم، وتغير على أموالهم، دون أن تعبأ بهم أو بوسائل قهرهم، مما جعل كسرى أنو شروان يولى أمر الحيرة أحد رجال الفرس، يسميه حمزة (فيشهرت)[٤] وجعل مدة حكمه سنة واحدة،ويسميه الطبرى (السُّهْرَب)[٥]، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى خلاف دب بين اللخميين وكسرى، أو تنافس بين أمراء البيت اللخمى من أجل التاج، أو إلى رغبة كسرى فى إضعاف مركز العرب فى الحيرة بعد أن قوى أمرهم واستفحل خطرهم أيام عمرو بن هند وسابقيه.

بيد أننا نجد بعض الأخباريين لم يذكروا هذا الملك الفارسى، بل ذكروا أن الملك انتقل إلى المنذر بعد وفاة أخيه قابوس[٦]، وذكر المسعودى النعمان بن المنذر مباشرة[٧]، وأيا كان الأمر فقد عاد الملك إلى المناذرة من جديد.

---

(١) دراسات فى تاريخ العرب (عصر ما قبل الإسلام) د/ السيد عبدالعزيز سالم ج١، صـ٣٤٧ ـ طبعة دار المعارف ١٩٦٧م ـ د/ أحمد النجار: صـ٥٢.

(٢) ابن الأثير: جـ١، صـ٥٤٨.

(٣) تاريخ أبى الفدا: جـ١، صـ٧٢، حمزة: صـ٩٤.

(٤) حمزة: صـ٩٤.

(٥) الطبرى: جـ٢، صـ٢١٣

(٦) اليعقوبى: جـ١، صـ٢٤٠

(٧) مروج الذهب: جـ٢، صـ٩٩.

المنذر بن المنذر.

أسند أمر الحيرة إلى المنذر بن المنذر أخى عمرو بن هند وقابوس، ووالد النعمان صاحب النابغة، وتوفى بعد أن مكث فى الحكم أربع سنين دون أن يوصى لأحد من أبنائه وكان له اثنا عشر ولدا بخلاف النعمان، اشتهروا بالجمال، ولقبوا بالأشاهب، وفيهم يقول الأعشى ميمون بن قيس[1] :

وَبَنِى الْمُنْذِرِ الأشَاهِب بِالحِـيـرةِ يَمْشُونَ غُدوَةً كَالسُّيُوفِ

وكان النعمان من بينهم أقشر، أحمر، أزرق، قصيراً[2] ولم ينتقل الملك إليه بسهولة، فمعظم إخوته كان طامعاً فيه، والظاهر أن المنذر كان مدركا للخلاف القائم بين أولاده، لذا لم يشأ أن يزيده بتعيين أحدهم، وأسند أمر الحيرة لإياس بن قبيصة الطائى فتولاها أشهرا[3]، حتى انفرجت المشكلة ورأى كسرى رأيه فيمن يوليه أمر الحيرة من أبناء المنذر.

ونستنتج من هذا أن سلطة أمراء الحيرة اللخميين قد ضعفت ضعفا شديدا بحيث أصبح تولية أمراء الحيرة من الأمور التى تخص أكاسرة الفرس.

النعمان بن المنذر (٥٨٠ -٦٠٢م).

وتولى أمر الحيرة النعمان بن المنذر الملقب بأبى قابوس[4]، الذى يقال له أبيت اللعن[5]، نحو (٥٨٠ ـ ٦٠٢م)، ويذكر الأخباريون أخبارا طوالا خاصة بذكر النعمان نرجئ الحديث عنها إلى الفصول القادمة، ويمكن أن

(١) ديوان الأعشى صـ٣٦٥ بتحقيق د/ محمد محمد حسين ـ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ـ الطبعة السابعة سنة ١٩٨٣م.
(٢) الحيوان: جـ٥، صـ٣٣٢.
(٣) جواد على: جـ٣، صـ٢٦٤.
(٤) المحبر: ص٣٥٩، أبى الفدا: جـ١ ص٧٢، حمزة: ص ٩٤، شفاء الغليل: ص ١٥٦.
(٥) مروج الذهب: ج٢، ص٩٩، النويرى: ج ١٥، صـ٣٢١.

نستخلص منها أن النعمان بن المنذر تربى ونشأ فى أسرة نصرانية، هى أسرة عدى بن زيد العبادى الكائنة بالحيرة، وكان عدى بن زيد يشغل منصبا ساميا عند كسرى ملك الفرس فكان ترجمانه وكاتبه بالعربية، فأشار عليه أن يولى النعمان عرش الحيرة بعد أن سأله عن أولاد المنذر، ويبدو أن نشأة النعمان فى أسرة نصرانية جعلته يتخذ النصرانية دينا [1]، وقيل إنه صاحب يومى البؤس والنعيم، وهو بانى الغريين، وهما اسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة بناهما على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه فماتتا فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين، فكان يغريهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه[2]، وسار النعمان سيرة عمرو بن هند فى رعاية الشعراء، فوفد إلى بلاطه منهم كثيرون مثل أوس بن حجر، والمُنخّل اليشكرى ولبيد بن ربيعة والمثقب العبدى وحسان بن ثابت، وكان النابغة الذبيانى من المقربين إليه من بين هؤلاء.

ويبدو أن شخصيته كانت غريبة، فسوء خَلْقه وضعة نسبه[3] أثرا فى شخصيته، فكان سريع الغضب، مستبدا، ظالما، سماعا لأقاويل الوشاة، مما جعل أبناء بنى مرينا ـ وهم من سكان الحيرة، وكان بينهم وبين أسرة عدى بن زيد عداء ـ يستغلون ضعف شخصيته، فكاد عدى بن أوس بن مرينا لعدى بن زيد وهو عند كسرى ووشى به لدى النعمان وأشعره بفضله عليه، فأرسل النعمان فى طلبه يستزيره ثم وضعه فى أحد سجونه (الصنين)[4].

---

(١) تاريخ أبى الفدا: ج١، ص٧٢، فليب: ج١ ص١١٣، حمزة: ٩٥.

(٢) حمزة: ص٩٥، البدء والتاريخ: ج٣، ص٢٠٤، النويرى (نهاية الأرب) ج١ ص٣٨٧.

(٣) كانت أمه من طبقة وضيعة لا تليق بأسرة الملوك، فهى سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك (الطبرى ج٢، ص١٩٤، . حمزة: ص٩٥).

(٤) الصنين بلد كان بظاهر الكوفة بقرب السيلحون من منازل كسرى التابعة لآل المنذر وبه نهر ومزارع (ياقوت، معجم البلدان ج٣ ص٤٣١).

ونسى فضله ولم يبر به، فأخذ يحمل عليه حتى قتله، ولم يطل أمر النعمان بعد قتله عدى بن زيد، فقد كاد له زيد بن عدى بن زيد الذى توصل إلى كسرى أبرويز، وقام مقام أبيه وحظى بمنزلته فوشى به إلى أبرويز، فى قصة يرويها الأخباريون، فأمهله كسرى ثم أرسل فى طلبه، فقدم إليه وهو مدرك لمصيره، فاستقبله كسرى ووضعه فى غيابة ساباط، تحت أرجل الفيلة(١).

إياس بن قبيصة الطائى:

وعهد كسرى إلى إياس بن قبيصة الطائى بإمارة الحيرة وكان من أسرة مشهورة بالحيرة، وتولى إدارتها معه رجل فارسى اختلف المؤرخون فى اسمه، فقيل: النخير جان(٢)، وقيل: البحر جان الفارسى(٣)، ولثمانية أشهر من ولايته بعث النبى - ﷺ(٤).

وقد ساعد إياس بن قبيصة كسرى فى حربه ضد الروم، وفى أيامه كانت وقعة ذى قار، وهى من أعظم الأحداث التى وقعت بين العرب والفرس فى بداية القرن السابع للميلاد.

*****

---

(١) أوجزنا القول هنا؛ لأننا سنتحدث عن ذلك بشىء من التفصيل فى يوم ذى قار والعلاقات الاجتماعية (راجع الطبرى ج٢، ص١٩٥ وما بعدها، اليعقوبى: ج١ ص ٢٤٢ وما بعدها، حمزة: ص٩٥، البدء والتاريخ: ج٣، ص٢٠٤ ص٢٠٥، النويرى: ج١٥، ص٣٢١ ومابعدها.

(٢) الطبرى: جـ٢، صـ٢١٣.

(٣) حمزة: صـ٩٦.

(٤) ابن الأثير: جـ١، صـ٤٩١.

ثانيا : عرب اليمن وعلاقتهم بالفرس .

كانت اليمن خاضعة لحكم الحميريين وذلك قبل احتلال الأحباش لها، فلما استولى عليها الأحباش عاملوا أهلها معاملة سيئة جعلتهم ينفرون منهم، وتولدت فى نفوسهم الرغبة فى التخلص من استبدادهم، فلما طال البلاء على أهل اليمن ظهر زعيم وطنى من حمير يقال له (سيف بن ذى يزن) ويكنى أبا مرة[1]. وعقد عزمه على أن يخلص بلاده من بطش (مسروق) ملك الحبشة آنذاك، ويحرر بلاده من احتلال الأحباش، وأمام قوة الأحباش وقهرهم لليمنيين لم يجد أمامه بدأ من التفكير فى حيلة سياسية تساعده فى إخراج الأحباش من اليمن، فتوجه إلى ملك الروم (جستنيان)[2] ملتمسا منه العون فى طرد الأحباش من بلاده، فلم يجد عنده بغيته، بعد ما أقام ببابه سبع سنين، فأبى القيصر أن ينصره لما كان يربطه بحلفائه الأحباش من علاقات دينية وسياسية واقتصادية، فلم يجد ابن ذى يزن أمامه بدأ من الاتجاه إلى كسرى، وقد ذكر المؤرخون أنه قدم إلى النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحيرة ليتوسط عند كسرى ويذكر حاجته إليه[3].

فلما دخل على كسرى وطلب منه المساعدة استهان بأمره، وزهد فى أرضه، وقال له «بعدت أرضك من أرضنا، وهى أرض قليلة الخير وإنما بها الشاء والبعير وذلك مما لا حاجة لنابه» ثم صرفه بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه، فغضب ابن ذى يزن من ذلك ونثر الدراهم على الناس بعد خروجه من حضرته، فلما علم كسرى بذلك أمر به فأحضر أمامه، فقال: «عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال: ما أصنع به، ما جبال

---

(١) الطبرى: ج٢، ص١٣٩، السيرة النبوية: لابن هشام ج١، ص٤٤، تحقيق د/ محمد فهمى السرجانى - المكتبة التوفيقية.

(٢) قصة الحضارة: ول ديورانت: ج٢، ص١٠ الترجمة العربية طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٣) الطبرى: جـ٢، صـ١٣٩، صـ١٤٠، ابن هشام: ج١، ص٤٤، الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١٧، ص٣٠٨، البدء والتاريخ: ج٣، صـ١٨٩.

أرضى كلها إلا ذهب وفضة"[1]. وعندئذ طمع كسرى فى بلاده لوفرة معادنها، وكثرة ثرواتها، وأمره أن ينتظر حتى ينظر فى أمره، واتفق كسرى مع مرازبته على أن يبعث معه من كان فى سجونه وكانوا ثمانمائة رجل وولى أمرهم رجلاً يدعى (وهرز بن الكامجار) وكان متقدما فى السن وله من التجربة والخبرة ما أعانه على غلبة الأحباش.

وتوجه جيش فارس عن طريق البحر إلى اليمن، ونجحت حملة وهرز نجاحاً كبيرا، وقتل (مسروق) ملك الحبشة على يديه، ودخل وهرز صنعاء، وضبط اليمن، وكتب إلى كسرى بالنصر، فأمره بقتل كل أسود باليمن، وبتمليك سيف بن ذى يزن عليها، والعودة إليه[2].

وقد اختلف المؤرخون فى زمن غزو الفرس لليمن وطرد الأحباش منها، فمنهم من يحدده، بعام (٥٦٧م) فى أيام كسرى أنو شروان[3] ومنهم من يحدده بعام (٥٧٠م)[4] واختلف أيضا المسعودى مع بقية المؤرخين حين ذكر أن كسرى شغل بحرب الروم ومات سيف بن ذى يزن فى هذه الأثناء، وأن الذى ذهب إلى كسرى هو معد يكرب بن سيف بن ذى يزن يطالبه بالوفاء بوعده لأبيه فبعث معه جنداً من الديلم كانوا فى سجونه[5].

وأغلب الظن أن طرد الأحباش من اليمن كان فى زمن سيف بن ذى يزن حوالى (٢٥ق هـ - ٥٩٧م) وكان ذلك فى زمن كسرى أبرويز وأيام النعمان ابن المنذر عامله على الحيرة، فالأحداث التاريخية وتسلسلها بجانب الأشعار التى وردت إلينا تؤيد ذلك.

---

(١) الطبرى: ج٢، ص١٤٠، اليعقوبى: ج١ صـ١٨٧، ابن هشام ج١، ص٤٥،س الأغانى: ج١٧، صـ٣٠٨.

(٢) الطبرى: ج٢، صـ١٤٢، اليعقوبى ج١، صـ١٨٧، حمزة: ص٥٢، ص٥٣، تاريخ أبى الفدا: ج١ ص٦٨.

Browne, Aliterary History of persia, I, p, I80.

(٣) وليم لانجر: جـ١، صـ٣٤٨.

(٤) ول ديورانت: جـ١، صـ٢٩٣.

(٥) مروج الذهب: ج٢، صـ٨٠.

وقد اشترط كسرى على ابن ذى يزن نظير مناصرته له عدة شروط منها أن الفرس يتزوجون من نساء اليمن، ولا يتزوج اليمنيون من نساء الفرس، وفى ذلك يقول الشاعر[1]:

عَلَى أَنْ يَنْكِحُوا النِّسْـــوانَ مِنْهُم   وَلا أَنْ يــنْكِحُوا فِى الْفَارِسِيـــنَا

ومنها أيضا خراج يحمله ابن ذى يزن إلى كسرى، ويفهم من ذلك أن هدف الفرس من هذه الحملة لم يكن نصرة ابن ذى يزن فحسب بل كان الهدف الأول هو الاستيلاء على اليمن لمكانتها الاقتصادية الممتازة، والدليل على ذلك أن الفرس لم يغادروا اليمن بعد انتصارهم على الأحباش، بل قامت حكومة مشتركة من أهل اليمن والفرس تولى رئاستها سيف بن ذى يزن وقد وفدت وفود العرب على سيف بن ذى يزن تهنئه بطرد الأحباش وتمدحه[2]، وقد سجل أبو الصلت والد أمية فى شعره قصة سيف بن ذى يزن وذهابه إلى الروم والفرس وطرد الأحباش يقول[3]:

لِيطْلُبِ الثَّأرَ أمثــالُ ابنِ ذى يَزَن   رَيَّمَ فى البَحــرِ للأَعْداء أَحْوَالا
يَمَّمَ قَيْصَرَ لَمَّا حَانَ رِحْلَتُهُ   فــلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذى سَالا
ثمَّ انثَنَى نَحْو كِسْرَى بَعْدَ عــاشِرَةٍ   منَ الســنِينَ يُهِينُ الــنَّفْسَ والمَالا
حَتَّى أتى بِبَنِي الأَحْــرارِ يَحْمِلُهُمْ   إنَّكَ عَمْرِى لَـقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْقَالا[4]

(١) مروج الذهب: صـ٨٢، وذكر المسعودي هذا البيت ولم ينسبه
(٢) العقد الفريد، جـ٢، صـ٢٣، الأمالى الشجرية: جـ١، صـ١٧٠
(٣) ديوان أمية بن أبى الصلت ـ بتحقيق عبدالحفيظ السطلى ـ المطبعة التعاونية بدمشق سنة ١٩٧٤ ق٦٦ ـ ص ٤٥٣. وتنسب هذه الأبيات إلى أبى الصلت والد أمية.
(٤) بنو الأحرار: الفرس، قلقالا: قلقل فى الأرض قلقلة: ضرب فيها.

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهَنْشَاه المُلُـــوك لَهُ
أَوْ مِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إِذْ صَالا

للهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا
مـــا إِنْ أَرَى لَهُمُ فـى النَّاسِ أَمْثَالا

بيـــضـــــاً مَرَازِبَةً غُلْبَاً أَسَاوِرَةً
أُسْداً تُرَبِّبُ فى الـغَيْضَاتِ أَشْبَالا(1)

لا يَضْجَرونَ وإِنْ حُرَّتْ مَغَافِرُهُم
ولا تَرَى مِنْهُمُ فى الـطَّعْنِ مَيَّالا(2)

يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنَّهَـــا غُبُطٌ
بـــــزَمْخَرٍ يُعْجِلُ المَرْمِىَّ إِعْجَالا

أرسلْتَ أُسْداً عَلَى سُودِ الكلابِ فَقَدْ
أَضْحَى شَرِيدُهُــمُ فى الأَرْضِ فُلَّالا

فاشْـرَبْ هَنِيئاً عَليكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً
فى رَأْسِ غُمْـدَانَ داراً مِنْكَ مِحلالا

واشْرَبْ هَنِيئـاً فَقَدْ شَالَتْ نَعَـامَتُهُم
وأَسْبِلِ اليَومَ فـــى بُرْدَيْكَ إِسْبَالا(3)

تِلْكَ المَكارِمُ لا قَعْـــبَــانِ مِنْ لَبَنٍ
شِيـــبـــا بماءٍ فَعَادا بَعْدُ أَبْوَالا(4)

وبالرغم من انتـصـار سـيف بن ذى يزن على الأحـبـاش إلا أنه لم يقض عليهم نهـائيا فاسـتبقى بقـايا منهم اتخذهم عـبيد حـرابة يمشون بين يديه إذا ركب، واتفق أن اختلوا بـه يوما فى متـصيد له، فـزرقوه بحرابهم، فـقتلوه وهربوا فى رؤوس الجبال(5).

ويبدو لى أن الفرس أنفسـهم هم الذين دبروا لقتل سيف بن ذى يزن؛ لأنه حاول التـخلص منهم بعد أن أحس بتـدخلهم فى شئون بلاده. وقـد انقضى ملك حمير من اليمن بعد مقتل ابن ذى يزن، وعقب مصرعه رد كسرى وهرز إليهـا ومعه أربعـة آلاف من الأساورة، استأصل بهـم من بقى فى اليمن من

(1) الغلب: هو الغليظ الرقبة، مفردها: أغلب، تربب: تربى. والغيضات: مفردها: غيضة وهى الأجمة (اللسان ج5 ص3327 غيض).
(2) حرت: اشتدت حرارتها. والمغافر: مفـردها: مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع يلبسه المحارب تحت الخوذة ثم يرسله إلى عنقه حتى يبلغ الدرع فيقى عنقه، والميال: الكثير الميل الذى لا يثبت على ظهر الخيل أو الجبان.
(3) شالت نعامتهم: تفرقوا: وأسبل فلان فى ثيابه إسبالا: طولها وأرسلها إلى الأرض.
(4) القعب: القدح الضخم وقيل: قدح من خشب مقعر يروى الرجل. وشيبا: خلطا. .
(5) المعارف: ص 638، البدء والتاريخ: ج3، صـ195.

الأحباش، وأمَّره كسرى عليها[١].

ويذكر الأعشى فى شعره احتلال الفرس لليمن، وطردهم الأحباش، يقول ذاكراً قصر ريمان وهو من قصور اليمن القديمة[٢]:

يَـــامَنْ يَـــرَى رَيْمَانَ أَمْـــسَى خَاوِيـــاً خَرِبـــاً كِعَابُهْ
أَمْسَى الـثَّعـــالِبُ أهْلَهُ بَعْدَ الَّذِيـــنَ هُمُو مَآبُهْ
مِنْ سُوقَةٍ حَكَمٍ وَمِنْ مَـــلِك يُعَـــدُّ لَهُ ثَوابُـــهْ
بَكَرَتْ عَلَيْهِ الْفُرْسُ بَعْـــدَ الْحُبْشِ حَتَّى هُدَّ بَابُهْ

فصارت اليــمن ولاية فارسية، فتــتابع عليها الولاةُ من قبل الأكــاسرة بعد وفاة وهرز، وخضعت لهم خضوعاً كاملاً.

وقد ذكر عدى بن زيد العبادى فى شعره، زوال ملك الحميريين، واستقرار مرازبة الفرس باليمن، يقول[٣]:

مَابَعْد صَنْعَـــاءَ كَانَ يَعْمُرُهَا سَادَاتُ مُلْكٍ جَزْلٌ مَوَاهِبُهَا

. . .

سَاقَتْ إِلَيْهــا الأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِى الـ أحْرَار فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَـــا
بَعْدَ بَنِى تُبَّعٍ نُخَـــاوِرُهُ[٤] قَد اطْمَأَنَّتْ بِهِـــم مَرَازِبُهَا

وقد بعث الله رسوله ـ ﷺ ـ بالإسلام وعلى اليــمن عمال الفرس إلى أن تسلمها المسلمون من أيدى (باذان) آخر ولاة الأكاسرة عليها[٥].

---

(١) الطبرى: ج٢، صـ١٤٨. Browne, I, p. I8I.
(٢) ديوانه: ص٣٣٩ ق ٥٤.
(٣) ديوان عدى ص ٤٦ ما يليها. الحماسة: للبحترى ص١٢٥. السيرة النبوية: ج١ صـ٤٨.
(٤) اللسان ج٦ ص ٤٣٧٦ (نخر) النخاورة :الأشراف واحدهم نخوار ونخورى وهم المتكبرون.
(٥) السيرة النبوية: ج١، صـ٥٠، البدء والتاريخ: ج٣، صـ١٩٥.

فالعلاقة ـ كما رأينا ـ بين عرب الحيرة وملوكها وبين الفرس لم تكن سلما خالصا ولم تضطـرب الاضطراب الذى يجعلها تنهار وتـتلاشى حتى تدرس آثارها، فالصـلة بينهم قديمة ظهـرت آثارها واضحة جلية، عـلى مدى أربعة قرون متتالية صارت الحيرة فى نهايتها ولاية فارسية[1].

كما كانت العلاقة بين عرب اليمن والـفرس قديمة فقد كان هناك معاملات تجاريـة بين الطرفـين، واستغل الـفرس ـ كما رأيـنا- فرصة نـصرتهم عـلى الأحباش لتحقيق أمل كان يراودهم منذ زمـن بعيد. فقد قضت سياسة الدولة الساسانيـة أن تستفيد من خيرات اليـمن، هذا بجانب سيطرتهـا على الطرق التجارية، ومنافسـتها للروم، كما قضت أن تستفيد مـن استقرار عرب الحيرة وملوكهم عـلى الحدود الغربية، فقـد كانوا حماة للحدود ضـد من يعتدى أو يجور عليـها وخصوصا من عرب الصـحراء، كما سنرى فى الفـصل القادم عند الحديث عن القبائل العربية وعلاقتها بالفرس.

* * * *

(١) حضارة العرب: غوستاف لوبون: ص٩٣، ترجمة عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٩م.

الفصل الثانى

علاقة القبائل العربية بالفرس

"الفصل الثانى"

علاقة القبائل العربية بالفرس

لم يكن أمام أعراب جزيرة العرب مخرج حينما تجف أراضيهم، ويقضى الجفاف على البساط الأخضر الذى يفرشه الغيث أحياناً على سطح الأرض، إلا الهجرة إلى أماكن يجدون فيها الخضرة والماء؛ ليحافظوا على حياتهم وحياة ماشيتهم وإلا تعرضوا، لا محالة للهلاك؛ فكانوا ينزحون إلى الشمال وأطراف الجزيرة العربية.

وكذلك لم تجد القبائل اليمنية مخرجاً أمامها يخلصها من خطر الفناء بعد حادثة سيل العرم وانهيار سد مأرب سوى الاتجاه إلى هذه المناطق الشمالية.

فكان على كل قبيلة يفزعها الموت جوعاً، أو عدم استقرار الأمن فى مواطنها الأصلية، أو كثرة عدد أفرادها، أن تضرب خيامها فى المواضع التى ترى إقامة الحياة فيها، وغالباً ما تكون هذه المواضع بجانب الحضر أصحاب الحكومات فإذا كان للحضر حكومة قوية احترمتهم القبائل، وإن وجدت فيهم ضعفا استخفت بهم واستولت على ما عندهم، وفرضت عليهم جعالات سنوية نظير حمايتهم من الأعراب الآخرين، وللأعراب ـ فى رأى أحد الباحثين ـ حاسة غريبة وقدرة كبيرة على إدراك مواطن الضعف عند الحضر والحكومات سرعان ما يبادروا باستغلالها قبل فوات الأوان[1].

وكان لابد للساسانيين، وهم من الحكومات المجاورة للأراضى العربية، التعامل مع عرب الجزيرة الذين استوطنوا على حدود مملكتهم، كما تعاملوا مع عرب الحيرة واليمن ـ كما رأينا ـ فقد كانت حدود المملكة الفارسية واسعة ممتدة إلى الحدود العربية، فنزلت قبائل من العرب فى أماكن حساسة من هذه

(١) جواد على جـ٢، صـ٦٠٢.

الحدود فكان من الطبعيّ التعامل معهم، ومحاولة استرضائهم، ووضع حساب لهم، كما كانت هناك قبائل فى تنقل دائم تكتسب أرزاقها من شن الغارات والغزوات على حدود الإمبراطورية الفارسية، فإذا جابهتها قوة من لدن الفرس، أو أتباعهم فى الحيرة، تقهقروا إلى البادية، وتوغلوا فى الصحراء، حيث يصعب على غير الأعراب ولوجها لتأديبهم.

لذا لم يكن أمام أكاسرة الفرس، وعمالهم على الحيرة إلا استرضاء تلك القبائل لصيانة حدودها، والاستفادة منها فى إلقاء الرعب فى قلوب أعداء هذه الحكومات، كما سنرى فى العلاقات السياسية والاجتماعية.

* * *

وقبل أن نخوض فى البحث عن المراحل التاريخية التى مرت بها العلاقة بين هؤلاء العرب والفرس، وأطوارها المختلفة، لابد أولا أن نعين القبائل العربية التى كان لها علاقات مع الفرس ثم نحدد على وجه التقريب المواضع التى سكنتها هذه القبائل حتى تظهر معالم البحث واضحة أمامنا، وخاصة أن تاريخ هذه القبائل لم يتحدث عنه الأخباريون حديثا مفصلا بالإضافة إلى اضطراب بعضهم عند حديثه عن تاريخ هذه القبائل وعلاقتها مع الفرس، ويفهم من روايات الأخباريين[1] أن القبائل العربية لم تعش فى الصحراء بمعزل عن الأمم المتحضرة والدول الكبرى، فعلاقتها بالفرس قديمة مباشرة، وقد كانت قبل عهد سابور ذى الأكتاف بزمن، يرجع تاريخها إلى أيام ملوك الطوائف.

وهذا القول ـ بطبيعة الحال ـ لا ينطبق على جميع العرب، فهناك أعراب يقطنون البوادي، عاشوا بمعزل عن الأمم المتحضرة، ولم تصل إليهم

(١) راجع: المعارف ص٦٥٦ وما بعدها، الطبرى ج٢ ص٥٦ وما بعدها، المسعودى ج١ ص٢٥٤ وما بعدها، ابن الأثير ج١ ص٣٩٢ وما بعدها، الأمالى الشجرية ج١ صـ٩٥، النويرى ج١٥، صـ١٧٢ وما بعدها.

المؤثرات الحضارية وغيرها لا من قـريب ولا من بعيد، وهناك طائفة ثانية من العرب لم تكن لهـا علاقات مبـاشرة مع الفرس، إلا أن المؤثرات الفارسـية وصلت عن طريق احتكاكهم بالقبـائل الأخرى وعرب الحيرة، ونحن فى هذا الموضع من البحث نتجنب الحديث عن هاتين الطائفـتين فالبحث يقتصر إذن على القبائل العربية أصحاب العلاقات القديمة المباشرة التى يمكن تحديدهم من بين العرب، فـهم: إياد، وبكر، وطئ، وتميم، وتغلب، وعبدالقـيس. وقد أثبتنا هذه الخريطة لعلها تفيد فى تحـديد المواقع الجغرافية للعرب الذين كانت لهم علاقـات مع الفرس، وتفيـد أيضا فى معـرفة الأماكن التى نزحـوا منها وإليها.

* * *



الخريطة (٢) من أطلس القبائل العربية

أولا: إياد .

تنسب إياد إلى العرب العدنانية، فهم ولد نزار بن معد بن عدنان[١]. وكانت إياد تقيم مع بقية ولد نزار فى مكة، ثم إنها تنازعت السلطة فى الحرم وما جاوره مع ربيعة ومضر، واضطرت إلى الرحيل عن الحجاز إلى سواد العراق.

وفى ذلك يقول الأخنس بن شهاب التغلبى[٢]:

وغـــارتْ إيادٌ فى السَّوادِ ودُونَهـــا   بَرَازِيـــقُ عُجْمٌ تَبْتَغِى مَنْ تُضَارِبُ

وكانت أكثر نزار عدداً، وأحسنهم وجوهاً، وأمدحهم، وأشدهم، وأمنعهم وكانوا لقاحاً لا يؤدون خَرْجاً[٣]، وهم أول معدى خرج من تهامة[٤] وغلبوا على سواد العراق، وكان يقال لهم طبق لإطباقهم على البلاد[٥].

فنزل قوم منهم بعين أباغ وهو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، وقوم آخر بسنداد بين البصرة والكوفة، فانتشروا فيما بين سنداد وكاظمة، وإلى بارق والخورنق وما يليها، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة[٦]، فنزلوا بتكريت وأماكن أخرى، ومنهم من اتجه إلى البحرين حيث انضموا إلى قضاعة، ومنهم من اتجه إلى بلاد الشام.

(١) نهاية الأرب للقلقشندى ص ٩٥، أيام العرب فى الجاهلية، لمحمد جاد المولى وآخرين ص ٤١٢، ص٤١٣، طبعة عيسى البابى الحلبى، (وإياد فى الأصل تراب يجعل حول الحوض والخباء يقوى به ويمنع عنه المطر، ثم جعل علماً على الرجل وهو مأخوذ من الأيد وهو القوة، قال تعالى «والسماء بنيناها بأيد» أى بقوة.

(٢) المفضليات: ق ٤١ صـ ٢٠٦.

(٣) قوم لقاح: بفتح اللام: أى لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء.

(٤) الشعر والشعراء جـ١، صـ١٩٩.

(٥) المسعودى جـ١، صـ٢٥٤، النويرى جـ١٥، صـ١٧٢.

(٦) راجع نشأة إياد ومنازلها فى الجاهلية فى (شعر إياد فى الجاهلية)رسالة ماجستير غير منشورة أعدها أحمد سامى زكى منصور وأشرف عليها الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى هدارة ـ بكلية الآداب ـ جامعة طنطا ١٩٨٧م.

ويبدو من هذا الوصف أن إيادًا انتشرت فى أماكن عديدة فى الجزيرة، وتفرقوا فى فترة من الفترات، حتى قيل إنها كانت تصيف بالجزيرة، وتشتو بالعراق[١].

والمصادر التاريخية التى بين أيدينا لا تذكر شيئا عن علاقة إياد بالفرس سوى أنها غلبت على سواد العراق، وذلك قبل ولاية سابور بن هرمز الملقب بذى الأكتاف نحو (٣٠٩ ـ ٣٧٩م)[٢]، فى فترة ضعف الدولة الساسانية بعد وفاة هرمز بن نرسى. فالمصادر صامتة لا تتحدث عنها بأى حديث إلى أن يتولى أمر الفرس سابور ذو الأكتاف فتحدثنا المصادر عن غارات قاسية أغارها الملك الفارسى على العرب فى المنطقة العربية من إيران وفى الخليج العربى والعراق.

ويفهم من روايات الأخباريين[٣] عن هذه الحملة العسكرية الفارسية التى قام بها سابور فى أرض العرب حوالى (٣٥٠م) أن سببها، توغل القبائل العربية فى جنوب إيران وفرض سيطرتها عليها، وتزايد عددها وتدخلها فى الأمور الداخلية للدولة الساسانية فكان الهدف الأساسى من هذه الحملة، القضاء على نفوذ القبائل العربية التى انتهزت فرصة ضعف الدولة الساسانية وتناحر الرؤساء والأساورة على السلطة قبل ولاية سابور ومدت سلطانها هناك، فلما تولى سابور مقاليد الحكم، كان من سياسته إعادة السلطة المركزية لدولة الساسانيين، والقضاء على منازعى الحكومات فحمل على العرب هذه الحملة، وقام بعمليات واسعة لإجلاء القبائل العربية من منازلها إلى منازل

---

(١) النويرى: جـ١٥، صـ١٧٣.

(٢) موسوعة تاريخ العالم، وليم لانجر جـ١، صـ٣٤٣.

(٣) المعارف لابن قتيبة: صـ٦٥٦ وما بعدها، الطبرى جـ٢ ص٥٥ وما بعدها، المسعودى ج١ صـ٢٥٤ وما بعدها، ابن الأثير ج١ صـ٣٩٢ ما بعدها ، النويرى جـ١٥، صـ١٧٢ وما بعدها.

أخرى جديدة تـأديبا لها، وضمانا لـعدم قيامها بغارات عـلى الحدود، وهى سياسة قديمة معروفة، استعملتها الحكومات فى تأديب القبائل. [١]

وكان هذا هـو السبب فى تفـرق إياد هذه التفـرقة التى ذكرناهـا، وأغلب الظن أن هذا الـتفرق جاء بعد حملـة سابور ذى الأكتاف على الـعرب، فقد ذكر المسعودى [٢] : أنه لما اشتد أزره وبلغ - وكان قد ملك فى بطن أمه [٣] - أراد الانتقام من إياد، وإخضاعها للساسانيين كما كانت من قبل، وكان ملكها حينـئذ "الحارث بن الأغر الإيـادى" فجمع سابور جـموعه وكان فى حـبسه رجل من إياد، اسمه لقيط بن يعمر سـمع بعزم سابور فأرسل إلى إياد شعراً ينذرها فيه، ولكنها لم تحفل بإنذاره ففـاجأتها جيوشه وأوقعت بهم فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب.

وفى رواية المـسعودى وهم وتـسرع وشاركه الـنويرى [٤] وابن الأثـير[٥]؛ وذلك لأن عهد سابـور كما ذكرنا كان حوالى (٣٠٩ - ٣٧٩م) وكـان ملكا وهو فـى بطن أمـه فلـما بلـغ واشتد أزره أى حـوالى (٣٥٠م) كـان غزوه للعرب، فـهل كان لقيط بن يعـمر الإيادى شاعراً فى هذه الفـترة، ولماذا لم يذكره ابن سلام فـى أوائل الشعراء[٦]، وكيف كان لقيط مـحبوساً فى سجن سابور وهو بعد لم يبلغ؟ وذكر الطبرى أن العرب مكثوا فترة لا يغزوهم أحد من الفرس [٧]، فكيف توهم هؤلاء ذلك؟.

---

(١) جواد على ج٢، صـــ ٦٤٠.
(٢) مروج الذهب ج١، ص٢٥٤، ص ٢٥٥.
(٣) لطائف المعارف للثعالبى صـــ ١٣٠.
(٤) النويرى ج ١٥، صـــ ١٧٢ وما بعدها.
(٥) الكامل فى التاريخ ج١،ص ٣٩٢ وما بـعدها (وأخذ برأيهما الدكتور/ طه ندا فى مقاله تـعليقات على بعض الإشارات الفارسية فـى الأشعار العربية، بمجلة كـلية الآداب بالأسكندرية ص ٨٣) وقد أخطـأ ابن عبد ربه حين ذكر أن لقيط كتب هذه القصيدة لبنى شيبان فى يوم ذى قار"العقد جـ٥ ص ٢٦٨"
(٦) راجع طبقات فحول الشعراء ج١ ص ٢٦.
(٧) الطبرى ج ٢ صـــ ٥٥.

ولو حقق هؤلاء المؤرخـون فى أبيات لقيط بن يعمـر التى ذكروها والتى يقول فى مطلعها [1]:

سـلامٌ فى الـصَّحيـفَةِ مِنْ لَقِيطٍ ... إلَى مَنْ بِالجزيـرة مِنْ إيَادِ

لما وقعوا فى هذا الوهم إذ كـانت إياد آنذاك تسكن الجزيرة. وأغلب الظن أنها انتـقلت إلى الجزيرة بعد أن أجلاهم سـابور عن السواد فذهبت جـماعة منهم إلى أرض الروم ونزلوا بأنقـرة، وأخرى اتجهت إلى الجزيرة. وقـد ذكر الأسود بن يعـفر النهـشلى إياداً والأماكن التى نزلوا فيـها عندمـا ذكر تقلب الأيام وذهاب النعيم، فقال [2]:

مـاذَا أؤمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحـرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنـازِلَهُمْ وبَعْدَ إيَادِ
أهـلِ الخَورْنَـقِ والـسَّدِيـر وبـارق ... والقَصْرِ ذِى الشُّـرُفَاتِ من سِنْدَادِ
أرضـاً تَخَيَّرَهَا لِدَارِ أَبِيـهِمُ ... كَعْبُ بـنُ مَامَةَ وابـنُ أُم دُؤَادِ
جَرَت الرِّيَاحُ علـى مكانِ ديارهِمْ ... فكـأنَّمَا كـانـوا عَلَى ميـعَادِ
ولقـد عَفَوا فـيـهـا بأنْعم عِيـشَـةٍ ... فـى ظِلِّ مُلْـكٍ ثـابـتِ الأَوتـادِ
نَزلُوا بِأنقـرةٍ يَسِيلُ عَلـيـهِمُ ... مـاءُ الفُرَاتِ يَجـىءُ مِنْ أَطْوَادِ

وجاءت قصيدة لقيط بعد هذه التفـرقة يحذر قومه المقيمين بالجزيرة[3] غزو كسرى أنوشروان لهم بعد ما أغاروا على أموال له فأخذوها فجهز إليهم ستين

(١) ديوان لقيط بن يعمر - تحقيق خليل إبراهيم العطية - بغداد ١٩٧٠ صـ ٢٨.
(٢) المفضليات ص ٢١٧ ، الحماسـة للبحترى ص ١١٧ نشر كمال مصطفى - الطبعة الأولى للمطبـعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٩م.
(٣) ذكر ياقوت (أنها جزيرة أقور وتقع بين دجلة والفرات وهى صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات بها مدن وحصون وقلاع كثيرة) ج٢ ص ١٣٤.

ألفا فى السلاح [1]، وكان لقيط آنذاك يعمل كاتبا فى ديوانه [2] فأرسل إلى قومه قصيدته وقدم لها بأبيات أربعة جعلها عنواناً لكتابه؛ وهى قوله :

سلامٌ في الصَّحيفَةِمن لقيط ... إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ
بأنَّ اللَّيثَ كسْرَى قَدْ أَتَاكُمْ ... فلا يَشْغَلكُمُ سَوْقُ النِّقَادِ
أَتَاكُم منْهُمُ ستُّونَ أَلفًا ... يَزُجُّون الكَتَائبَ كَالجَرَادِ
على حَنَقٍ أَتَيْنكُمُ، فهذَا ... أوَانُ هلاكِكُمْ كَهَلاكِ عَادِ [3]

وقد ذكر أبو الفرج [4] أن إيادا أصابت امرأة من أشراف العجم كانت عروساً قد هديت إلى زوجها، فولى ذلك منها سفهاؤهم وأحداثهم، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم . . وعبروا الفرات وتبعهم الأعاجم . . ولقيتهم إياد فى آخر النهار فهزمت الأعاجم فلم يفلت منهم إلا القليل وجمعوا جماجمهم وأجسادهم فكانت كالتل العظيم وكان إلى جانبهم ديرفسمي دير الجماجم، وبلغ كسرى الخبر، فبعث مالك بن حارثة أحد بنى كعب بن زهير بن جشم فى آثارهم، ووجه معه أربعة آلاف من الأساورة، فكتب إليهم لقيط قصيدته العينية يحذرهم غزو كسرى إياهم ومطلعها [5].

يا دارَ عَمْرَةَ منْ مُحتَلِّهَا الجَرَعا ... هاجَت لى الهمَّ والأحزانَ والوجَعَا
. . .
بَلْ أيُّها الراكبُ الْمُزْجى مَطِيَّتَهُ ... إلى الجزيرةِ مُرْتَاداً ومُنْتَجَعَا

(١) الشعر والشعراء ج١ ص ١٩٩ بتحقيق أحمد شاكر - طبعة دار المعارف ١٩٨٢م.
(٢) مختارت شعراء العرب لابن الشجرى - بتحقيق على محمد البجاوى- طبعة دار نهضة مصر صـ٢.
(٣) ديوان لقيط ص ٢٨ وما يليها ،الشعر والشعراء جـ١ ص ١٩٩ ص ٢٠٠، ابن الأثير ج ١ ص ٣٩٣ ، المسعودى ج١ صـ٢٥٥ ، نهاية الأرب للنويرى ج١٥ ص ١٧٣.
(٤) الأغانى جـ ٢٢، صـ٣٥٥، ص ٣٥٦.
(٥) ديوان لقيط ص ٣٠ وما بعدها، وهى القصيدة الأولى فى مختارات ابن الشجرى وهى عنده ٥٥ بيتا، وفى الأغانى ج ٢٢ص ٣٥٦ وما بعدها ١٨ بيتاً، وفى الشعر والشعراء ج١ صـ ٢٠٠، ص ٢٠١ عشرة أبيات ، وفى كتاب الحماسة البصرية بتحقيق عادل جمال سليمان - طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامى بالقاهرة ١٩٧٨م - ورد منها ٢٧ بيتاً جـ١ ص ٢٨٦ وما يليها . (البصرية ١٩٥).

أَبْلِغْ إِياداً وخَلِّلْ فى سَرَاتِهم   أَنِّى أرَى الرَّأْىَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قد نَصَعَا

. . .

ألا تخافُونَ قَوْماً لا أبا لكُمُ   أَمْسَوا إليكم كأَمْثَال الدَّبَى سِرَعَا
أبناءُ قَوْمٍ تأْووكُم على حَنَقٍ   لا يَشْعُرونَ أَضَرَّ اللهُ أَمْ نفعا
فهُمْ سِرَاعٌ إليكم، بَيْنَ مُلْتَقِطٍ   شَوْكاً، وآخَرَ يَجْنِى الصَّابَ والسَّلَعَا

. . .

فى كُلِّ يَوْمٍ يَسُنُّونَ الحِرَابَ لكُمْ   لا يَهْجَعُونَ إذَا ما غَافِلٌ هَجَعَا
خُزْراً عُيُونُهُم كأَنَّ لَحْظَهُمُ   حَرِيقُ نَارٍ تَرَى منهُ السَّنَا قطَعَا
لا الحرثُ يَشغلُهم بل لا يَرَوْنَ لَهُمْ   مِن دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا ولا شَبَعَا
وأنتُم تحرثُونَ الأرْضَ عَنْ سفَهٍ   فى كُلِّ مُعْتَمِلٍ تَبْغُنَ مُزْدَرَعَا

. . .

وتلبَسون ثِيابَ الأَمْنِ ضَاحِيةً   لا تَجْمَعونَ وهذا اللَّيثُ قد جَمعا

. . .

مَالِى أراكُمْ نِياماً فى بُلَهْنِيَةٍ   وقد تَرَوْنَ شِهَابَ الحَرْبِ قد سَطَعا

. . .

صونُوا جِيَادَكُم واجْلُوا سُيوفَكُم   وجَدِّدُوا لِلقِسِي النَّبْلَ والشَّرَعَا

. . .

يا قَوْمُ، لا تأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمُ غُيُراً   على نِسَائِكُمُ كِسْرىَ ومَا جَمَعَا

. . .

هو الجَلاءُ الذى يَجتَثُّ أصلَكمُ   فمَنْ رأى مِثْلَ ذا رَأْياً ومَنْ سَمِعَا
قوموا قِياماً على أَمْشَاطِ أرْجُلِكُم   ثُمَّ افزعُوا قَدْ يَنَالُ الأَمنَ مَنْ فَزِعَا
وَقَلِّدُوا أمْرَكُم، لِلَّهِ دَرُّكُمُ   رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضطَلِعَا

. . .

لقـد بَذلْتُ لكـم نُصْحِى بِلا دَخَلٍ   فـاسْتَيْقـظُوا إنَّ خَيْرَ العِلـم مـا نَفَعَا

ففى روايتى ابن قتيبة وأبى الفرج دلالـة على أن الأبيات التى أرسلها لقيط إلى قومه لم تكن قد أرسلت فى أيام سابور ذى الأكتاف بل فى زمن كسرى أنوشروان كما ذكرنا.

ويبدو أن العـلاقة بين إياد والفرس لم تكـن سيئة فى جميـع الحالات فقد صالح سـابور ذو الأكتاف العرب وأسـكن بعض قبائـل تغلب وعبد الـقيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والأهواز (١).

وأغلب الظن أن ذلـك كان فى أثناء انشغاله بغـزواته مع الروم، فأراد أن يأمن العرب من ناحية، ومساعدتـهم إياه من ناحية أخرى. وفى رواية أخرى أن إياداً كانـت مقرّبة عنـد الفرس، حتى إن كسـرى بن هرمز كان قـد اتخذ جماعة منهم امتـازوا بحسن الرماية فجعلهم رماة عنده، كـما جعلهم مراصد على الطريق فيـما بينه وبين الفرات كى لا يغير أحد عـليهم، إلى أن حدثت حادثة الاعتداء على الأموال أو على النسوة، فغضب كسرى على إياد (٢).

وذكر الأخباريـون الذين تحدثوا عن فتـك كسرى بإياد، أنهـم حاربوا مع الفرس فى يوم ذى قار، ثم إنهم اتفقـوا سرا مع بكر على خذل الفرس يوم اللقاء (٣). ونفهم من شـعر الأعشى أن جماعة من إياد سكـنت تكريت (٤)، وكانوا عمـلاء للفرس؛ ولذلك نـرى الأعشى يهجوهـم فى شعره ويشبـههم

---

(١) الطبرى جـ٢ صـ٦١.

(٢) جواد على جـ٤ صـ ٤٧٢.

(٣) سنوضح ذلك عند الحديث عن يوم ذى قار فى الفصل الأول من الباب الثانى.

(٤) تكريت: بفتح التاء والعـامة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهى إلـى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا، ولها قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهى غربى دجلة (ياقوت ج٢ صـ٨٣).

بالنبيط ويسخر منهم؛ لأنهم تعلموا الزراعة وهى حرفة مزدراة فى نظر العرب، لهذا يتبجح الشاعر عليهم لأنهم تعودوا القعود بجانب ما يزرعونه من حبوب وافتخر بقومه لأنهم أصحاب إبل ضخمة يعقرونها لمن ينزل بساحتهم من ضيوف، يقول الأعشى (١) :

خُرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيـطَةَ فَكَأَنَّمَا ... لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِراً مُتَعَهِّدا
لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيَادٌ دَارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا
قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلا أَبْنَاؤهُمْ ... وسَلاسلاً أُجُداً وَبَاباً مُؤْصَدَا
جَعَلَ الإلَهُ طَعَامَنَا فِى مَالِنَا ... رِزْقاً تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا
مِثْلَ الْهِضَابِ جَزَارةً لسُيُوفِنَا ... فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا
ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهُنَّ، لَنَا الصَّرِيحَ الأَجْرَدَا

وورد مثل ذلك فى أبيات لقيط بن يعمر السابقة عندما حذر قومه من الفرس وهم يعدون العدة لهم ليلا ونهارًا ولا يهجعون، أما قومه فقد شغلهم العمل فى المزارع وتعودوا على القعود.

فظلت العلاقة بين إياد والفرس - كما رأينا - بين سلم وحرب، وفى هذا كله لم تستطع إياد أن تنسل من قبضة الفرس إلى أن جاءت الفتوحات الإسلامية وحاربت إياد مع الفرس فى العراق، ولم تكن من القبائل العربية النصرانية التى مالت إلى تأييد المسلمين، وإن ساعدهم قسم منهم بالاتفاق معهم سرا، كما حدث فى فتح تكريت (٢). وهذا يدل على أن علاقة إياد بالفرس استمرت حتى بعد ظهور الإسلام.

* * * *

(١) ديوانه صـ ٢٨١ ق ٣٤.
(٢) الطبرى: جـ٤ ص ٣٥، ص ٣٦ أحداث السنة السادسة عشرة للهجرة.

ثانياً: بكر بن وائل .

تقع ديار بكر بن وائل فى الشمال الشرقى للجزيرة وتمتد إلى اليمامة والبحرين [١] وهى من القبائل الكبيرة ذات الفروع العديدة، فمن بطونها: بنو ثعلبة، بنو ذهل، بنو شيبان، بنو عجل، بنو مرة، بنو الحارث [٢]. وهى من القبائل العدنانية المهاجرة من الجنوب إلى اليمامة ثم إلى البحرين والعراق، وكان لها شأن فى الجاهلية وعند ظهور الإسلام وخاصة بعد موقعة ذى قار. وعلاقتها بالفرس علاقة قديمة، فقد غزت بكر مع عبد القيس وتميم حدود الفرس، وذلك قبل زمن سابور ذى الأكتاف، مما اضطر سابور فى حملته العسكرية الانتقامية -التى أشرنا إليها - إلى مهاجمة هذه القبائل ومحاربتها، فقد خرب منازلها التى نزلت بها وغور مياهها وأجلاهم منها وأمر بنقل كثير من أسرى بكر بن وائل إلى كرمان وهم الذين يدعون بكر أبان، ومن بقى من بنى حنظلة إلى بلاد الأهواز لإسكانهم هناك [٣].

ويبدو أن هذه الفعلة كانت الجذور الأولى لعداء البكريين للفرس الذى تمثل أروع تمثيل فى وقوف بعض بطونهم ضد الفرس فى يوم ذى قار، بالرغم من أن معظم القبائل العربية كانت فى جانب الفرس. ويبدو أن هذا العداء لم يظهر إلا فى مرحلة متأخرة من مراحل العلاقات بين بكر والفرس فقد ذكر أبو عبيدة [٤] أن بكراً كانت تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقودونهم ويجهزونهم ويشرف على تجهيزهم عاملهم على عين التمر فقد كانت بكر من القبائل المؤيدة للساسانيين، وقد حاربتهم بنو تميم فى يوم الصليب وانتصر بنو

---

(١) الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجرى. للدكتور/ محمد مصطفى هدّارة - طبعة دار المعارف - الطبعة الأولى - ص ٥٢.
(٢) نهاية الأرب للقلقشندى راجع صـــ ٤٦, ١٩٣، ٢٥٦، ٣٠٩، ٣٥٠، ٤١٨.
(٣) الطبرى جـــ ٢، صـــ٥٧.
(٤) النقائض جـــ٢، صـــ٥٨١.

عمـر وهم من تمـيم عـلى بنـى بكر وقـتل طـريف رأس الأساورة فـى ذلك اليوم[1].

وبنو شيبان من البطون التى خضعت للفرس فى فترة من الفترات وتوطدت العلاقة بـينهما، ونفهم مـن شعر الأعشى أنهم كـانوا منعمين، يأتيـهم طعام العراق وهم قاعدون ويفيض عليهـم ملوك العراق كل عام بالحلل والدراهم، فنراه يهجو يزيد بن مسهر الشيبانى ويعيره بذلك فى قوله [2]:

وذَرْنَا وَقَوْمـــاً إنْ هُمُو عَمَدُوا لَنَا   أَبَا ثـــابِت واجْلسْ فـــإنَّكَ نَاعِمُ
طَعَامُ العراقِ المُستـفيضُ الَّذِى تَرى   وَفـــــــى كُلِّ عَامٍ حُلَّةٌ وَدَراهِمُ

وأغلب الـظن أن هذه العلاقـة الوطيدة بين بكـر والفرس كانت قـبل يوم أوارة الأول[3]، حينما أذعنت بكر بـن وائل لسلمة بن الحارث [4]، وخرجت على طاعة المنذر بـن ماء السماء، فجمع لهم الجموع، وذهـب، وقتل منهم بشرا كثيرا وأسر الكثير، وأمر بالأسرى أن يذبحوا علي جبل أوارة.

ويبدو أن العلاقة بين بنى شيبان والفرس كانت مضطربة؛ لأننا نجد الأعشى يمدح قيس بن ثعلبة الذى شفع لسبايا بـنى شيبان لأنه كان منقطعاً إلى المنذر، فأطلقهم [5]، وفى ذلك يقول الأعشى [6]:

ومنَّا الـذى أَعْطَاهُ فـــى الجَمْع ربُّهُ   عَلَى فَاقَة وَلِلْمُلُوك هِبَاتُهَا
سَبَايـــاَ بَنِى شَيْبـــانَ يَوْمَ أُوَارَةٍ   عَلَى الـــنَّارِ إذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَـــاَ

---

(١) جواد على جـ٤، صـ ٢٠٧ مقتبسا من M.J Kister
(٢) ديوانه: صـ ١٢٩ ق ٩.
(٢) أوارة اسم جبل لبنى تميم.
(٤) هو سلمة بن الحارث بن عمـرو، وكان أبوه الحارث ملكا من ملوك كندة، فلما مات فـرق بنيه فى القبائل، فكان سلمة أصغرهم على بنى تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد (أيام العرب فى الجاهلية ص ٩٩).
(٥) ابن الأثير ج١ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ - أيام العرب فى الجاهلية ص ٩٩.
(٦) ديوانه صـ ١٣٧. ق١٠

وأغلب الظن أن الملك آنذاك كان إذا سبى قبيلة أمر بعرض النساء عليه حتى يختار منهن ما يريد أن يحتجزه لنفسه. ونفهم من البيت الثانى للأعشى أنهم كانوا يوقدون له ناراً تعرض عليها النساء حتى يراهُنَّ الملك خفية، فيختار منهن ما يريد. وقد ذكر الدكتور هدّارة: أن رواية البيت على النحو التالى:

سَبَايَا بَنِي شَيَبانَ يَوْمَ أُوارَةٍ   عَلَى النَّارِ إذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَا

وبذلك يكون الضمير فى (له) عائدا إلى الملك لا إلي النار [1]. وهذا يؤيد المعنى السابق.

وقد ذكر النويرى دليلاً آخر يؤيد ما ذهبنا إليه، فيقول عند حديثه عن نار الفداء: «إن ملوكهم كانوا إذا سبوا قبيلة وخرجت إليهم السادات فى الفداء وفى الاستيهاب، كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن، وأما فى الظلمة فيخفى قدر ما يحبسون من الصفيّ لأنفسهم، وقدر ما يجودون به، وما يأخذون عليه الفداء، فيوقدون لذلك النار» [2].

فظلت العلاقة مضطربة - كما رأينا - بين بكر والفرس، وأخذت بكر تغير على السواد وخاصة بعد هلاك النعمان بن المنذر، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين، على كسرى فسأله أن يجعل له أكلا وطعمه، على أن يضمن بكر بن وائل ألا يغيروا على السواد ولا يفسدوا فيه، فأقطعه الأُبُلّة[3] وما والاها. وقال: هى تكفيك وتكفى أعراب قومك فكانت له حجرة فيها مائة من الإبل للأضياف، إذا نحرت ناقة قيدت أخرى. وقد عده ابن حبيب من ذوى الآكال من وائل كما عده من أجواد الجاهلية [4]، وإياه

(١) دراسات فى الشعر العربى ج ٢، ص ١٥ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢م.
(٢) النويرى جـ١ صـ ١١٢.
(٣) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة.
(٤) المحبر لابن حبيب ص ١٤٣، صـ ٢٥٣.

عنى الشماخ بن ضرار الذبيانى بقوله (١):

فَادْفَعْ بــــأَلْبَانِهَا عَنْكُم كَمَا دَفَعَتْ	عَنْهُم لِقـــــاحُ بَنِى قَيْسِ بن مَسْعُودِ

فكان يأتيه من أتاه من بكر فيعطيه جلة تمر وكرباسة (٢)، حتى إذا قدم عليه الحارث بن وعلة (من ذهل بن ثعلبة) والمكسر بن حنظلة (من عجل بن لجيم) فأعطاهمــا (جلتى تمر وكرباستين) فـغضبا وأبيــا أن يقبلا ذلك منه، وخــرجا واســتغـويا ناسا من بـكر بن وائل، ثم أغارا على الـسواد، فلمـا بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل وخاصة بعد أن بلغه أن النعمان بن المنذر استودعهم حلقته (وهى دروعه وأسلحته) وأهله (٣).

وأخذ كسرى فى تعبئة الجيوش إليهم استعدادا ليوم ذى قار.

وقال قيس بن مسعود (٤) ينذر قومه من بطش كسرى:

تَعنَّاكَ مِنْ ليـلىَ ومع اللَّيل خــائلُ	وَذِكْــــرٌ لَهَا فِى القَلْـب لَيْسَ يُزَايلُ
أُحبْك حُبَّ الخَمرِ مـا كَانَ حُبَّهــا	إلــــــىَّ وكُلٌّ مِنْ فُؤَادى دَاخِلُ
أَلا ليــتَنِى أرْشُوَ سلاحـى وبَغْلَتى	فَـــيُخْبَر قَوْمِى اليـــومَ مَا أنا قَائِلُ
فَإِنَّا ثَويــنــا فـــى شُعُوبٍ وإنَّهُمْ	غَرَتْهُمْ جُنُودٌ جَمَّةٌ وقـــبــائِلُ
وإنَّ جُنُودَ الـعُجْمِ بَيْنِى وبَــيْنـكَم	فَيَا فَالِجِى(٥) يَاقَومُ إنْ لَمْ تُقَاتِلــوا

(١) ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى، بتحقيق صلاح الدين الهادى - طبعة دار المعارف ١٩٧٧م صـــ ١١٩.

(٢) الجلة: وعاء من خوص يكنز فيه التمر، والكرباسة ثوب من القطن (اللسان جـ٥ صـــ ٣٨٤٨.).

(٣) الأغانى جـ٢٤ ص ٥٤ وما يليها، أيام العرب ص ٢٥، ص ٢٦.

(٤) الأغانى ج ٢٤ صـــ ٥٩.

(٥) الفلج : داء الفالج: وهو شلل يصيب أحد شقى الإنسان طولا (اللسان جـ٥ صـــ ٣٤٥٦) (فلج).

ونفـهم من رواية الطبـرى (١) أن قـيس بن مسـعـود بن خالد ذا الجـدين الشيبانى كان واليا لكسرى عند غزوه بكرا، وقد أمره كسرى أن ينضم لجيوش الفرس مع إياس بن قبيصة الطائى ويصحبـها فى غزوها، فسار إلى قومه سرا وأعلمهم بقـدوم الجيوش وأشار عليـهم أن يستخـدموا حلقة النعمـان، فلما انهزمت الفرس وعلم كسرى بما فعله قيس استدعاه وسجنه حتى مات.

ونرى الأعشى يـذكر هذه الحادثة فى شـعره ويلوم قـيس بن مسـعود على مسيـره إلى كسرى طلبا لرضاه وخـاصة بعد أن سفك دماء قـومه الذين كانوا كفيلين بحمايته ومنعه ،يقول: (٢)

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالد ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
أَطُورَيْـنِ فـى عَامٍ غَزَاةٌ وَرِحْلَةٌ ... أَلا لَيْتَ قَيْسـاً غَرَّقَتْهُ القَوَابِلُ
وَلَيْتَكَ حَالَ الْبَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ ... وَكُنْتَ لقىً تَجْرِى عَلَيْـه السَّوَائِلُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ قَرَابِينَ جَمَّةً ... تَعِيثُ ضِبَاعٌ فِيـهِمُ وَعَوَاسِلُ
تَرَكْتَهُمُ صَرْعـى لَدَى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وأَقْبَلْتَ تَبْغـى الـصُّلْحَ أُمُّكَ هَابِلُ
أَمِنْ جَبَلِ الأَمْرَارِ صُرَّتْ خِيَامُكُمْ ... عَلَى نَبَـإٍ أَنَّ الأَشَافِى سَائِلُ
فَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَجِفَّ وِطَابُكُمْ ... إِذَا حُنِيَتْ فِيـهَا لَدَيْه الـزَّوَاجِلُ
لَقَدْ كَانَ فى شَيْبَانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيـاً ... قِبَابٌ وَحَيٌّ حِـلَّةٌ وقَنَابِـلُ
وَرَجْرَاجَةٌ تُعْشِى الـنَّوَاظِرَ فَخْمَةٌ ... وَجُرْدٌ عَلَى أَكْنَافِهِنَّ الـرَّوَاحِلُ
تَرَكْتَهُمُ جَهْلاً وَكُنْتَ عَمِيـدَهُمْ ... فَلا يَبْلُغَنِّى عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
وَعُرِّيْتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ... كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ الْمَغَازِلُ
شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا ... وِسَاداً ولَمْ تَعْضَضْ عَلَيْهَا الأَنَـامِلُ
بِعَيْنَيْكَ يَوْمَ الْحِنْوِ إِذْ صَبَّحَـتْهُمْ ... كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمْ تَعُقْهَا الْعَوَازِلُ

---

(١) تاريخ الطبرى ج٢ صـ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) ديوان الأعشى صـ ٢٣٣ وما بعدها ق ٢٦.

ونستطيع أن نقول إن بكرا استطاعت أن تتخلص من قيود الفرس والخضوع لها خاصة بعد هذا الانتصار العظيم ، وسنعرض لموقف البكريين فى يوم ذى قار بالتفصيل عند الحديث عن العلاقات السياسية بين العرب والفرس .

****

ثالثاً: طئ.

تنسب طئ فى الأصل إلى همدان إحدى القبائل المهاجرة من الجنوب بعد حادث سيل العرم، واستقرت فى شمال الجزيرة وجاورها فى الشمال الغربى ديار بكر، ومن ناحية الشرق لديار طئ تقع منازل أسد وغطفان.

وكانت طئ فى الجاهلية ذات مكانة خطيرة؛ لأن ديارها كانت فى شمال الجزيرة من ناحية الشام وكأنها الحدود الفاصلة بين عرب الحيرة الخاضعين للنفوذ الفارس وعرب الشام الخاضعين للنفوذ البيزنطى، وبدليل اطلاق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان وعند يهود بابل على جميع العرب، ولا يعقل اطلاق اسم هذه القبيلة على جميع العرب لو لم تكن لها منزلة ومكانة فى تلك الأيام، ولو لم تكن قوة كثيرة العدد ممعنة فى الغزو ومهاجمة للحدود، حتى صار فى روع السريان أنها أقوى العرب فأطلقوا اسمها عليهم [1].

وقد ذكر صاحب الأغانى [2] أن أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: «أنا أدخلك بين جبلى طئ حتى يدين لك أهلها» ونفهم من هذا القول أن طيئا لم تكن تدين للملوك الحيرة التابعين للفرس نظرا لمكانتها القوية وسط القبائل العربية، فلم يستطع النعمان ولديه ما لديه من الجيوش أن يخضع هذه القبيلة ويجلعها تدين له، وقد بلغ حاتم الطائى قول أوس بن سعد فأنشد هذه الأبيات يذكر فيها قومه ومنعتهم وشدة وطأتهم ، يقول[3]:

وَلَقَدْ بَغَى بِخُلَّاد أَوس قَومُهُ ذُلًّا، وَقَدْ علمتْ بذلكَ سِنْبِسُ [4]
حَاشَا بَنِي عَمْرو بْنِ سِنْبِسَ إنهم مَنَعوا ذِمارَ أَبِيهِمَ أَنْ يَدْنَسوا

(١) جواد على جـ ٤ صـ ٤٥١.
(٢) الأغانى جـ ١٧، صـ ٣٩٢.
(٣) ديوان حاتم الطائى صـ ٢٧٨ - ٢٧٩ ق ٨٩ بتحقيق عادل سليمان جمال مطبعة المدنى القاهرة.
(٤) خلاد: أرض فى بلاد طئ عند الجبلين لبنى سنبس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طئ (ابن حزم ص ٤٠٢).

وتـــواعَدُوا ورْدَ الــــقُرَيَّة غُدوَةً وحلفْتُ بـاللّه العــــزيز لنَحــــبسُ
والـلّهُ يـعـلَمُ لـو أتـى بسُلافهـم طَرَفُ الْجَريض لـظَلَّ يَوْمٌ مشْكَسُ[1]
كـــالنَّار والشّمــس التى قَالَتْ لَهَا بيــد اللُّويـس عَالمـــاً مـــا يَلْمسُ
لا تَطْعَمــنَّ المــاء إنْ أوْرَدتَهــم لتَمـــــامِ ظَمْئكُم فَفُوزُوا واحْلسُوا
أوذو الحَصيـــر، وفـــارسٌ ذُو مرَّةٍ بكَتيـــبـــــة مَنْ يُدركُوه يُغْرَسُ [2]
ومُوطّأ الأكنـاف غـيـــر مـلعَّنٍ فـى الحىِّ مَشَّاءٍ إلـيـــــه المَجْلسُ

وكانت صلة هذه القبيلة بالفرس حسنة، وبالرغم من مكانتها الخطيرة وسط العرب، إلا أنها كانت تحافظ على علاقتها بالفرس، وتخشى بطش ملوكها. والدليل على ذلك أن النعمان بن المنذر (أبا قابوس) لما طلبه كسرى - وكان مدركاً لمصيره - أراد أن يلجأ إلى طيئ لمصاهرة بينه وبينهم وأن يمنعوه من الفرس، فلم تقبل جواره ولا مساعدته، وقالت له: «لولا صهرك قاتلناك، فإنه لا حاجة لنا فى معاداة كسرى، ولا طاقة لنا به» [3] . ودليل آخر على حسن العلاقة بين طئ والفرس هو اختيار كسرى لإياس بن قبيصة الطائى [4] لتولى حكم الحيرة مرتين، وقد كان عامله على عين التمر وما والاها إلى الحيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات [5] فلابد أن يكون لمركزه ومركز قبيلته سند قوى سانده فى الحكم، ثم اختياره قائدا لجيوش الفرس والعرب التابعين لهم ضد بكر بن وائل فى معركة ذى قار.

(١) السلاف: المتقدمون، والجريض: غصص الموت، والمشكس: السيئ الخلق العبوث.

(٢) ذو الحصير: رجل من بنى عمرو بن سنبس، المرة: الشدة والقوة، يغرس: تدق عنقه، ويبدو أن قبل هذا البيت بيتا أو أبياتاً مفقودة.

(٣) الطبرى ج ٢ صـــ ٢٠٥.

(٤) ابن حزم صـــ ٤٠٠.

(٥) الأغانى جـــ ٢٤، صـــ ٦٠.

وأغلب الظن أن هذه العلاقة ساءت واضطربت بعد مذبحة الفرس فقد أرسل كسرى إلى مال إياس بن قبيصة ليأخذه فنفرت من ذلك طئ، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم، فلما رأى ذلك كسرى كتب لهم كتابا فيه أمان ولكنهم لم يطمئنوا إليه، وفى ذلك قال زيد الخيل [1] يذكر إياس بن قبيصة ويحض قومه وينهاهم أن يقبلوا كتاب كسرى:

أَفِى كُلِّ عَامٍ سَيِّدٍ يَفْقِدُونَهُ   تَحكَّكَ مِن وَجْدٍ عَلَيْهِ الْكَلاكِلُ
ثُمَّ يكُونُ العَقْلُ مِنْكمُ صَحِيفَةً   كَما عُلِّقَتْ عَلَى السليم الجَلاجِلُ [2]

وقد ساعد طيئاً فى الاحتفاظ بمكانتها اضطرابُ أمر الفرس بعد الهزيمة واختلافهم فيمن يولونه أمرهم حتى ولوا أمرهم امرأة وهى بوران دخت، وكان الرسول - ﷺ - قد بعث وقال "لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" وقد زال ملكهم بعد فتح القادسية فى زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه.

****

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة جـ٣ صـ ١٠٠٨ الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر أباد الدكن سنة ١٩٤٩م

(٢) من العادات الجاهلية تعليق الجلاجل والحلى على اللديغ ثم تحرك لئلا ينام فيدب السم فى جسده. يقول : فهذا الكتاب الذى كتبه لكم كسرى كذلك يخدعكم به ويعللكم.

رابعاً: تميم [١].

تعد قبيلة تميم من القبائل العربية الكبرى المعروفة، فهى قاعدة من أكبر قواعد العرب [٢] انتشرت بطونها فى الجزء الشرقى من الجزيرة العربية (الدهناء) وفى نجد وفى العراق، وكانت مجاورة لقبائل أسد وغطفان وبنى عبد القيس وبكر.

وتنسب هذه القبيلة فى الأصل إلى العدنانية، ومن أشهر بطونها بنو يربوع بطن من حنظلة من تميم، وبنو زرارة بطن من بنى دارم من تميم [٣]، وتميم من القبائل التى لها صلة بملوك الحيرة وملوك الفرس منذ أيام سابور ذى الأكتاف، فقد ذكر المسعودى أن سابور فى مسيره فى البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ تميم، فأمعن فى قتلهم، وفرت بنو تميم [٤].

وكان لهم أيام عديدة وقعت بينهم وبين القبائل الأخرى المؤيدة للساسانيين فقد حاربت بكر بن وائل ومن معها من الأساورة فى يوم الصليب، وكان لهم يوم الصفقة مع الفرس أنفسهم، وكان سببه نهب بنى تميم إحدى قوافل كسرى التجارية القادمة من اليمن إلى فارس، فأراد كسرى الانتقام منهم فأوقع بهم فى ذلك اليوم بحصن المُشَقَّر بالبحرين [٥].

وكان لبنى يربوع من السؤدد والقوة ما جعل لها مكانتها وسط القبائل العربية فقد وصف أعرابى خيلاً لهم فقال "خرجت علينا خيل من مستطير

---

(١) التميم فى اللغة : الشديد ونقل فسمى الرجل به، وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى العذيب من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك فى الحواضر « نهاية الأرب للقلقشندى ص ١١٨».

(٢) ابن حزم صـ ٢٠٧.

(٣) القلقشندى صـ ٢٧٠، ص ٤٥٠.

(٤) مروج الذهب ج١ صـ ٢٥٦.

(٥) سنتحدث عن هذا اليوم بالتفصيل فى العلاقات السياسية عند الحديث عن الأيام التى كانت بين العرب والفرس أنفسهم.

نقع، كأن هوادتها أعلام، وآذانها أقلام، وفرسانها أسود آجام" [1].

وكان لهم علاقـات وطيدة بملوك الحيرة وملوك الفـرس مما جعلهم يحظون بمنزلة اجتماعية اقتصرت عليهم دون غيرهم، وهى "الردافة"

يقول أبو عبيدة [2]: "وكانوا عـمال الأكاسرة ولم يكن أحـد من العرب أكثر غـارة على أهل مملكتهم من بنى يربوع فصالحـوهم على أن جعلوا لهم الردافة، وأن يكفـوا عن الغارة على أهل العراق. وكـانت الردافة أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فـإذا شرب شرب الردف قـبل الناس وإذا غزا الملك جلس الردف فـى مجلـسه وخلّفـه الملك عـلى الناس حـتى يرجع من غزاته".. ويأخذ الردف المرباع مما يصيبه الملك.

فهى مكانة ودرجة مهمة لا تعطى إلا للقبائل المتنفذة القوية، ومع ذلك فقد وقعت بينهـا وبينهم معارك وخطوب كثـيرة لما فى طبع القبائل مـن شق عصا الطاعة عند شعورها بقوتها والتماس الوهن فى الحكومات.

وكـان أول من ردف منهم عـتاب بـن هرمى بن رياح اليـربوعى، ثم ابنه عوف بـن عتـاب ثم ابنه يزيد بن عوف على عـهد المنذر بن مـاء السـماء، فكانت فيهم يتوارثونها كـابرا عن كابر حتى قام الإسلام[3] ، وفى ذلك قال شريح بن الحارث اليربوعى [4]:

---

(١) النقع: غبار الحرب ، الأجام: جمع أجمة - بفتحات - وهى مسكن الأسود "زهر الآداب للحصرى ج٢ ص ٣٦٠" شرح المرحوم زكى مبارك وتحقيق محمد محيى الدين عبدا لحميد - الطبعة الرابعة - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٢م.

(٢) النقائض جـ ١ صـ ٢٩٩.

(٣) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى صـ ١٨٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥م - المعارف لابن قتيبة ص ٦٥١.

(٤) النقائض جـ ١، صـ ٣٠٠، صـ ٦٨.

وكُنْتُ إذا مــــــا بــابُ مَلك قَرَعْتُهُ قَرَعــــتُ بــآبــاء ذَوى حَسَب ضَخْمِ
بــأَبْناء عتّاب وكــــــــــانَ أَبُوهُمُ عَلَى الـشَّرَف الأَعلَى بـآبائه يـنمـى
هُمُ مُلَّكـوا أَمْلاكَ آلِ مُحـــــــرّقٍ وزادُوا أبا قــابوسَ رَغْمــاً عَلى رَغْمِ

واستمـرت العلاقة بين تميم والفرس على هذا النحـو إلى أن جاء الإسلام وخضع هؤلاء القوم للمسلمين بعد الفتح الإسلامى.

****

خامساً : تغلب .

تعد تغلب من القبائل العربية الكبيرة، ومثلها مثل سائر القبائل العدنانية الأخرى مهاجرة على عرف النسابين، تركت ديارها وارتحلت إلى الشمال فسكنت فى العراق، وفى بادية الشام وكان لها علاقات مع الفرس والمناذرة والروم والغساسنة، إلا أن هذه العلاقات كانت تضطرب أحياناً وتستقر أحيانا أخرى. فرأينا كيف حاربت تغلب مع المنذر بن ماء السماء فى النصف الأول من القرن السادس عند تتبعه للحارث بن عمر الكندى فى أرض كلب، وانتهبت تغلب أموال الحارث وهجائنه وأخذت ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار ليقدموهم للمنذر الذى مثل بهم أشنع تمثيل.

ومع ذلك فتغلب مثل سائر القبائل التى إذا ما شعرت بقوتها شقت عصا الطاعة فنراها تثور مرارا على ملوك الحيرة وتحاربهم، فكان لها من القوة ما جعل خضوعها لهم خضوعا اسميا فقط يتمثل فى حمل الإتاوات إليهم. وينتمى إلى هذه القبيلة شعراء كثيرون مثل جابر بن حنى وعمرو بن كلثوم الذى قضى على عمرو بن هند ملك الحيرة، وافتخر شاعرهم بذلك فقال جابر بن حنى التغلبى: (١)

وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ قَرِيبٍ مَحَلُّهُم ... وَلَسْنَا كَمَنْ نُرْضِيكُم بِالتَّمَلُّقِ
فَسَائِل شُرَحْبِيلاً بِنَا وَمُحَلِّماً ... غَدَاةَ نَكُرُّ الخَيْلَ فِى كُلِّ خَنْدَقِ
لَعَمْرُكَ مَا عَمْرُو بنَ هِنْدٍ وقَدْ دَعَا ... لِتَخْدِمَ لَيْلَى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ

(١) الحيوان للجاحظ ج٣ ص ١٣٥، وذكر ابن قتيبة أن القائل هو أفنون التغلبى "الشعر والشعراء ج١ ص ٢٣٥، ص ٤١٩".

فَقَامَ ابنُ كلثُومٍ إلى السَّيفِ مُغْضِباً   فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانه بــــــــــــالمخَنَّقِ
وَعَمَّهُ عَمْداً عَلَـىَ الــرَّأسِ ضَرْبَـةً   بذِى شُطَبٍ صَافِى الحَدِيْدَةِ مــخْفَقِ

وقد كان الأكاسـرة وملوك الحيرة يسترضون الرؤسـاء من سادات ومشايخ هذه القبيلة بالهبات والمال [1].

****

(١) جواد علي جـ٤ صـ٤٩٩ ـ ص٥٠٠.

سادساً : عبد القيس .

يظهر من دراسة الروايات التى يرويها أهل الأخبار عن هجرة القبائل العربية أن عبد القيس نزحوا إلى البحرين[١] وكانت البلاد إذ ذاك لإياد فجلت إياد من البحرين، واتجهت نحو العراق، فكان ما كان لها من مواقف مع الفرس فأصبح أغلب سكان البحرين من بنى عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم، وهذه البلدة وساكنوها لهم علاقات قديمة بالفرس فقد ذكر حمزة الأصفهانى[٢]: أن أردشير ابتنى بالبحرين مدينة سماها (بتن أردشير)[٣] يقال إنه بنى سورها على جثث أهلها؛ لأنهم فارقوا طاعته، ويفهم من هذ ه الرواية - التى لعب الخيال دوراً كبيرا فيها - أن أردشير قد استولى على البحرين وذلك فى بداية عهد الدولة الساسانية فكان من سياسته القضاء على ملوك الطوائف والقضاء على مقاومة القبائل العربية النازلة فى المناطق الجنوبية من إيران، وإقامة الكثير من الموانئ على الأنهار والبحار، فكان من السهل عليه الاستيلاء على البحرين والأرضين العربية الأخرى من جزيرة العرب. ويفهم من رواية المسعودى [٤] أن سابور ذا الأكتاف فى حملته العسكرية على العرب أتى البحرين وأمعن القتل فى أهلها.

وكانت عبد القيس على اتصال بملوك الفرس والمناذرة الذين كان نفوذهم يمتد إلى البحرين واليمامة فى بعض الأحايين عندما تنفر القبائل من دفع الإتاوة ومن الخضوع لآل لخم.

---

(١) البحران: موضع بين البصرة وعمان يقال هذه البحران وانتهيا إلى البحرين "الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى ص ٢٠" بتحقيق السيد محمد صادق - المطبعة الحيدرية - نجف - عراق.

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٤٣

(٣) أغلب ظنى أنها «بُت أردشير» أى صنم أردشير

(٤) مروج الذهب جـ ١ صـ ٢٥٦.

وكان يزيد بن الخذاق الشنى وهو من عبد القيس قد هجا النعمان بن المنذر فبعث إليهم النعمان كتيبة الدوسر الفارسية فاستباحتهم، فقال أخوه سويد[1] :

ضَرَبَت دوسرُ فينا ضَرْبَةً أثْبَتَت أوتاد مُلْك فاسْتَقَر
فَجَزَاك اللهُ مِنْ ذِى نِعْمَةٍ وَجَزَاهُ اللهُ مِنْ عَبْدٍ كَفَر

وكان علي البحرين أيام ظهور الإسلام المنذر بن ساوى وهو من بنى عبدالله بن زيد من بنى تميم، كانوا ملوك المُشقّر بهَجْر، وكانت ملوك الفرس قد استعملتهم عليها[2].

فيما تقدم من عرض تاريخى رأينا كيف كانت صلات العرب بالفرس، خلال الأطوار التاريخية لعصر ما قبل الإسلام ، ولما كان "الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون [3] " فمن الطبعىّ أن يضم هذا الشعر كثيرا من الإشارات التي تشير إلى هذه الصلات، وتتحدث عن جيرانهم من الفرس حديثا يتناول كل شأن من شئونهم، كشئون الحرب والمنازعات السياسية والتبادل التجارى والتأثيرات الاجتماعية ومظاهر الترف والحضارة إلى غير ذلك من الشئون التى عرفها العرب عن الفرس وقلدوهم فى كثير منها. وسنعرض فيما يلى من هذا البحث لهذه الشئون وكيف صورها الشعر الجاهلى.

*****

(١) المفضليات هامش صـ ٢٩٥.
(٢) المحبر لابن حبيب صـ ٦٥.
(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام جـ١، صـ٢٤.

الباب الثانى

العلاقات المتبادلة بين العرب والفرس
وآثارها فى الشعر الجاهلى

الفصل الأول : العلاقات السياسية

الفصل الثانى: العلاقات الاقتصادية

الفصل الثالث: العلاقات الاجتماعية

الفصل الأول

العـــلاقات السيــاسية

"الفصل الأول"

العلاقات السياسية

يعد الشعر فى طليعة وسائل الدعاية والإعلام بالنسبة لرجال الحكم وأصحاب السياسة فى كل زمان ومكان، فالسياسى يريد تحقيق أهدافه بأي وسيلة كانت وينظر للشعر على أنه من وسائل الخدمة السياسية ،لذلك فقد استعان به ملوك الحيرة فى بسط نفوذهم على الجزيرة العربية.

وقد كان لاتصال العرب بالفرس أثر فى الشعر الجاهلى من حيث إنه فسح مجالا للقول تحميسا على الاستبسال، أو إشادة بالانتصار، أو تقويما للحاكم والسلطان، ورسم الصورة المثالية التى ينبغى أن يكون عليها، ونحن لا نعرف حربا أو غزوا وقع للعرب إلا وقيل فيه الشعر، واقترنت أخباره بأبيات يقولها المحاربون للأغراض السابقة، فالمحارب فى عصر ما قبل الإسلام كان يحارب بلسانه بجانب سيفه ورمحه. وهذا ما جعل ذكر أيام العرب فى هذا العصر باقيا إلى اليوم(1).

وقد استفاد العرب من خلال اتصالهم بالفرس، وخاصة فيما يسمى بالاتصال السياسى، الذى نشأ من استغلال الفرس للعرب والاستفادة بهم سواء أكان ذلك بحمايتهم للحدود أم بمهاجمتهم للأعداء من الروم والعرب، ولعل الهدف الأساسى من إنشاء إمارة الحيرة التابعة للفرس وإنشاء إمارة الغساسنة التابعة للروم كان هدفا سياسيا، لذا نجد العداء ينشب بين هاتين الإمارتين باستمرار لصالح كل من الفرس والروم.

وبالرغم من استغلال الفرس للعرب بهذه الطريقة، إلا أن العرب استفادوا كثيرا من خلال اتصالهم بهم، وأول ما يبدو للباحث من أثر هذا الاتصال هو:-

---

(1) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: د/ جواد على - جـ9، صـ70.

استخدام العرب للبريد.

فقد عرف عرب ما قبل الإسلام (البـريد) واستخدموه، فكان ملوك الحيرة مثل غيرهم من الملوك كالغساسنة والساسانيين والروم، يتراسلون مع القبائل وعمالهم بالبريد[١].

ويرجح اللغويون أن لفظة البريد من الألفاظ المعـربة عن الفارسية وأصلها (بريده دم) أى محذوف الذنب؛ لأن بغـال البريد كـانت محـذوفة الأذناب كالعـلامة لها فأعـربت وخففت، ثم سـمى الرسول الذى يركبـها (بريدا)، والمسافة بين السكتين (بريدا)، والسكة موضع كان يسكنه (الفيوج) المرتبون من بيت أوقبـة أو رباط، وكان يرتب فى كل سكـة بغال، وبعد مـا بين السكتين فرسخان، وقيل أربعة[٢]؛ يقول أحد الشعراء فى ذلك :

إنِّى أنُصُّ الـعِيـسَ حَتَّى كَأَنَّنى ... عَلَيْهَا بِأَجْوَازِ الـفَلاةِ بَـرِيـدُ[٣]

فالبـريد إذن يطلق على الرسـول، وما يحملـه الرسول يسمى أيـضا بريدا ويطلق أيضا على موضع البريد، ودابة البريد.

وقد وصف امرؤ القيس فى شعره بغال البريد وتحدث عنه، قال:[٤]

عـلـى لاحـبٍ لا يُهْتَدَى بِمـنَارِه ... إذا سَـافَهُ الـعَوْدُ النَّبَاطِىُّ جَرْجَرَا
عَلَى كُلِّ مَقْصُوصِ الـذُّنَابَى مُعَاوِدٍ ... بَرِيدَ السُّرَى بـاللَّيْل من خَيْل بَرْبَرَا

---

(١) جواد علي: جـ٣ صـ٣٠١.

(٢) شفـاء الغليل للخفـاجى ص٣٩، اللسان جـ١ ـ ص٢٥٠ (برد) وذكر أن الفـرسخ ثلاثة أميـال، والميل أربعة آلاف ذراع.

(٣) المصدر نفسه (العـيس ماء الفحل، يقال قد عاسها يعـيسها عيسا. والعيس: جمع أعـيس وعيساء وهى الإبل البيض يخالط بيـاضها شيئا من الشقـرة (إصلاح ـ المنطق) لابن السكيت ج١ ـ ص١٧ بتحقيق أحـمد شاكر وعبدالسلام هارون ـ طـ٣ دار المعارف بمصر.

(٤) ديوان امرئ القيس: صـ٦٦ ـ ق٤.

ونستدل مـن هذه الأبيات على أن الشـاعر عرف البريد واستـعمله، ورأى هذه البغال المبتورة الأذناب، والتى كانت تستخدم فى البريد. وورد أيضا ذكر البـريد فى شـعر لمزرد بن ضـرار أخى الشـماخ حين يمـدح عَرَابَة الأوسى، قال[1]:

فَدَتْكَ عَرابَ الْيَوْمَ أُمِّى وَخَالَتِى ... ونَاقَتِى الـنَّاجِى إِلَيْكَ بَرِيـدُهـا

يريد سيرها فى البريد.

وقد ذكر اللغويون فـى تفسيرهم للفظة (البريد)، لفـظة (الفيوج) وذكروا أيضـا أن (الفـيج) رسـول السـلطان عـلى رجـله، وقـالوا إنـه معـرب عن الفارسية[2]، وقيل: هو الذى يسعى بالكتب، وقيل هو المسرع فى مشيه الذى يحمل الأخبار من بلد إلى بلد[3].

فيبـدو أنهم فرقوا بين (الـبريد) وهو الرسول الـذى يركب البغال المـبتورة الأذناب، وهو بالطبع يستخدم لنقل البريد إلى مسافات طويلة، وبين (الفيج) وهو الذى يسير على رجليه، وهذا الأخير يمـكن أن نسميه بريدا محليا؛ لأنه لا يستطيع التنقل إلى مسافات بعيدة.

ونسب صاحب اللسان إلى عدى بن زيد قوله[4]:

أَمْ كَيْفَ جُزْتَ فُيُوجـاً حَوْلَهُمْ حَرَسٌ ... وَمَرْبَضــا، بَابُهُ بـالـشَّكِّ صَرَّارُ؟

ونفهـم من هذا البيـت أن الفيوج كانـوا يتربصـون للناس فى كـل مكان يراقبون حركاتهم ويـدرسون سكناتهم، فكأنهم يسترقون الأخـبار لنقلها إلى

(١) اللسان: جـ١ ص٢٥٠ (برد).
(٢) الفيج: رسول السـلطان القادم على رجليه، معرب عـن (بيك) (الألفاظ الفارسية المعربة، لأدى شـير) المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعين - بيروت - سنة ١٩٠٨، ص١٢٢.
(٣) اللسان: جـ٥، ص٣٤٩٧ (فيج).
(٤) المصدر نفسه: (ولم أجد البيت فى ديوانه).

الجهات المختصة التى عينتهم فى هذا المنصب، وكان يلازمهم حرس منتبه حماية لهم من محاولة الاعتداء عليهم. فهم موظفون مخبرون كانوا عيونا للأمراء والملوك، يطلعونهم على أحوال الرعية، وما قد يدبر ضد الدولة وخاصة من ذوى السلطان، فكانت الفيوج بالداخل تسترق الأخبار وأحيانا ترسلها عن طريق البريد إلى الخارج، إذا احتاج الأمر لذلك.

وأغلب الظن أن عرب ما قبل الإسلام اتخذوا نظم بريدهم من الفرس، وأن ملوك الحيرة استخدموها فى إدارتهم لدولتهم، بدليل ما ذكره اللغويون من أن اللفظة معربة عن الفارسية بالإضافة إلى أن الأكاسرة كانوا يرسلون البرد إلى النعامنة والمناذرة بالحيرة، وإلى وهرز باليمن وإلى المكعبر(١) بالبحرين وإلى الجلندى بن المستكبر بعمان، فقد كانت بردهم تغمر بادية العرب وحاضرتها، وقد عرف البريد أيضا من ببادية الشام؛ لأن الروم كانوا يستخدمونها بدليل ما ذكره امرؤ القيس فى قوله(٢):

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فى مُلْكه فَأَوْجَهَنِى وَرَكِبْتُ الْبَرِيدا
إذَا مَا ازْدَحَمْنَا عَلَى سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقاً بَعِيداً

فقد كان البريد من وسائل الاتصال بين العرب والفرس، واستخدمته العرب فى عصر ما قبل الإسلام، واتسع استخدامه وتعددت وسائله بعد انتشار الإسلام وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية.

ولدينا مظهر آخر من مظاهر الاتصال السياسى بين العرب والفرس وهو: **القوة الحربية.**

وتتمثل هذه القوة الحربية فى إقامة الحصون، وإعداد الجيوش، والاهتمام بأدوات الحرب وأساليبها.

(١) سيأتى الحديث عنه فى يوم الصفقة.

(٢) ديوانه ص ٢٥٢، والفرانق هى البريد.

أولا: إقامة الحصون .

عنى الساسانيون بتقوية حدودهم المطلة على عرب البادية؛ لأنهم أدركوا من خلال تعاملهم مع العرب أن القوة الصارمة لازمة لكبح جماحهم والحد من غزوهم، لذلك أقاموا مراكز محصنة، وبنوا ما يسمى بالمسالح فى المشارف المؤدية إلى أرياف العراق، وأقاموا فيها حاميات قوية ذات بأس ولها علم بالبادية وبدروبها، تستطيع تأديب الأعراب، ومراقبة حركاتهم وتجمعاتهم لتكون الحكومة على علم بما يريدون فعله، فكانت هذه المسالح بمثابة خطوط الدفاع الأولى للفرس، ومن واجبها حماية ما يليها من تحصينات، وكان يقوم على هذه المسالح أناس من السكان المحليين ليسهل عليهم السكن فى هذه المواضع، وكانوا لا يتقاضون أجراً بل يعيشون على ما يزرعونه بأنفسهم أو ما يدفع إليهم من غلات الفلاحين الذين يعفون من دفع ما عليهم من استحقاق الدولة، كما كان يقوم عليهم مشرفون من قبل الفرس لتوجيههم ولقيادتهم[1].

وعادة ما تبنى هذه المسالح والحصون فى أماكن منعزلة نائية بعيدة عن مواطن الحضر. ويبدو أنهم أقاموها لتشغل الأعراب عن القتال عند غزوهم للحدود وتصدهم عن الاقتحام إلى أن تأتى النجدات العسكرية المنظمة التى تتمكن من الوقوف فى وجه الأعراب وصد غزواتهم.

وقد استفاد العرب بطبيعة الحال من خطوط الدفاع هذه فقد ذكر أحد الباحثين[2]: أن آثار بعض تلك الحصون التى أقامها حكام العراق وبلاد الشام لصد غارات الأعراب عن أرض الحضر مازال يوجد إلى اليوم فى العراق وبلاد الشام وكانت الحيرة عند ظهور الإسلام عبارة عن قصور، كل قصر

(١) جواد على: جـ٢، صـ٦٢٩

(٢) المصدر نفسه: جـ٢، صـ٦٠٣.

تسكنه عائلة كبيرة، وهو مخزن ومستودع وحصن تتحصن به عند وقوع خطر على المدينة، وبأعلى القصر مواضع لرمى الأعداء، يلوذ بها أصحابها لحماية أنفسهم من الأذى.

وأغلب الظن أن هذا الطراز من البناء المحصن أخذه عرب الحيرة عن طريق الفرس؛ لأنهم أرادوا أن يشاركوهم فى البنيان.

ثانيا : إعداد الجيوش .

تنقسم الحروب إلى نوعين متباينين، نوع بالزحف صفوفا، وهو ما يسمى الآن بالجيوش المنظمة، ونوع آخر وهو القتال بالكر والفر، والمصادر التى بين أيدى الباحث تؤكد وجود هذين النوعين فى عصر ما قبل الإسلام، فالقتال بالزحف هو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم. وأما الذى بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب[1].

ولاشك أن القتال بالزحف أشد وأوثق من القتال بالكر والفر؛ لذا فقد عرفته الأعاجم؛ لأن صفوف هذا الزحف أرهب للعدو، وأثبت للفرسان وأصدق فى القتال. وقد عرف الفرس هذه الأنظمة فى القتال، لذا نرى جيوشهم قائمة على نظام معين تتألف من قوات متعددة مدربة على أحدث الوسائل الحربية وأقواها وفقا لقوانينهم العسكرية.

ونحن لا نعلم شيئا من هذا عند الحكومات العربية الجاهلية، ولعل السبب فى ذلك عدم ورود نصوص واضحة تبين لنا ذلك. إلا أننا لا نستبعد تدريب الفرس لجيش الحيرة وتقسيمه وإعداده وفق نظم الجيوش الفارسية وأساليبها على القتال، وتدريب الروم أيضا لجيش الغساسنة وفق أنظمتهم وأساليبهم.

---

(١) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ـ تأليف السيد محمود شكرى الألوسى ـ الطبعة الأولى ـ بغداد ـ مطبعة دار السلام ١٣١٤جـ٢، صـ٦٢.

أما بقية العرب فـى عصر ما قبل الإسلام فلم يسيروا عـلى نظام معين فى تكويـن الجيش وفى عـدد وحداته، أو تدريبـه عسكريـا، ولم تكن لـديهم جيوش نـظامية ثابتـة، فكانوا يولـون أمرهم أشجع شـجعانهم، ويشـتركون جميعا فى القتال، دفاعا عن النفس أو غزوا لأحد؛ لذا كانوا يهابون الالتحام بالجيوش النـظامية لعدم قدرتهـم وكفاءتهم فى مقابـلتها، لما لها من تـنظيم وتدريب وسلاح(١).

ولاشك فى أن الحـيرة قد تأثـرت نتيجة لاتـصالها بالـفرس بهذا الـنظام العسكـرى، فيذكر أهل الأخبـار أن ملوك الحيرة ملـكوا خمس كتائـب كانوا يحاربون بها، من بيـنها كتيبتان فارسيتان، وقيل إن أول مـن قام بالغزو بهذه الكتائب النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر(٢).

فجيش الحيرة على هذا النحو يتألف من:

١ ـ الرهائن.

وهم خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجئ بدلهم خمسمائة أخرى وينصـرف أولئك إلى أحيائهم، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم فى أموره.

٢ ـ الصنائع.

وهم بنو قيس وبنو تيم اللات ابنا ثـعلبة من بكر بن وائل، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه.

---

(١) جواد على: جـ٥، صـ٤١٣

(٢) الطبرى: جـ٢، صـ٦٧، ابن الاثير: جـ١، ص٤٠٠، حمزة: ص٨٨، الألوسى: جـ٢، صـ١٩١.

٣ - الأشاهب.

ويقال لها الشـهباء أيضا[١] وهم إخوة المـلك وبنو عمـه ومن يتبعـهم من أعوانهم، وسموا الأشاهب؛ لأنهم كانوا بيض الوجوه.

٤ - دوسر.

وقد كانت أخـشن كتائب الحيـرة وأشدها بطشا ونـكاية وكانوا من قـبائل العرب وأكثرهم من ربيـعة ويطلق عليها القبيلة، وسمـيت دوسرا اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها.

٥ - الوضائع .

وهم كانوا ألف رجل من الفرس، يضعهم ملك الفرس بالحيرة نجدة لملوك العـرب، وكانوا أيـضا يقيـمون سنـة ثم يأتـى بدلهم ألـف رجل وينـصرف أولئك[٢].

فجيـش الحيرة كان يتـألف من هؤلاء جميـعا، ويبدو أن كتـيبتى الشـهباء والدوسر كانتا من أقوى كتائبه وأشدها بطشا ونكاية فى الأعداء؛ لأن ملوكهم كانوا يغزون بهما من لا يدين لهم من العرب وبلاد الشام[٣].

وقد ورد ذكـرهما فى أشـعار العرب وتـركتا أثـرا فى ذاكرتهـم، وضرب بأحدهما المثل فقيل[٤] (أبطش من دوسر)، وقال أحد الشعراء:

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فِيـــــــنَا ضَرْبَةً أثْبَتَتْ أَوْتَادَ مُلْكٍ فاسْتَقَر

---

(١) اختلف المؤرخون فى هذه الـكتيبة فذكر بعضهم أنها فارسـية (الطبرى ج٢ ص٦٧، ابن الأثير ج١ ص٤٠٠، حمزة ص٨٨، واتبعهم د/ عبدالعزيز سالم ج١ ص٣٣٠، وذكر بعضهم أنها عربية (الألوسى ج٢ ص١٩١، جواد على ج٥ ص٤١٠).

(٢) بلوغ الأرب للألوسى ج٢ ص١٩١، جواد على: ج٥ ص٤١٠.

(٣) الطبرى: ج٢ ص٦٧، ابن الأثير ج١ ص٤٠٠، حمزة: ص٨٨

(٤) بلوغ الأرب: للألـوسى ج٢ ص١٩١، نهاية الأرب: للنويـري ج٣ ص١٢، مجمع الأمثال للمـيدانى، أبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى - منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٦١ جـ١ صـ١٦١

ونفهم من قول الحارث بن حلزة أن أحد فـرسان العرب وهو حجر بن أم قطام قاد كتيبة فارسية خضـراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ، ويحتمل أنه حارب بدروع وبيض من صنع الفـرس، وكانت خضراء لصـداها، يقول الشاعر فى معلقته[1]:

ثُمَّ حُجـراً أَعْنِى ابنَ أمِّ قَطَامٍ ... ولَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْراءُ
أَسَدٌ فـى اللقاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ ... ورَبِيعٌ إنْ شَنَّعَتْ غَبْراءُ

ثالثا: الاهتمام بأدوات الحرب وأساليبها.

وكمـا اهتم ملوك الحيرة بالجيش وأفراده اهتمـوا أيضا بأسـاليب القـتال وأدواته، ونفهم من شعـر الأعشى أن بعض العرب كانوا يستخـدمون العصى والحجارة فى القتال، فهو يقول حين يهجو بنى فزارة:[2]

وبنَو ضُبَيْعَةَ يَعْلَمُو ... ن بِوَارِدِ الْخُلُقِ الشَّرَاسَهْ
إنَّا نُوَازِى مَنْ يُوَا ... زِيهِمْ وَنَنْكَى ذَا الضَّرَارَهْ
لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعِصِىِّ ... ولا نُرَامِى بِالْحِجَارهْ
إلا بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ذِى ... شُطَبٍ مِنَ الْبِيضِ الذَّكَارهْ

ويبدو أن هذا من الأسلحـة البدائية التى اسـتخدمهـا بعض العرب، ولذا نرى الشاعر يعـيرهم بذلك؛ لأن العرب أخذوا يطورون أسلحـتهم وصارت لديهم خبرة واسعـة بالقتال عن طريق اتصالهم بالأمم الأخرى، فاسـتخدموا الرماح والسيوف والسهام والتروس وغير ذلك من أدوات الحرب.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزنى: صـ١٧٠، شرح القصائد السبع الطوال صـ٤٩٦

(٢) ديوان الأعشى: صـ٢٠٩ ـ ق٢٠، ولم يرد الشطر الاول من البيت الأخيـر فى الديوان وقد أثبتناه من كتاب العصا لأسامة بن منقذ صـ٣٠١ وفيه اختلاف.

وقد اشتهرت عندهم بعض الأسلحة الفارسية واستخدموها منها: (العتل) وواحدها (عتلة) وهى من أجود القسى آنذاك[١]. وعرفوا أيضا الدروع (القردمانية) وهى من أسلحة الفرس وأصلها بالفارسية (كردماند) أى (عمل وبقى) لأن أكاسرة الفرس كانت تتخذها وتدخرها فى خزائنها[٢]. وقد جاء ذكرها فى شعر لبيد بن ربيعة، قال:

فَخْمَةً ذَفْراءَ تُـــرْتَى بِالْعُرَى   قُرْدُمانِيّاً وتَرْكاً كَالْبَصَلِ[٣]

وقد ورد ذكر الدروع الفارسية أيضا فى شعر عمرو بن امرئ القيس[٤]، حيث يقول:

إذَا مَشَيْنَا فى الفارسىِّ كَمَا   تَمْشِي جِمَال قَصَاعِبٌ قُطُفُ

وذكرها أيضا دريد بن الصمة فى شعره حين نصح أخاه عارضا وأصحابه، وأنذرهم أن يأخذوا حذرهم من أعدائهم المهاجمين فى دروع فارسية متينة النسج، ضيقة الحلق[٥]، يقول:

وقلتُ لعرَّاضٍ وأَصحاب عارضٍ   ورَهط بَنى السَّوداء والقومُ شُهَّدى[٦]
عَلانيةً: ظُنُّوا بأَلفَىْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهمُ فى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ

---

(١) المعانى الكبير ج٢ صـ١٠٥٣.

(٢) المعرب للجواليقى صـ٢٥٢ تحقيق أحمد شاكر طبعة طهران سنة ١٩٦٩ عن دار الكتب المصرية، أدى شير صـ١٢٤.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة شرح د/ إحسان عباس طبعة الكويت ١٩٦٢ ق٢٦ ص١٩١ ،المعرب ص٢٥٢، اللسان ج١ ص٤٣٠ (ترك)

(٤) جمهرة أشعار العرب للقرشى ج٢ ص٦٦٣ ـ وهو عمرو بن امرئ القيس خزرجى جاهلى وهو جد عبدالله ابن رواحة.

(٥) الأصمعيات تحقيق شاكر وعبدالسلام هارون ق٢٨ ص١٠٧ طـ٤ دار المعارف بمصر.

(٦) عراض: قوم من بنى جشم كان دريد قد نهاهم عن النزول حيث نزلوا فعصوه. بنو السوداء: أصحاب أخيه عبدالله الذى يرثيه.

وقد استعان ملوك الفرس والحيرة بالرماة الماهرين من العرب، وكونوا منهم فرقا خاصة فى جيوشهم، وظيفتها الهجوم على العدو ورميه بالسهام للفتك به[١] . وقد عرف العرب فنون الحرب الفارسية عن طريق اتصالهم بالفرس، فنراهم فى يوم ذى قاريقسمون جيوشهم تقسيما يضاهى تقسيم الفرس، ومما ساعدهم على الانتصار استخدامهم لحلقة النعمان وهى دروعه وأسلحته، وأغلب الظن أنها كانت فارسية؛ لأن كسرى أرسل فى طلبها بعد قتله النعمان خشية استخدام العرب لها والوقوف بها فى وجهه، وهذا ما حدث بالفعل. ومما هو شائع فى حديث سلمان الفارسى أنه كان أعرف بأساليب الحرب من غيره حين أشار على النبى - ﷺ - بحفر الخندق حول المدينة[٢].

وفى القرن الخامس الميلادى، كان لملوك الحيرة من قوة الجيوش ما جعلهم يتدخلون فى شئون الفرس السياسية، فيذكر الأخباريون أنه لما هلك «يزد جرد الأثيم» وكان فظا غليظا فى معاملته للفرس أجمع الأساورة والرؤساء على إقصاء ذريته عن الملك، وكان من نسله،(بهرام جور) الذى تربى فى أرض العرب وتأدب بأدبهم، ولم يتأدب بأدب العجم، وخلقه كخلق العرب، ولم يل ولاية يبلى بها، فتولى المنذر بن النعمان مساعدته، فجهز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب، ووجههم مع ابنه النعمان إلى طيسبون وبهاردشير مدينتى الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما. . وسار المنذر ببهرام فى ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب وذوى البأس والنجدة منهم إلى مدينتى الملك، والتقى بعظماء الفرس الذين أجمعوا على تنحية بهرام أول الأمر، فلما رأوا ما استمد واستجاش به من العرب تخوفوا أن يكون فى ذلك هلاكهم، وانتهى الأمر بتمليك بهرام خلفا لأبيه[٣].

(١) جواد على ج٥ ص٤٢٧.

(٢) الطبرى: جـ٢، صـ٥٦٦

(٣) المصدر نفسه: ج٢، صـ٧١ وما يليها، ابن الأثير: ج١، صـ٤٠٢، ص ٤٠٣.

ويذكر الأخباريون قصة خيالية فى أمر تولية بهرام ملك الفرس لا مجال لذكرها هنا(١).

ويبدو أن جيش الحيرة كان يشارك الفرس فى حروبهم ضد الروم، كما كان يحارب الغساسنة، ولم تكن هذه الحروب فى مصلحة العرب بل كانت فى مصلحة الفرس والروم من أجل تحقيق أغراض سياسية لكلا الطرفين، واستمرت بينهما مدة طويلة.

وفى باب التنافس السياسى بين هاتين الإمارتين نذكر على سبيل المثال يومى عين أباغ وحليمة(٢)، وفيها انتصرت غسان على الحيرة، وكان انتصارا للروم على الفرس أيضا، وذلك فى سنة (٥٥٤م).

وقد اختلف المؤرخون اختلافا بينا فى هذين اليومين فمنهم من يجعلهما معركة واحدة ومنهم من يجعلهما يومين منفصلين ومنهم من يجعلهما ثلاثة، واختلفوا أيضا فى تعيين ملكى الحيرة وغسان فيهما. وقد أشار ابن الأثير نفسه إلى هذا الخلط الذى نتج عن كثرة الروايات حول هذه الأيام(٣).

وأغلب الظن أن يومى عين أباغ وحليمة كانا حادثة واحدة، وكانت بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وبين الحارث بن أبى شمر الملقب (بالأعرج)(٤) ملك غسان، وفيها قتل ملك الحيرة وابنان للحارث وانهزم عرب الحيرة هزيمة ساحقة وذلك فى مكان يسمى مرج حليمة بالقرب من (الحيار) بمنطقة (قنسرين)(٥)، وقد قيل إنه لما قتل ملك الحيرة سار الحارث إلى الحيرة

---

(١) الطبرى: ج٢، ص٧١ وما يليها، ابن الأثير ج١، ص٤٠٢، ص٤٠٣.

(٢) أباغ: رجل من العماليق نزل بتلك العين (الطبرى: ج١، صـ٦١٤) - وقيل إنها واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام (أيام العرب فى الجاهلية: ص٥١).

(٣) الكامل: ج١، صـ٥٤٧.

(٤) المعارف لابن قتيبة صـ٦٤٨.

(٥) ياقوت: ج٢، صـ٣٢٧، النابغة الذبيانى د/ العشماوى - الطبعة الثانية بدار المعارف صـ٣٠.

بعرب الشام وأحرقها ونهبها وأسر منهم الكثير، ويبدو أنه اصطدم بعرب الحيرة عند ذهابه إليها فى المكان المسمى بعين أباغ(١)؛ لذا اختلط الأمر على بعض المؤرخين وجعلوا كل يوم مستقلا بذاته، وجعلوا أيضا يوم (الحيار) كذلك، واختلط الأمر عليهم بين (الحيار) (وذات الحيار) وهو يوم آخر. وهذه الحادثة افتخر بها عرب الشام على عرب الحيرة كما افتخر الشعراء بقوة غسان الحربية فى ذلك اليوم.

ولاشك فى أن هذه المعركة هى التى أشار إليها الحارث بن حلزة في معلقته الشهيرة ويطلق عليها يوم الحيارين، قال(٢) :

فَملكْنا بذلك الناسَ حتَّى ... مَلَك المنذرُ بنُ ماء السَّماء
وهو الربُّ والشَّهيدُ على يَوْ ... مِ الحِيارَينِ والبَلاءُ بَلاءُ

وفى هذا اليوم قال ابن الرعلاء الضبابى:(٣)

كَمْ تَرَكْنَا بالعَين عين أُباغ ... من ملوكٍ وَسُوقَةَ أكفاءِ
أَمْطرتْهُم سحائبُ الموت تَتْرَى ... إنّ فى الموت راحةَ الأشْقياءِ
ليس مَنْ مَاتَ فَاستَراحَ بميْتٍ ... إنَّما الميتُ ميتُ الأحْيَاءِ

وفى ذلك اليوم قتل فروة وقيس ابنا مسعود بن عامر من بنى شيبان فقالت ابنة فروة ترثى أباها(٤) :

(١) ابن الأثير: ج١، ص٥٤٠ وما يليها. وذكر ابن قتيبة فى المعارف ص ٦٤٨ - أن الذى قتل فى هذا اليوم المنذر بن المنذر بن ماء السماء عندما خرج يطلب دم أبيه.

(٢) معلقة: شرح القصائد السبع الطوال للأنبارى: ص٤٧٤، صـ٤٧٥ والبيت الأول فيه إقواء.

(٣) ابن الأثير: ج١، صـ٥٤٢، أيام العرب: ص٥٢، ص٥٣

(٤) أيام العرب: ص٥٣، ونسب الجاحظ البيتين إلى ابنة المنذر بن ماء السماء (الحيوان ج٦، صـ٤٢٢)

بـــعَينِ أُبَاغ قَاسَمْنــــا المَنَايــــا فكان قــسيــمُهــا خــيــرَ القَسِيم
وقـــــــالـوا مَاجِداً مِنْكُمْ قَتَلْنَا كـــــذاك الرُّمحُ يَكْلَفُ بـالكَرِيمِ

وكان من بين أسرى الحارث شأس بن عبدة التميمى أخو علقمة بن عبدة الشاعر فوفد إليه علقمة واستشفعه فى شأن أخيه، فقال قصيدته التى مطلعها[1]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حـانَ مَشِيبُ

وفيها يذكر قتل الحارث لملك الحيرة فى هذا اليوم ويشيد بقوة الغساسنة الحربية ومالحق بأعدائهم من الهزيمة، ثم يستشفع لأخيه عنده، قال:

إلى الحارِثِ الوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِى لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْن وَجـــيبُ[2]

. . .

فَلا تَحْرِمَنِّى نَائلاً عَنْ جَنــــابَةٍ فإِنِّى امـرؤٌ وَسْطَ القِباب غَرِيبُ [3]
وأَنتَ امــرؤٌ أَفْضَتْ إلـيكَ أمَانَتِى وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِى فَضِعــتُ رُبُوبُ [4]

. . .

فـقـاتَلـتَهُمْ حـتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النـهــارِ غُرُوبُ[5]

. . .

(١) المفضليات: ص٣٩١ وما يليها. المفضلية ١١٩
(٢) القصريان: الضلعان الصغيران فى آخر الأضلاع (اللسان ج٥، صـ٣٦٤٩ (قصر)
(٣) الجنابة: البعد والغربة.
(٤) أمانتى: أى صارت نصيحتى لك، والربوب: جمع رب: وهو المالك.
(٥) بكبشهم: أى بملكهم ورأسهم، يعنى المنذر بن ماء السماء.

كـأنَّهُمْ صـابَتْ علـيـهْم سَحـابَةٌ ... صَوَاعقُهـا لطـيـرهِنَّ دَبـيـبُ[1]
فَلَمْ تَنْجُ إلا شطْبَـةٌ بـلـجـامهَا ... وإلا طمِرٌّ كـالـقَنَاة نَجيـبُ[2]
وإلا كـمـيٌّ ذُو حفَاظ كـأنَّهُ ... بمـا ابْتَلَّ منْ حَدِّ الظبَات خَضيبُ[3]
وأنْت أزَلْتَ الخُنْزُوانَةَ عـنـهُم ... بـضَرْب لَهُ فَوقَ الشُّؤُون دَبـيـبُ[4]
وأنـتَ الـذى آثارُهُ فـى عَدُوِّه ... منَ الـبُؤْسِ والـنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبُ
وفـى كُلِّ حىٍّ قـد خَبَطْتَ بنـعْمَة ... فَحُقَّ لشـأس مـن نَدَاكَ ذَنُوبُ[5]
ومـا مثـلُهُ فى الـنـاسِ إلا أسيـرُهُ ... مُدَان، ولا دَان لذَاكَ قَريـبُ

ولما اتصل النابغة بـالغسانيين مدحهم بقوتهم العسكـرية وأشاد بانتصارهم فى هذا اليوم، يقول حين يمدح عمرو بن الحارث الأعرج[6]:

ولِلْحـارثِ الجَفْنِىِّ سَيِّدِ قـومه ... لَيـلْتَمِسْ بـالجيـشِ دارَ المُحـارِبِ

. . .

إذا ماغَزَوْا فى الجيشِ حَلَّقَ فَوقَهمْ ... عَصـائبُ طَيْرٍ تَهْتَدى بعَصَائبِ
يُصـاحبْنَهُم حـتَّى يُغَرْنَ مُغَـارَهـم ... منْ الضَّاريـات بالـدِّمَاء الدَّوَارِبِ
تراهُنَّ خَلْفَ القومِ خُزْرا عـيونُها ... جُلُوسَ الشُّيُوخِ فى ثـيَابِ المَرَانبِ

. . .

(١) صابت: أى مطرت.
(٢) الشطبة: الفرس الطويلة، الطمر: المشرف المستفز بالوثب.
(٣) الظبات: جمع ظبة، وهى طرف السيف وحده.
(٤) الخنزوانة: الكبر.
(٥) خبط: أعطى بغير معرفة.
(٦) ديوان النابغة: ص٤٢ وما يليها بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

ولا عَيْبَ فيـهم غيـرَ أنَّ سيُوفَهـمْ بـهنَّ فُلُولٌ من قـراع الـكتَـائبِ
تُورِّثْنَ مِنْ أزمـانِ يـومِ حَليـمَةٍ إلـى اليـومِ قَدْ جُرِّبْنَ كلَّ التَّجَارِبِ

فكأن النابغة بهذا الشعر وأضرابه يساند الغسانيين أعداء ملوك الحيرة مما أضفى عليه الصبغة السياسية وأثار حافظة النعمان بن المنذر على النابغة؛ لأنه كان يتجول بين هاتين الإمارتين يمدح ملوكهما، ونستدل على ذلك من قوله معتذرا للنعمان بن المنذر(١):

لئَنْ كُنْتَ قـد بُلِّغْتَ عَنِّى خيَانَةً لَمُبـلغُكَ الـواشـى أغَشُ وأكْذَبُ
وَلَكنَّنِي كُنْتُ امـرأ لِى جَانبٌ منْ الأرض فيـه مُستَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وإخْوَانٌ إذَا مَا أتَيْتُهُمْ أُحكَّمُ فـى أمْوَالهـم وأُقَرَّبُ
كفعْلِكَ فـى قَوْمٍ أرَاكَ اصْطَنَعْتَهـمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فـى شُكْرِ ذَلكَ أذْنَبُوا

وقد ذكر أحد الباحثين(٢) أن النعمان فسر شعر النابغة هذا تفسيرا سياسيا عاما؛ لأنه التجأ إلى خصمه ومنافسه السياسى وقوى من شأنه، ويبدو أن هذا التنافس بين المناذرة والغساسنة وإظهار قوة الغساسنة الحربية جعل الحيرة تدعم مركزها الحربى وتعمل على تقوية جيوشها. فعندما تحرش سابور (٣٣٧م) بحدود الروم كلف عرب الحيرة بالهجوم على حدودهم وغزوها وذلك فى أيام قسطنطين ملك الروم.

وقد حارب المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٢١م) وكان يحالفه الملك الساسانى ضد الغسانيين. وقد دمر المنذر بن ماء السماء (٥٠٥ ـ ٥٥٤م) الأرض بغاراته وغزواته التى امتدت إلى أنطاكية حوالى (٥٢٩م) إلى أن جابهته قوة الحارث الغسانى كما ذكرنا سنة (٥٥٤م).

(١) المصدر نفسه صـ٧٢، صـ٧٣.
(٢) تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى: أحمد الشايب: ص٧١ الطبعة الخامسة ـ مكتبة النهضة المصرية.

واشترك النعمان بن الأسود فى الحرب التى وقعت بين الروم والفرس سنة (٥٠٢م) إذ طلب منه قباذ ملك الفرس أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب[١].

ونفهم من شعر الأعشى أن كسرى بن هرمز استنجد بإياس بن قبيصة الطائى فى حربه مع قيصر ملك الروم، فتعقبه حتى أدركه فى موضع يسمى (ساتيدما)[٢]، فأثخن القتل فى جنوده، ونجا قيصر فى خواص من أصحابه بصعوبة، يقول الأعشى حين يمدح إياس بن قبيصة: [٣]

وَهِرَقْلاً يَوْمَ سَاَتِيدَمَى ... مِنْ بَنِى بُرْجَانَ فِى الْبَأْسِ رَجَحْ
وَرِثَ السُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِه ... وَغَزَا فِيهِمْ غُلاماً مَا نَكَحْ
صَبَّحُوا فَارِسَ فِى رَأْدِ الضُّحَى ... بِطَحُونٍ فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ
ثم ما كاءوا ولكن قدَّموا ... كَبْشَ غارات إذا لاقى نَطَحْ
فَتَفَانَوْا بِضِرَابٍ صَائِبٍ ... مَلأَ الأَرْضَ نَجِيعاً فَسَفَحْ
مِثْلَ ما لاقوا من الْمَوْتِ ضُحَىً ... هَرَبَ الْهَارِبُ مِنْهُم وامْتَضَحْ

وقد استعان الفرس أيضا ببعض آل لخم فى محاربة العرب المسلمين وشغلهم فى معارك صغيرة، ومن هؤلاء (قابوس بن قابوس بن المنذر) وقد كلفه (الآزاد مرد بن الآزاد به) بالذهاب إلى القادسية وهى أجمع أبواب فارس لشغل المسلمين هناك[٤].

---

(١) جواد على: ج٣، ص٢٢١.
(٢) ساتيدما: نهر بقرب أرزن، وقيل إنه جبل فى بلاد الروم (معجم البلدان ج٣ صـ١٦٩).
(٣) ديوانه ق ٣٦ صـ ٢٩٣..
(٤) الطبرى: جـ٣، صـ٤٨٩، صـ٤٩٠

هكذا كانت العلاقة بين العرب والفرس مؤيدين ومساندين لهم فى مختلف الأطوار التاريخية، إلا أن هذه العلاقة اضطربت وساءت فى بعض الأحيان وقد أسفر ذلك عن يومين شهيرين كانا بين العرب والفرس أنفسهم هما: يوم الصفقة، ويوم ذى قار.

أولا : يوم الصفقة .

يوم الصفقة من الأيام التى كانت بين العرب والفرس فى زمن كسرى أبرويز وسبب هذا اليوم أن تميما نهبت قافلة من قوافل كسرى أرسلها عامله على اليمن إلى فارس، وكانت تحمل أموالا وطرفا من طرف اليمن، وبينما كانت فى طريقها إلى فارس، مرت بأرض بنى تميم، وفى موضع من أرضهم يسمى (نطاع) هجم عليهم التميميون وسلبوها، وقدم رجال القافلة الذين كانوا يسيرون فى حراستها على هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة مسلوبين فآواهم وكساهم وأحسن إليهم وسار معهم إلى كسرى، وأخبره بما حدث فكساه وأعطاه، وتوجه بتاج وأقطعه أموالا بهجر، ودبر معه مكيدة للإيقاع ببنى تميم وأشار على كسرى بأن يمنع عنهم الميرة، فإذا نالت منهم الحاجة، سار هوذة بمصاحبة المكعبر[1] عامل كسرى على البحرين، ومعه جنود كسرى إلى هجر حيث نزلوا حصنا يسمى حصن المشقر[2]، وأقاموا لهم سوقا هناك، ودعوا بنى تميم ليمتاروا، فأقبلوا يتهافتون، فمن دخل منهم الحصن للميرة قتله المكعبر ورجاله، وحقق كسرى وهوذة ما أرادا، ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لا يخرج، وبعثوا رجالا يستعملون الخبر،

---

(١) اسمه ازاد فيروز بن جشيش، وسمته العرب المكعبر لأنه يقطع الأيدى والأرجل (ابن الأثير: ج١ صـ٤٦٨) أو لأنه يقطع الرأس، فيبلغ كعبرة رأس المقتول (مجالس ثعلب ج٢ ص٤٦٦ لأبى العباس أحمد بن يحيي ثعلب ـ بتحقيق عبدالسلام هارون ـ الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٨٠م).

(٢) هو حصن بالبحرين (الجبال والأمكنة والمياه: للزمخشرى، ص٨٥).

وشد رجل من بنى تميم على سلسلة البـاب فقطعها ـ وقـد اختلف المؤرخون فى اسمه فقيل هو (خيبرى بن عبادة)[١] وقيل: هو (عبيد بن وهب)[٢] ـ وهو الذي يقول بعدما خرج من المشقر:

أَلا هلْ أَتَى قَوْمى على النَّأى أَنَّنى ... حَمَيْتُ ذِمَارى يَوْمَ بَابِ الْمُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتاجَ الْبَابِ بالْسَّيْفِ ضَرْبَةً ... تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرِ

وثارت بنو تميم، فأمـر المكعبر بإغـلاق الباب وقتل كـل من كان بالمدينة، وكان يوم الصفح، فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم[٣].

وللأعشى قـصيدة تاريخيـة فى هذا اليوم يمدح فيـها هوذة بن على الحنفى لتشفعـه في مائة من بنى تميم وينفى فيها أيضا اشـتراك هوذة فى تدبير المؤامرة مع كسرى.

يقول الأعشى[٤]:

سَائِلْ تميمـاً به أَيَّامَ صَفْقَتهِمْ ... لَمَّا رَآهُمْ أَسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعَا
وَسْطَ الْمُشـقَّر فى عَيْطَاءَ مُظْـلِمـة ... لا يَسْـتطِيعُونَ فيهَا ثَمَّ مُمْتَنعَا[٥]
لَوْ أُطْعِمُوا المنَّ والسَّلْوَى مكَانَهُمُ ... مَا أبْصَرَ النَّاسُ طُعْماً فِيهمُ نَجَعَا[٦]

---

(١) الأغانى: ج١٧، صـ٣٢٢، العقد الفريد: جـ٥، صـ٢٢٦ ومايليها.

(٢) الطبرى: ج٢، صـ١٧٠، ابن الأثير: جـ١، صـ٤٦٩، الأغانى جـ١٧، صـ٣٢٢.

(٣) ابن الأثير: جـ١، صـ٤٦٨، صـ٤٦٩، صـ٦٢٠، صـ٦٢١، الطبرى ج٢، صـ١٦٩ وما يليها، العقد: ج٥، صـ٢٢٦ وما يليها، الأغانى ج١٧، صـ٣١٨ وما يليها، جواد على: ج٤، صـ٢١٤، صـ٢١٥.

(٤) ديوانه: صـ١٥٩ ـ ١٦١ ـ ق١٣

(٥) عيطاء: هضبة شامخة.

(٦) المن: طل ينزل من السماء كـالندى فيجتمع على الأشجـار والأحجار وينعقد عسـلا فيؤكل، السلوى: طائر أبيض مثل السمان، نجع: ظهر أثره على أبدانهم.

بـظلْمهم بـنطـاع الْملْك ضَاحـيَةً فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ منْ أنفاسهمْ جُرَعَا[1]
أصَابَهُمْ منْ عقـاب المـلـك طَائفَةٌ كُلّ تَميــــم بمَا فى نَفْسه جُدعَا[2]
فَقَالَ للْمـلـكَ سَرِّحْ مـنـهُمُ مـائَةً رِسْلاً منَ القَول مَخْفُوضـاً وَمَا رَفَعَا
فَفَكَّ عَنْ مائَة منْهُمْ وثَاقَهُمُ فَأصْبَـــــحُوا كُلُّهُمْ منْ غُلّه خُلعَا
بهمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الـفصْحِ ضـاحيـةً يَرْجُو الإلَه بمَا ســـــدَّى وَمَا صَنَعَا

وذكر صاحب الـعقد الفريد والـطبرى وأبو الفرج الأصـفهانى[3] أن هـذه المعركة كانـت فى زمن كسرى أنو شروان وخالفـهم ابن الأثير[4] حيث ذكر أنها كـانت فى زمن كســرى أبرويز، وهو الـصحيح؛ لأن كســرى أنوشروان توفى قبل الهجرة بأربعة وأربعين عاما، بـينما استيلاء الفرس على اليمن كان قبل الهجرة بخـمسة وعشرين عاما، أى فى زمن كسرى أبـرويز ـ كما ذكرنا من قبل ـ ولما كانت الـقافلة المنهوبة قادمة من اليمـن بعث بها وهرز أو باذان فلابد أن يكون ذلك فى زمن كسرى أبـرويز، وقد ذكر أحد الباحثين[5] دليلا آخر عـلى صحة رأى ابـن الأثير فقـال:«كان هوذة أحـد الذين أرسل لـهم الرسول – صلوات الله عليه وتسليماتـه – الكتب يدعوهم للإسلام فى السنة السادسة للهجرة فلو صح ما يرويه الأصفهانـى والطبرى لكان هوذة قد عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الأقـل وهو أمر بعيد عن التصديق»،ولدينا من شعر الأعشى ما يساند هذا الرأى فعندما ذكر يوم الصفقة ومدح هوذة بن على ذكر أنه قد شاب وتقدمت به السن، فقال[6]:

(١) حسى الماء: شربه، وهو يصور تنهدهم وكأنه احتساء للأنفاس.
(٢) الجدع: الحبس والسجن، وقطع الأنف أو الأذن أو اليد.
(٣) العقد الفريد ج٥ صـ٢٢٦، الطبرى جـ٢ ص١٧١، الأغـانى ج١٧ صـ٣١٨، وأخذ برأيهم: أحمد الشايب: فى تاريخ الشعر السياسى: صـ٧٧.
(٤) الكامل فى التاريخ جـ١، صـ٦٢٠
(٥) د/ محمد محمد حسين (مقدمة القصيدة ١٣ فى ديوان الأعشى، صـ١٥٢)
(٦) ديوانه: صـ١٥٧، ق١٣.

لَمْ يَنْقُصِ الشَّيْبُ منْهُ مَا يُقَالُ لَهُ   وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ   لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلامِهِمْ صَرَعَا

فليس من المعقول إذن أن يكون هذا اليوم فى زمن كسرى أنوشروان، وأغلب الظن أنه كان قبل الهجرة ببضع سنوات، أى بعد مبعث الرسول - ﷺ -.

ونجد عامر بن الطفيل يسجل أحداث هذا اليوم فى شعره، ويذكر ما نال بنى تميم فى هذا اليوم ، يقول(١) :

ونَحْنُ وَقَفْنَا بالمُشَقَّرِ مَوْقِفاً   كريماً تَرى الفُرْسَانَ منْ طَعْنه قَعَسَا
بخيلٍ عليها جِنَةٌ عَبْقَرِيَةٌ   وفتيان حَرْبٍ لا ترى فيهُمُ نَكَسَا
تَنَادُوا فَقَالا يالعَامِر أصبَحُوا   تميماً فأبْدَى زَجْرِ طيرهمُ نَحَسَا
صَدَمْنَاهُم حتَّى إذَا الخيلُ عَرَّدَتْ   مزاراً مَنَحْنَاهُمْ بِصُمِّ القَنَا بخَسَا

ثانيا: يوم ذى قار.

أوجزنا القول عندما تحدثنا عن النعمان بن المنذر وقصته مع عدى بن زيد العبادى، وزيد بن عدى وإرسال كسرى فى طلبه وقتله؛ لأننا سنتحدث عن ذلك بالتفصيل فى هذا الموضع؛ لأن نهاية النعمان بن المنذر ترتبط ارتباطا وثيقا بالحديث عن يوم ذى قار.

فقد ساءت العلاقة فى نهاية القرن السادس بين النعمان بن المنذر وكسرى أبرويز حين فطن النعمان إلى ما يحيط بدولة الأكاسرة من فتن واضطرابات في الوقت الذى اتسع فيه نفوذه على معظم العرب، فأراد أبرويز أن يحد من هذا التوسع خشية خروج النعمان عليه، وخاصة بعد قتله عدى بن زيد،

(١) الحماسة: لابن الشجرى: ص٦، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - ١٣٤٥هـ.

فأخذ كسرى يترقب الحوادث إلى أن كاد زيد بن عدى للنعمان بن المنذر وانتهز كسرى هذه الفرصة واستدعى النعمان وقتله وصرف الملك عن آل بيته.

ويحدثنا الأخباريون(١)، بأحاديث كثيرة تدور حول المكيدة التى كاد بها زيد ابن عدى للنعمان، ويجمع أكثرهم على أن زيد بن عدى زين لكسرى مصاهرة النعمان أو آل بيته؛ وذلك لأن الأكاسرة دونوا فى سجلات إمبراطوريتهم الصفات الأنثوية(٢) التى يرغبون فيها، وقرأ زيد هذه الصفات وعرف أنها تجتمع فى إحدى بنات النعمان أو آل بيته، وقد عرف أن العرب يتكرمون عن مصاهرة العجم، ونجح فعلا فى تحقيق هدفه عند كسرى، فأرسل كسرى زيد بن عدى مع أحد رجاله إلى النعمان بن المنذر ليحققا له رغبته، فرفض النعمان مصاهرة كسرى، فاستقدمه كسرى، ففر النعمان هاربا، وطوّف كثيرا فى أحياء العرب فلم يمنعه إلا بنو شيبان.

فاستودع ماله وعياله وحلقته هانئ بن قبيصة بن مسعود الشيبانى، وأدرك أنه غير ناج من كسرى، فقدم إليه فقتله.

وفى ذلك يقول الجاحظ: "ألسنا معشر العرب نزعم أن كسرى أبرويز وهو من أحرار فارس.. من الملوك الأعاظم وسليل ملوك، وأبو ملوك، مع حزمه ورأيه وكماله خطب إلى النعمان بن المنذر.. وهو عامله ويسميه كسرى (عبدا) وهو مع ذلك أحيمر أقيشر، إما من أشلاء قصى بن معد وإما من عرض لخم، وهو الذى قالوا: تزوج مومسة وعرفها بذلك، وأقام عليها وهجى بها ولم يحفل بهجائهم...

---

(١) ابن الاثير: جـ١، صـ٤٨٢ وما يليها، الطبرى: جـ٢، صـ١٩٣ وما يليها، الأغانى: ج٢٤، ص٥٣ وما يليها، العقد الفريد ج٥ ص٢٦٠ وما يليها، اليعقوبى: ج١، ص٢٤٤ وما يليها (ويسمى زيد بن عدى: عمرو بن عدى) البدء والتاريخ جـ٣، ص٢٠٥ وما يليها، النويرى جـ١٥ ص٣٢٦ وما يليها، أيام العرب: صـ١٩ وما يليها.

(٢) راجع هذه الصفات: ص٢٠٣، ص٢٠٤ فى جـ٢ تاريخ الطبرى، ابن الاثير جـ١، ص٤٨٥ صـ٤٨٦، النويرى: جـ١٥، صـ٢٢٧، صـ٢٢٨.

ثم مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه حتى كان ذلك سبب هربه وعلة لقتله[1] ».

أثر مقتل النعمان فى نفوس العرب.

يذكر الأخباريون أحاديث مفصلة حول هذه القصة خلاصتها جميعا: أن كسرى أرسل فى طلب النعمان وقتله. واختلفوا فى موضع قتله، فقال بعضهم إنه قتل بساباط[2]، وقيل إنه قتل بخانقين[3]، والأرجح أن الأول أصح، ونستدل على ذلك بما ورد فى شعر الشعراء الذين نعوا النعمان، فذكر سلامة بن جندل ما فعله زيد بن عدى إذ حمل كسرى على قتل النعمان، يقول[4]:

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ فى أرض فَارِسٍ ... وَجَاعِلُهُ فِى قَوْلِهِمْ فِى الْمَدَائِنِ
وَأَلْقَاهُ أيضــا بَعْدَ ذَا تَحْتَ أَفْيُلٍ ... وَفِى الْعَرَبِ الْعَرَبَا بَقَايَا ضَغَائِنِ

وقال أيضا من جملة قصيدة يذكر حادثة مصرع النعمان بعد سجنه[5]:

هُوَ الْمُدخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتا سَمَاؤُهُ ... صُدُورُ الفُيُولِ بَعْدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ

---

(١) الحيوان: ج٤ ص٣٧٥، ٣٧٦، وراجع أيضا (رسالة فى الرد على ابن غرسيه) لابن من الله القروى صـ٣١٩ وما يليها في الجزء الأول من نوادر المخطوطات بتحقيق عبدالسلام هارون الطبعة الثانية ١٩٧٢ طبعة مصطفى البابى الحلبى.

(٢) ساباط: سقيفة بين حائطين تحتها طريق (شفاء الغليل: ص١٠٦) وهى موضع بالمدائن كان لكسرى أبرويز (المسعودى ج٢ ص١٠١، العقد الفريد ج٥ ص٢٦١، النويرى (رواية ابن عبدون) جـ١٥، ص٣٣.

(٣) الطبرى ج٢، ص٢٠٦، ابن الأثير ج١ ص٤٨٨، اليعقوبى ج١ ص٢٤٦.

(٤) شعراء النصرانية: صـ٤٩١

(٥) الأصمعية: ٤٢ من الأصمعيات صـ١٣٧، وفى شعراء النصرانية صـ٤٨٦ (نحور الفيول) وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجى بمصر ج١ ص٣٩٩ (هو المولج النعمان) والبيت المسردق يكون أعلاه وأسفله مشدوداً كله، أى له سرادق. (ونسب ابن قتيبة هذا البيت فى كتابه المعارف للأعشى ص٦٥٠) وكذا نسبه المقدسى فى البدء والتاريخ ج٣ ص٢٠٦.

ونستدل من هذا الشعر ومن شعر الأعشى أيضا أن النعمان مات فى ساباط تحت أرجل الفيلة ، يقول الأعشى[1] :

وَلا المَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتَهُ ... بِأمَّتِهِ يُعْطِى الْقُطُوطَ وَيَأفِقُ

. . .

فَذَاكَ وَمَا أنْجَى مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ ... بِسَابَاطَ حَتَّى مَاتَ وَهْوُ مُحَزْرَقُ

وقد كانت الأكاسرة ربما قتلت الرجل بوطء الفيلة، وكانت قد دربتها على ذلك وعلمتها وعودتها، فإذا ألقوا إليها الرجل من أهل الجنايات تركت العلف وقصدت نحوه فداسته، فكان ممن رمى به تحت أرجل الفيلة النعمان ابن المنذر[2]، وقيل فى ذلك: "أما علمتم أن الدولة النوشروانية والمملكة الأردشيرية بقروا أجوافكم وخلعوا أكتافكم، ثم عطفوا، ورأفوا وملكوكم الحيرة بعد الحيرة، قللا ذللا تتخيرون البنات عند البيات، مبهورات لا ممهورات، فبرم من ذلك . . نعمانكم، وكان برمه سببا لدرء أمانكم، فأصبح بعد جر الذيول، مدوسا بأخفاف الفيول"[3].

وقد أثر مصرع النعمان بهذه الطريقة فى نفوس الشعراء، واتخذوه عظة وتذكرة، ومنهم زهير بن أبى سلمى الذى أشاد بموقف بنى رواحة العبسيين من النعمان بن المنذر عند طوافه فى أحياء العرب، يقول[4]:

(١) ديوانه: ص٢٦٩ ق٣٣، الإمة: النعمة ، القطوط: جمع قط وهو الصك بالجائزة ، يأفق: فى العطاء، والمحزرق: المضيق عليه.

(٢) الحيوان: جـ٧، راجع صـ١١١ وما يليها.

(٣) من رسالة ابن غرسية التى وجهها إلى أبى عبدالله بن أبى جعفر بن الحزاز يفضل فيها العجم على العرب (من نوادر المخطوطات: ج١ ص٢٥٠ ص٢٥١).

(٤) ديوان زهير: ص ٢٨٨ وما يليها ـ طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٤٤، والأبيات فى مختار الشعر الجاهلى: جـ١ص٢٨٣، ص٢٨٤ تحقيق مصطفى السقا ـ الطبعة الرابعة ـ مصطفى البابى الحلبى ١٩٧١م ، ومختارات شعراء العرب لابن الشجرى ص٢٢٣ وما يليها، وشعراء النصرانية: ص٥٨٣، صـ٥٨٤ (وقيل فى شرح الديوان قال الأصمعى هذه القصيدة لصرمة الأنصارى، ولا تشبه كلام زهير صـ٢٨٤.)

أَلَمْ تَرَ لِلنُّعْمَانِ كَانَ بِنَجْوَةٍ ... مِنَ الشَّرِّ لَوْ أنَّ امْرأً كَانَ نَاجِيَا
فَغَيَّرَ مِنْهُ مُلْكَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... مِنَ الدَّهْرِ يَوْمٌ وَاحِدٌ كَانَ غَاوِيَا
فَلَمْ أَرَ مَسْلُوباً لَهُ مِثْلُ مُلْكِه ... أَقَلَّ صَدِيقاً بَاذِلاً أَوْمُؤاسِيَا
فَأيْنَ الَّذِينَ كَانَ يُعْطِى جِيَادَهُ ... بِأَرْسَانِهِنَّ وَالحِسَانَ الغَوَالِيا
وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ يُعْطِيهُم القُرَى ... بِغَلّاتِهِنَّ والمِئينَ الغَوَادِيَا
وَأَيْنَ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ جِفَانَهُ ... إِذَا قُدِّمَتْ أَلْقَواْ عليْهَا المَرَاسِيَا
رَأيتُهُمُ لَمْ يُشْرِكُوا بِنُفُوسِهِمْ ... مَنِيَّتَهُ لمَّا رَأَوْا أَنَّهَا هِيَا
خَلا أَنَّ حَيًّا مِنْ رَوَاحَةَ حَافَظُواْ ... وكَانُوا أُنَاساً يَتَّقُونَ المُخَازِيَا
فَسَارُوا لَهُ حَتَّى أَنَاخُوا بِبَابِهِ ... كِرَامَ المَطَايَا والهِجَانَ المَتَالِيَا
فَقَالَ لَهُمْ خَيْراً وَأَثْنَى عَلَيْهِمُ ... وَوَدَّعَهُمْ وَدَاعَ أَنْ لا تَلاقِيَا
وَأَجْمَعَ أَمْراً كَانَ مَا بَعْدَه لَهُ ... وَكَانَ إِذَا مَا اخْلَوْلَجَ الأَمْرُ مَاضِيَا

ونرى لبيد بن ربيعة وهو أحد الشعراء الذين وفدوا على بلاط النعمان فى الحيرة، يرثيه بلاميته المشهورة [1] التى يذكر فيها زوال النعيم، وتقلب الدهر بأهله ويسترجع ذكريات الماضى حين يذكر مجالس النعمان وكرمه وشجاعته ليصل إلى قوله:

لِيَبْكِ عَلى النُّعْمَانِ شَرْبٌ وقَيْنَةٌ ... وَمُختَبِطَاتٌ كالسَّعالى أَرَامِلُ [2]
وَأَمْسَى كَأَحْلامِ النِّيَامِ نَعِيمُهُمْ ... وأىُّ نَعِيمٍ خِلْتَه لا يُزَايِلُ

---

(١) ديوان لبيد بتحقيق إحسان عباس - طبعة - الكويت ١٩٦٢ ق ٣٦ ص ٢٥٤ وما يليها .
(٢) المختبطات : السائلات، السعالى: أى كالسعالى فى سوء حالهن ، الأرامل: المحاويج الجياع من ارمل القوم إذا نفذ زادهم وجاعوا (خزانة الأدب جـ٢ ص ٢٥٩).

هذا عن أثـر مقتل الـنعمان فى شـعر الشعـراء، أما عن أثره فـى نفوس العرب فقـد كان أشد وقعا وأعظـم أثرا، فكما ذكرنـا من قبل أن قبيـلة بكر كانت فى مقـدمة العرب الذين حملوا عـلى عاتقهم حماية الـنعمان والأخذ بثأره، فشرعوا فى مناوأة الفرس فى الـعراق وأخذوا يغيرون على السواد إلى أن ولى كسرى قـيس بن مسعود على الأبـلة، واشتد حنق بكر عـلى الفرس بعدما خـيرهم كسرى إحدى ثـلاث: تسليمهم حـلقة النعمـان وإرثه وتقديم رهائن منهم، أو الحـرب، أو أن يعروا الديار ويرحلوا، لكنهـم لم يخضعوا لهذا التهديد وفضلوا الحرب وتحملوا أعباءها.

وقد لعب الـشعر دورا هاما فى هـذه الحرب، فالشاعر فـارس الكلام، يؤجج نيران العواطف ويلهب جذوة الحماسة فى النفوس ويدفع الفرسان إلى الإقدام، فنرى الأعـشى وهو شاعر بكر تحول عـن حياة اللهو والعـبث التى عرف بها إلى فـارس مقدام يقف فى وجه كسرى ويرسـل له شوارد الأشعار المليئة بالسخرية والتهديد عندما طلب كسرى من بكر تقديم رهائن من أبنائهم حتى يـضمن عدم إغـارتهم علـى السواد وذلك قـبل يوم ذى قار، فـيرفض الأعشى طلبه فى إباء ويذكر له قوة قبيلـته التى تستطيع أن تقف فى وجهه ولا تهابه، فيقول : إن الخائف جدير بأن يرهق نفسه ويقدم لك الرهائن من أبنائه كما فعل (خـارجة وابنا قبيصة) فـهم حاولوا استرضاءك وأفسـدت رهائنهم، وطلب من كسرى إطلاق سراح الأسود أخى الحوفـزان الشيبانى الذى سجنه فى رأس الجبـل، فإن لم يفـعل فالقـتال لا محالـة والحرب التى تـتهيأ لـها النفوس لتقضى عـلى المتمردين والطغاة والمتكبرين، إنـها الحرب التى لا تهدأ كأنها النـار المستعرة بين عانة والـفرات وعند تكريت حيـث إياد عبيد الأرض الذين يهـابون الحروب والغارات، ثم يـختم قصيدته بـتوجيه سهام الـتهديد والوعيد إلى كسرى حـين يسخر من منظره فى مجلسه وهو مـعتصب بتاجه،

فيقول له: لا يغرك ملكك وما أنت فيه فإنك ستروع حينما ترى قوتنا التى لا تقاوم يوم اللـقاء، إنها كـالسحـاب الذى يسد الأفق ويعتـرض الجبـال، إنها الجيوش التى تأهبت للأمر واستعدت للقائك.

يقول الأعشى في قصيدة له (1):

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إذَا مَا جَاءَه عَنِّى مَآلِــــكَ مُخْمَشَاتٍ شُرَّداً
آلَـيْتُ لا نُعْطِيــــه مِنْ أَبْنَائِنَا رَهْنـــاً فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا
حَتَّى يُفِيـــدَكَ مِنْ بَنِيـــه رَهِينَةً نَعْشٌ وَيَرْهَنَــكَ الـسِّمَاكُ الْفَرْقَدَا
إلا كَخَـــــارِجَةَ الْمُكَلِّفِ نَفْسَهُ وَابْنَى قَبِيــصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا
إنْ يَأْتِيــاكَ بِرُهْنِهِـمْ فَهُمَا إذَنْ جُهِدَا وَحُقَّ لِخَائِفٍ أَنْ يُجْهَدا
كلا يَمِـينَ اللَّهِ حَتـــَّى تُنْزِلُوا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ إلَـيْـنَا الأَسْوَدَا
لَـنُقَاتِلَنَّكُمُ عَلَى مَـــا خَيَّلَتْ ولَـــنَجْعَلَنَّ لِمَنْ بَغَى وتَمَرَّدَا
مَا بَيْنَ عَانَةَ والـــفُرَاتِ كَأَنَّمَا حَشُّ الْغُوَاةُ بِهَا حَرِيقــاً مُوقَدَا
خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيـــطَةٍ فَكَأَنَّمَا لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِراً مُتَعَهِّدَا
لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَـــادٌ دَارَهَا تَكْرِيـــتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

...

فَاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبــاً بِهِ لا تَطْلُبَنَّ سَوَامَنَا فَتَعَبَّدَا
لا تَحْسَبَنَّا غَافِلـــينَ عَنِ الَّتِى تُغْشِى وجُوهَ الـقَوْمِ لَوْنــاً أَسْوَدَا
فَلَعَمْـــرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مُقَامَنَا لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنْظَراً وَمؤيَّدَا

(1) ديوانه: صـ ٢٧٩ وما يليها، ق ٣٤.

فـــــي عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إنْ تَلْقَهُ   يَوْمَ الْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيـــرُكَ أنـــكَدَا
وَتَرَى الجِيَادَ الجُرْدَ حَوْلَ بـــيُوتنَا   مَوْقُوفَةً وَتَرَى الْوَشِيـــــجَ مُسَنَّدَا

وكأن الشاعر بـهذه القصيدة لم يستـنهض همم بكر وحدها، بـل يرسلها للعرب جميعا لـيقفوا في وجه الفرس ، فبدأت ملامح القوميـة العربية تظهر قبل ذى قار وبـعدها، إذ كانت منعدمـة قبل ذلك؛ لأن النزعة الفـردية كانت مسيطرة على القبائل والعصبية القبلية كانت شغلهم الشاغل.

موقعة ذى قار.

وكانت الواقعة الشهيرة بين الفرس والعرب فى (ذى قار) وهو ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط (١)، وهو أيضا يوم قراقر ويوم الحنو حنـو ذى قار وهو عـلى بعـد ليلـة من ذى قـار ويوم حنـو قراقر وهـو يوم الجبابات وهو موضع قريب من ذى قار وكانت به إحدى الوقائع، ويوم ذات العجرم ويوم الغذوان ويوم البطحاء بطحاء ذى قار، وكلهن مواضع (٢) حول ذى قار(٣).

واختلفوا فى تاريخها فقيل إنها كانت بعد مبعث النبى ـ ﷺ ـ، ولم يعينوا تاريخها (٤)، وقيل إنها كانت بين بدر وأحد أى بعد هجرة الرسول (٥)، وقيل إنها كانـت عند منصرف الرسول مـن وقعة بدر (٦)، وقيل إنها لـتمام أربعين سنة من مولده ـ ﷺ ـ، (٧) ويشترك بعضهم في أنها حدثت سنة (٦١٠م) (٨)،

(١) ياقوت جـ٤، صـ ٢٩٣.
(٢) المصدر نفسه جـ٢ صـ ٩٧.
(٣) النقائض: جـ٢ ص ٦٣٨ (والحنو: منثنى الوادى هو على بعد ليلة من ذى قار).
(٤) الطبرى: جـ٢، صـ ١٩٣، ابن الأثير: جـ١ صـ ٤٨٢ و صـ٤٨٣، العقد الفريد: جـ ٥ صـ٢٦٢، العمدة: جـ٢، صـ ٢١٧.
(٥) الأغانى : ج ٢٤ صـ ٦٥.
(٦) ياقوت : جـ٤، صـ ٢٩٤.   (٧) المسعودى: جـ١ـ، صـ ٢٧٨.
(٨) وليم لانجر: فى موسوعة تاريخ العالم: جـ١، صـ ٣٤٩ ، حضارة العرب: د/ مصطفى الرافعى: صـ ٦٢ - الطبعة الثالثة - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨١م .
Aliterary History of Arabs, By Nickolson, P, 70

وقيل إنها فى سنة (٦١١) [١]. والثابت أن المعركة كانت بعد مقتل النعمان في ولاية إياس بن قبيصة الطائى، ونرجح أنها كانت فى نهاية ٦٠٩م أو على أبعد تقدير فى عام ٦١٠م أى بعد مبعث الرسول بقليل وقبل هجرته إلى المدينة . واختلفوا أيضا في أسباب هذا اليوم، ويمكننا أن نحدد هذه الأسباب هنا من خلال المراحل التى مرت بها العلاقة بين العرب والفرس، فمنها: مقتل النعمان على يد كسرى، ومنها طلب كسرى لأسلحة النعمان التى استودعها هانئ بن قبيصة قبل رحلته إليه، ومنها غارات البكريين على السواد وعلى أطراف المملكة الفارسية، فهذه الأسباب مجتمعة ولعل آخرها أهمها كانت السبب فى موقعة ذى قار.

وقد عرضنا لموقف كسرى من قبيلة بكر واستعداد البكريين للقائه، فبعث كسرى إليهم الجيوش يقودها (الهامرز التسترى) المرزبان الأعظم لكسرى وصاحب مسلحة القطقطانة على ألف من الأساورة ومعه (جلابزين) صاحب مسلحة بارق على ألف آخرين، وأمر كسرى إياس بن قبيصة أن يقود جيش العرب بكتيبتيه الشهباء والدوسر، وأمر قيس بن مسعود أن يسير معه، فإذا اجتمعوا جميعا كان إياس عليهم، فأقبلت الجيوش معها الفيلة وعليها الأساورة وتقابلوا مع العرب بأرض ذى قار، وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس، وكسرت شوكتهم وقتل أكثرهم بما فيهم الهامرز وجلابزين، وانتصرت العرب على الفرس انتصارا عظيما أشاد به الرسول ـ ﷺ ـ فى قوله: "هذا أول يوم انتصفت فيها العرب من العجم؛ وبى نصروا" . [٢]

---

(١) ل. أ . سيديو: صـ ٣٨.

(٢) ذكر الأخباريون تفاصيل عديدة حول هذا اليوم لأن انتصار العرب فيه كان له أثره البالغ فى نفوسهم. راجع: الطبرى ج٢، صـ٢٠٧ وما يليها ، العقد الفريد جـ٥، صـ ٢٦٢ وما يليها ، ابن الأثير : جـ١، صـ ٤٨٨ وما يليها، الأغانى : جـ٢٤، صـ ٥٣ وما يليها ، النقائض: جـ٢ صـ ٦٣٨ وما يليها ، النويرى: جـ ١٥، ص ٤٣١ وما يليها ، Niçkolson, P. 69 - 70.

ونستنتج من روايات أهل الأخبار أن يوم ذى قار لم يكن معركة واحدة وقعت فى ذى قار وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس، بل هو عبارة عن معارك متعددة وقعت فى أماكن متعددة حول ذى قار وكان ختامها فى ذى قار؛ لذا انتسبت المعارك لهذا المكان.

ونستنتج أيضا أن هانئ بن قبيصة بن مسعود كان على رأس شيبان كما كان يخشى لقاء الفرس مع رغبته فى الاحتفاظ بودائع النعمان وأن قيس بن مسعود بن خالد ذا الجدين انسلّ ليلا وأتى هانئا وأشار عليه أن يقسم دروع النعمان وأسلحته فى قومه.

ولما دنت الجيوش من بكر فزع هانئ وقال " يا معشر بكر إنكم لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب، فاركبوا الفلاة" فتصارعوا إلى ذلك ووثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى فقال له : إنما أردت نجاتنا، فلم تزد على أن ألقيتنا فى الهلكة، فرد الناس وقطع وضن الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمى مقطع الوضن وضرب على نفسه قبة ببطحاء ذى قار وآلى ألا يفر حتى تفر القبة - فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم واستقوا ماء لنصف شهر، فأتتهم العجم، فقاتلتهم بالحنو، فجزعت العجم من العطش، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم، فهربت إلى الجبابات فتتبعتهم بكر وعجل وأبلت يؤمئذ بلاءً حسنا، واصطفت عليهم جنود العجم، فقالت الناس هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول:

إنْ يَظْفَرَوا يحرِّزوا فينا الغُرَلْ   إيهاً فِداءٌ لكُم بَنى عِجِلْ

وتقول أيضا تحرض الناس على القتال:

إنْ تَهزموا نُعانقْ   ونفرش النَّمَارقْ
أوْ تُهْزَمَوا نفارِقْ   فراقٌ غَيْر وَامِقْ

فقاتلوهم بالجـبابات يوما ثم عطش الأعاجم فمـالوا إلى بطحاء ذى قار، فأرسلت إياد إلى بكر سـرا وكانوا أعوانا عليـهم مع إياس بن قبيـصة: "أى الأمرين أعجب إليكم أن نطير تحت ليلـتنا فنذهب، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم؟ قالوا: تقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم"

فلما التقى القوم فى مكان من ذى قار يسمى "الجب" اجتلدوا والتحموا، فانهزمت إياد كما وعدتهم وانهزم الفرس [1].

ونستنتج أيضا أن جيش بكر كان منظما تنظيـما عسكريا يشابه نظام جيوش الفرس فقد تولى إدارة القتال فى ذلك اليوم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى وكان له شأن كبيـر فيه، فقد قاد بنى عجل واحتل ميسـرة هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مـسعود رئيـس بكر فى القتـال الذى جرى فى ذى قار فـي موضع الجب وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال [2] :

قَدْ شَاعَ أَشْيَاعُكُمُ فـــجِدُّوا ... مـــا عِلَّتى وأنـا مـــؤدٍ[3] جَلْدُ
وَالقَوْسُ فـــيـــهـــا وَتَرٌ عُرُدُّ ... مِثْلُ ذِراعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَعَلَتْ أَخْبَار قَوْمـــى تَبْدُو ... إنَّ المَنــايـــا لـــيْسَ منْهَا بُدُّ
هــذَا عُمَيــــــرُ تَحْتَهُ أَلَدُّ ... يَقْدُمُهُ لَيـــــــسَ لَهُ مَرَدُّ
حـــتَّى يَعــودَ كـــالكُمَيْتِ الْوَرْد ... خَلُّو بَنـــــى شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا
نَفْسِى فِداكُم وأَبِى والْجِدُّ

---

(١) ابن الأثير : ج١، صـــ ٤٨٩ ، الطبرى ج٢، ص٢٠٨ ، النقائض ج٢ صـ ٦٤١ ، صـــ ٦٤٢ ، العقد الفريد ج٥ ، صـــ ٢٦٣، صـــ ٢٦٤.

(٢) الطبرى : جــ ٢ صـــ ٢٠٩ ، النقائض: جــ٢ صـــ ٦٤٢.

(٣) المؤدى: ذو الأداة التامة من السلاح

وكان هانئ بن قبيصة يشغل القلب في أثناء الهجوم وكان علي ميمنته يزيد ابن مسهر الشيباني، وكان يزيد بن حمار السكوني حليفا لبني شيبان وقد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار يسمى (الجب)، فلما أقبلت جيوش الفرس إلى هذا المكان، خرج من كمينه فباغتهم وولت إياد منهزمة(١) فساعد ذلك كله في هزيمة الفرس.

ومن خلال دراستنا للروايات عن يوم ذي قار رأينا معظمها متأثرا بالعواطف القبلية ويميل إلى التحيز والتحزُّب؛ لذا كان علينا أن نجمع الأشعار التي قيلت في هذا اليوم لنقف على أحداث تلك المعركة وكيف جرت ونتعرف على العرب الذين شاركوا فيها.

فنرى الأعشى يتحدث عن هذا اليوم في شعره ويفتخر بقومه ويشيد بانتصارهم على الفرس في يوم الحنو إذ صبحت كتائب بكر جنود كسرى تسوق إليهم الموت، حتى ولوا هاربين وهم أبناء الملوك الأشراف علقوا في آذانهم اللآلىء، إذا أمالوا إلى النشاب مالت بكر إلى السيوف تتخطف الرؤوس، وطحنتهم خيول بكر حتى ولوا الأدبار وانتصف النهار ونالت بكر شرفا عظيما، لو قُسِّم هذا الشرف على قبائل معد كلها لظفر كل رجل منهم بمقدار ، يقول : (٢)

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ   مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَوْتَ فَانْصَرَفُوا
جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ   مِنَ الأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطَفُ

(١) الطبري: جـ٢ صـ ٢٠٩.
(٢) ديوانه: صـ ٣٦١،ق: ٦٢.

إذَآ أمَالُوا إلَى الـــنُّشَّابِ أيْديـــهُمْ ... ملْنَا ببيـــضٍ فَظَلَّ الـــهَامُ يُخْتَطَفُ
وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
لَوْ أنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فى يَوْمِ ذِى قَارَ ما أخْطَاهُمُ الشَّرَفُ

ثم يرسم صـورة إقبـال جيـوش الفرس بعـددهم الهائل وكـأنهم الليل، يزحف فيـسد آفاق الأرض، ويغشـيها بالظلام، وقد وقـفت نساء بكر خلف فرسانهم ينظرون بعيون كحل سـود، وقد اضطربت أكبادهن إشفاقا من هول ما يرين، وحسرن عن خدود جرت عليها الدموع، وغيرها الحزن فعلتها غبرة مظلمة ، يقول (١) :

لَمَّا أتَـوْنَا كَـأنَّ اللَّـيْـلَ يَقْـدُمُهُـمْ ... مُطَبِّقَ الأرْض يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ
وَظُعْنُنَا خَلْفَنَا كُحْلاً مَدَامِعُهَا ... أكْبَادُهَا وُجُفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ
حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَراً ... ولاحَهَا وَعَلاهـــــــا غُبْرةٌ كُسُفُ

وقد ورد أن الأعشى قال لبنى شيبان فى هذا اليوم:

"يا مـعشـر بكر بن وائل اطلقـوا لسانى "أى افـعلوا فعـلا استـجيـز أن أمدحكم به (٢).

فقال يخص بنى ذهـل بن شيبان بمدحه وثنائه؛ لأنهم كـانوا أحسن الناس بلاءً فى هذا اليوم: (٣)

---

(١) ديوانه صـ٣٦١، ق٦٢

(٢) الأشباه والنظائر للخالديين: ج٢ صـ٦، تحقيق السيد محمد يوسف - طبعة لجنة التـأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م.

(٣) ديوانه: صـــ ٣٠٩ ، ص ٣١١ ق ٤٠.

فدًى لِبَنِى ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِى وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ
هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

...

أَذَاقُوهُمُو كَأْساً مِنْ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ (١)

...

فَصَبَّحَهُمْ بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ وَذِى قَارِهَا مِنْهَا الْجُنُودُ فَفُلَّتِ
عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ (٢)
فَجَادَتْ عَلَى الْهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِمْ شآبِيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ واسْتَهَلَّتِ (٣)
تَنَاهَتْ بَنُو الأَحْرَارِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتِ (٤)

وكما سجل الأعشى فى شعره دور قبيلته وبنى شيبان في تحقيق هذا النصر لم ينس شعراء يشكر أو اللهازم من قبائل عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة أن يرصدوا ما سمعوا وما رأوا من مشاهد فى هذا اليوم.

فنرى سويد بن أبى كاهل اليشكرى يشيد بدور بنى يشكر عندما خرج أحد أساورة الفرس يدعو بنى شيبان للبراز فلم يخرج إليه أحد، فدنا من بنى يشكر فبرز له يزيد بن حارثة أخو بنى ثعلبة بن عمرو، فشد عليه وقتله وأخذ حليته وسلاحه، يقول مخاطبا بنى شيبان (٥):

---

(١) بذخت: تكبرت وعلت، أدلت: تاهت وترفعت.

(٢) السراة: الظهر والوسط، وفرس محبوك السراة: أى محكم الخلق شديد وثيق، والمرقب: الموضوع المرتفع الذى يشرف من فوقه الرقيب.

(٣) شآبيب: جمع شؤبوب: وهى الدفعة من المطر، وأسبل المطر إذا هطل، واستهل وانهل: اشتد انصبابه مع صوت.

(٤) غلب: جمع غلب: وهو الغليظ العنق، يكنى به عن القوة ومتانة بنيان الجسم.

(٥) الأغانى: ج ٢٣، صـ ٧١ - ٧٢ ، الأمالى الشجرية: جـ١ صـ١٧٤، صـ ١٧٥.

وَمِنَّا يَزِيدُ إِذْ تحـــدَّى جُمُوعكُمْ فـلـم تَقْربـوه المَرْزُبـانُ المُسَـوَّرُ
فــبـارزَهُ مِنـَّا غُــلامٌ بِصـَارِمٍ حُسَامٍ إذا لاقـى الضَّرِيبــةَ يَبْتُرُ

ونرى عمـرو بن الأسود يصف حومـة الحرب وتساقط الفـرسان فى ذلك اليوم، ثم يسرد أسـماء القبائل المشتركة فى هذه الحـرب، ونعت سلاحهم، فيقول وقد نجا من الموت [1]:

ولـقـــد أَمَرْتُ أَخَاكَ عَمْراً أَمْرَهُ فَعَصَى وضَيَّعَهُ بِذاتِ العُجـــرُمِ
فـــإذا أَمَرْتُك بعـــدَها فَتَبَيَّنِى أَوْ أَقْدمـى يـومَ الـكَرِيـهة مُقْدَمى
وَجَعَلْتُ نَحْرى دُونَ بَلْدَة نَحـــرِه ولَبَانِ مُهْرِى إذْ أقـــولُ لَهُ اقْدُمِ
فى حَوْمَـةِ الموت الـتى لا تَشْتَكى غَمَرَاتِهَا الأَبطالُ غـيـرَ تَغَمْغُمِ [2]
وكـــأنَّمـــا أقْدَامُهم وأكُـــفُّهُمْ كَرْبٌ تَسَاقَطَ مِنْ خَلـيـجٍ مُفْعَمِ
لَمَّا سَمـعتُ نداء مُرَّةَ قـد عَلا وابْنَى رَبِيـعـةَ فـى الغُبَارِ الأَقْتَمِ
ومُحلَّمـــاً يَمْشُون تحتَ لـوائهم والمـوتُ تحـتَ لِواءِ آلِ مُحـلَّمِ
وسـمـعتُ يَشْكُرَ تدَّعى بحُبَيِّب تَحْتَ العَجَاجَةِ وهْىَ تَـقْطُر بالـدَّمِ
وحُبــيِّبُ يُزْجُونَ كُلَّ طمِرَّةٍ ومنَ الـلَّهَازِمِ شَخْتُ غَيْرِ مُصَرَّمِ [3]
والجَمْعُ مِـــن ذُهْلٍ كأنَّ زُهَاءَهُمْ جُرْبُ الجمالِ يَقـودُها ابْنَا شَعْثَمٍ [4]
قـذَفُوا الرِّماحَ وبـاشرُوا بنُحـورِهِمْ عِنْدَ الـضِّرَابِ بِكُلِّ لَيْثٍ ضَيْغَمِ

---

(١) الأصمعيات: الأصمعية٢١، صـ ٧٩ وما يليها، العقد الفريد: ج٥ صـ ٢٦٥، صـ ٢٦٦.
(٢) التغمغم: أصوات الأبطال فى الوغى عند القتـال. وقد نسب هذا البيت لعنترة فـى معلقته (شرح القصائد السبع الطوال) صـ ٣٥٦.
(٣) يزجون: يسـوقون ويدفعـون، الطمرة: المستنفذة للوثب والعدو، يريـد الفرس، والشخب: مـا خرج من الضرع من اللبن.
(٤) زهاؤهم: قدرهم أو شخوصهم.

والخـيـل يَضْبِرْنَ الخَبَارَ عَوَابِساً وَعَلَى مَنَاسِجِهَا سَبَائِبُ مـن دم [1]
لا يَصْدفون عن الـوَغَى بخُدودهمْ فـى كُلِّ سَابـغَـة كَلَوْن الـعظْلم[2]
نَجَّاك مُهْرُ ابْنَىْ حـلام مِنْهُمُ حـتَّى اتَّقَيْتَ المـوتَ بـابْنَىْ حِذْيَم
ودعـا بـنـى أُمِّ الـرُّواع فـأقْبَلوا عـنـدَ اللِّقـاء بـكُلِّ شَاكٍ مُعْلَم [3]
يَمْشُون فى حَلَق الحَديد كَمَا مَشَتْ أُسْدُ الغريـف بكُلِّ نَحْسٍ مُظلم [4]
فَنَجـوتَ مِنْ أَرْماحِهِمْ مِنْ بَعْدِ مـا جاشَتْ إلـيكَ النفـسُ عند المَأْزِم[5]

وانتهت معـركة ذى قار بانتصار العـرب وتحالف معظم قبائـلهم، وعادت الروح القوميـة بما تحمله من شعور بالـعزة والإباء لتكون سدا منـيعا فى وجه الإمبراطورية الساسـانية، فصارت القبائل تغير على الحـدود فى كل مكان فيه نفوذ وجنود للساسانيين، فقد علـمتهم هذه الحرب مواضع الضعف عندهم. فلمـا جاء الإسلام وانتشر فـى جزيرة العرب، صاروا أعـوانا للمسلـمين فى تقويض دولة الساسانيين ونفـذ الإسلام من خلال ديارهم إلى ما وراء البحار بسرعة عجيبة لم تكن تتوقع.

أما عن حكومة الحيرة، فقد أصابها الوهن، وطمعت فيها القبائل فأخذت تغـير عليـها وتتعـرض بحدودها وتـتحرش بقـوافل تجارتهـا، ولم يستـطع الساسانيون مساعدتهم؛ لأن أوضاعهـم الداخلية كانت قد انهارت مما زاد فى

(١) يضبرون: ضـبر الفرس: عدا أو جمع قـوائمه ووثب. والخبار: الأرض الـلينة . والمناسج: مـا بين العرف وموضع اللبد . السبائب: الطرائق.
(٢) العظلم: شجر أخضر فيه كدرة.
(٣) بنو أم الرواع: من تميم.
(٤) الغريف: الشجر الملتف. النحس: الغبار.
(٥) جاشت: خافت وهمت بالفرار. والمأزم : المضيق.

تصميم القبائل على مهاجـمة ملوك الحيرة وحدود الفرس فى آن واحد، حتى صارت الطرق التـى تسلكها القوافل الـتجارية غير آمنة ولا يتـمكن أصحاب التجارات من المرور منها بسلام ، كما سـنرى فى الفصل القادم عند الحديث عن العلاقات الاقتصادية.

****

الفصل الثانى

العـــــلاقات الاقتصـــــادية

"الفصـــــل الثـــــانى"
العـــــلاقات الاقتصادية

تمثل الحالة الاقتصادية لعرب ما قبـل الإسلام جانبا هاما من الجوانب التى تعطينا صورة واضحة لحياة العرب وأسـباب معايشهم وطرق اتصالهم بالأمم المجاورة وعلاقتهم بـهم. فالنظام الاقتصادى فى عصر مـا قبل الإسلام جعل العرب ينـقسمون إلى طبقـات اجتماعية تـتفاوت فى درجات الغنـى والفقر، وهذا التفاوت كان له أثـره البالغ فى الحياة الاجتماعية والسـياسية والحضارية وغيرها.

والنظم الاقتصادية فى أى مجتمع من المجـتمعات تعتمد أساساً على ثلاث حرف رئيسة: هى الزراعة ، والصناعة، والتجارة.

أولاً: الزراعة .

تعد الزراعة من الحرف الهامة لدى عرب الـيمن الجنوبيين، وقد ساعدهم فى ذلك خصوبة أرضهم، وطيب هوائها، وكـثرة مصادر مياهها، فقد قامت باليمن حـضارة زراعية قديمة تمثلت فى اهـتمامهم بإقامة السدود حـفاظاً على أراضيهم من خطر السيول واستصلاحهـم للأماكن المرتفعة التى زرعوها على هيئـة مدرجات وجعـلوا بها من المحـاصيل ما يتـناسب ودرجات حـرارتها. ولشدة اهـتمامهـم بزراعة المحاصيـل كثرت منـتجاتهم الـزراعية التـى كانوا يعتمدون على قسط كبير منها في تجاراتهم.

واهتم أيضـا أهل الحيرة بالزراعة، تـلك الحرفة التى أملـتها عليهم طـبيعة المكان الذى تقع فيه الحيرة فهى - كـما ذكرنا - تقع فى أرض السواد وعلى نهر كافر، مما جـعل أهلها - وهم من أصل يمنى - يأنسـون إلى حياة الدعة

والاستقرار اللازمة للزراعة، فامتدت مزارع النخيل والأعشاب والبساتين والجنان فى نواحيها من النجف حتى الفرات.

كذلك تعد اليمامة من المناطق الخصبة التى استقر أهلها واستعانوا بالموالى والعبيد وأهل اليمن لاستغلال أرضهم، فصاروا من أصحاب الزراعة ؛ ولهذا قيل لأهلها: أهل ريف، واشتهرت اليمامة بكثرة العبيد والموالى الذين ساهموا بقدر كبير فى العمل بالزراعة واستخراج المعادن وحفر الآبار والعيون وإقامة القرى عليها وعلى حافات الأودية. ومن منتجات اليمامة الزراعية الحنطة والتمور والخضر [(١)] ، واشتهر أيضا هذا الإقليم بتربية الإبل والبقر والغنم لذلك توفرت اللحوم به واستقر أهله وصاروا حضراً أو أشباه حضر.

ويبدو أن الزراعة لم تكن حرفة رئيسة لعرب ما قبل الإسلام فلم تنتشر إلا فى أماكن محدودة من الجزيرة العربية وذلك يرجع إلى عاملين: الأول: طبيعة أرض الجزيرة وجوها. والثانى: أن العربى كان يأنف من الاشتغال بالحرف كالزراعة والصناعة؛ لذا لم تسعفنا المصادر التى بين أيدينا بشىء له أهمية بالنسبة للزراعة غير أن العرب كانوا يتأففون من العمل بها؛ لأن الحروب والغزوات كانت شغلهم الشاغل، أما الزراعة فهى حرفة مزدراة فى نظرهم، لذلك كانوا يجلبون أعداداً كبيرة من الرقيق فى كل عام من أسواق العراق وبلاد الشام ويكلون إليهم القيام بأعمال الزراعة والأعمال الأخرى التى تحتاج إلى خبرة ومهارة فنية، ولما كان العربى الصريح يأنف من العمل بالزراعة فقد وكل إلى هذا الرقيق أمر القيام بها فأدخل إلى العربية كثيراً من الألفاظ الخاصة بالزراعة التى لم تكن معروفة عند العرب من قبل [(٢)]، مثل ظهور المصطلحات الآرامية والفارسية والنبطية فى لغة زراع يثرب؛ لأنهم استعانوا فى الجاهلية بهذا الرقيق المستورد من أسواق العراق وبلاد الشام فى

(١) جواد على : ج ٩ ، ص ٦٥٧ - ص ٦٥٨.
(٢) المصدر نفسه جـ ٨ ، صـ ٧٠١.

زراعة الأرض وإنباتها، حتى أنهم أخذوا مسمياتها منهم مثل: البطيخ فى لغة أهل مكة كانوا يسمونه (الخربز) وهى لفظة معربة من أصل فارسى هو (خربوزه[1]).

ومن المناطق التى اشتهرت أيضا بالزراعة (تكريت) وهى بنواحى الموصل وقد سكنتها إياد - كما ذكرنا من قبل - واستقروا فيها وتعلموا الزراعة، وقد رأينا الأعشى يهجوهم فى شعره ويعيرهم؛ لأنهم يعملون بالزراعة ويقعدون بجوار مزارعهم ينتظرون حصاد المحاصيل، يقول:[2]

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادٌ دَارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا
قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤهُمْ ... وسَلاسِلاً أُجُداً وَبَابًا مُؤْصَدَا
جَعَلَ الإِلَـٰهُ طَعَامَنَا فى مَالِنَا ... رِزْقاً تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا
مِثْلَ الْهِضَابِ جَزَارَةً لِسُيُوفِنَا ... فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا
ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الأَجْرَدَا

ونجد شاعر إياد "لقيط بن يعمر" يحذر قومه غزو كسرى إياهم فيلومهم على أنهم أصحاب زرع تعودوا القعود وصار الحرث شغلهم الشاغل فى الوقت الذى نرى فيه جيش الفرس يتأهب لهم ويعد لهم العدة ليلا ونهارا، يقول فى قصيدته العينية [3]:

خُزْرٌ عيونُهم كأنَّ لَحْظَهُمُ ... حَرِيقُ نارٍ تَرَى منه السَّنَا قِطَعَا
لا الحرثُ يَشغَلُهم بل لا يَرَوْن لَهُمْ ... مِنْ دُون بَيْضَتِكُمْ رِيًّا ولا شِبَعَا
وأنتمُ تحرثُونَ الأَرضَ عَنْ سَفَهٍ ... فى كل مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعَا

(١) جواد على جـ٧، ص ٤٣، ص ٦٣ ،شفاء الغليل للخفاجى ص ٧٦.
(٢) ديوان الأعشى ق ٣٤ص ٢٨١ ومضت هذه الأبيات فى الفصل الثانى من الباب الأول صـ ٦٠.
(٣) ديوان لقيط بن يعمر ص ٣٧ وما يليها، ومضت هذه الأبيات فى الفصل الثانى من الباب الأول صـ ٥٨.

فالعرب بصفة عامة لم يدركوا أهمية الزراعة إدراكا واعيا مثلما فعل الفرس، فلم يعملوا على تنشيطها بل احتقروها ونفروا منها. ولو أنهم أخذوا بأنظمة الفرس فى الزراعة كمسح الأرض الزراعية والاهتمام بها وعد النخيل والزيتون والجماجم وأحصوا الجربان [1] ووضعوا الخراج على كل جريب أرض[2] ؛لاستفادوا كثيرا من ذلك ولربما قامت لديهم حضارة زراعية لا مثيل لها.

ثانياً: الصناعة.

الصناعة فى أى مجتمع من المجتمعات ينبغى أن تتوفر لها إمكاناتها من استقرار وأمن، ومن وجود حاجة إليها ومن توفر المواد الأولية والمواد الخام اللازمة لها، وهذا كله لا يتوافر إلا فى المناطق الحضرية أما المناطق البدوية فحاجتها إلى الإنتاج والتصنيع قليلة لسذاجة الحياة وبساطتها فيها؛ ولهذا تكون الصناعة فيها بسيطة تتناسب مع بساطة ذلك المجتمع البدوى ومع درجة بداوته، ولهذا تفاوتت مستويات الصناعة البدوية بتفاوت مستوى البداوة، وبتفاوت درجة حاجتها إلى الأشياء [3] هذا إلى جانب احتقار العربى للاشتغال بالحرف والاستهانة بها، فالبداوة المنعزلة عن الحضارة، التى قل اتصال أبنائها بالحضر وبالعالم الخارجى، وشحت خيراتها ومواردها الأولية، لا يمكن أن تظهر فيها صناعة متطورة، ولا يعقل نمو عمل مزدهر فيها، لانعدام الموارد الطبعيّة المغذية للعامل ولأصحاب رأس المال من السادة والأغنياء، ولعدم وجود حاجة إليها مع تلك البداوة القانعة بالحياة البسيطة

---

(١) الجربان جمع جريب، وهو من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة وهو عشرة أقفزة، والقفيز من الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعا، والذراع ما بين طرفى المرفق إلى طرفى الإصبع الوسطى (اللسان ج ١ص ٥٨٢ (جرب) ج٥ ص ٣٧٠١ (قفز) ج٣ صـ ١٤٩٥ (ذرع).)

(٢) جواد على جـ٧، صـ ٥٠٧.

(٣) الطبرى جـ٢ صـ ١٥٠ وما يليها.

ومن ثم نجد الصناعة لم تتطور أو تزدهر إلا فى المجتمعات الحضارية المتطورة التى توفرت فيها إمكانات التصنيع، وأملت عليهم متطلبات حياتهم الشعور بضرورة الاستفادة من الثروات الطبعيّة المتوفرة لديها بتصنيعها أو بتحويلها إلى موارد أخرى يحتاج إليها الحضرى، هذا بجانب توفر الوسائل اللازمة لقيام الصناعة.

وأغلب الظن أن الصناعة كان نصيبها أقل من حرفتى الزراعة والتجارة ففى اليمن اقتصرت الصناعات على صناعة الجلود والأنطاع [١] فى صنعاء ونجران وجرش وصعدة وزبيد. ويبدو أن هذه الصناعة تعلموها من الفرس فقد ذكر الجواليقى [٢] أن لفظة "الأرندج" و "اليرندج" لفظة معربة وأصلها "رنده" وهى كلمة فارسية يراد بها الجلد الأسود المدبوغ بالعفص حتى يسود، وقد وردت هذه اللفظة فى شعر للأعشى يقول فى وصفه لثور أبيض الظهر قوائمه سوداء [٣]:

عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمَا

وتخصص قوم بعمل السروج ونحوها من الأدوات التى تستعمل فى الحيوان مثل اللجام والرسن [٤]، كما تخصص آخرون بصنع الأحذية والهمايين[٥] واشتهرت همايين هجر [٦].

(١) النطع: نوع من الأدم (اللسان ج٦ ص ٤٤٦٠ نطع).
(٢) المعرب ص ١٦.
(٣) ديوانه ق ٥٥ صـ ٣٤٥، والديابوز: ثوب ينسج على نيريس، العظلم: نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به الشعر.
(٤) ذكر الجواليقى أن اللفظة أصلها فارسى وعربت فى الجاهلية (المعرب ص ١٦٤)، والرسن هو الحبل الذى يكون على الإزمّة من أنف الفرس (اللسان ج ٣ ص ١٦٤٧).
(٥) الهمايين كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط، وقيل إنه معرب عن الفارسية.
(٦) جواد على جـ ٧ صـ ٥٩٠.

واشتهـرت أيضا صناعة المـنسوجات وعلـى الأخص الشروب المقصـبة فى سحولا وعدن وصنعاء، وصناعة السيوف والرماح اليمنية [١].

واختصت الحيرة فى عـهد المناذرة بعدد من الصناعات الدقيـقة مثل صناعة المنسوجات الحريريـة والكتانية والصوفية، وكان قصـر الخورنق يضم عددا من القيون والنساج، ومن أزياء أهل الحيرة الساج والطيلسان والدخدار، وقد ذكر الجواليقى أن الدخدار من الألفاظ الفـارسية المعربة وأصله "تخت دار" : أى يمسكه التخت، وقد ورد فى شعر لعدى بن زيد العبادى حين يقول:

تَلـــوُحُ المَشْرفِـــيَّةُ فـــى زُراه   ويَجْلُو صَفْـــحَ دَخْدارٍ قَشِيْبِ [٢]

ومن أزيائهم أيضا الشرعبيـة وهى ضرب من البرود الطويلة[٣] التى تصنع من الحرير الأحمر، وقد وردت فى شعر للأعشى حيث يقول: [٤]:

وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الإضْـــ   ـــرِيـجِ والشَّرْعَبِـيَّ ذَا الأَذْيَالِ[٥]

ومنها أيضا السيراء وهى ثياب مسيـرة أى فيها خيوط من الحرير كالسيور، وقد وردت فى شعر الشماخ بن ضرار الذبيانى يقول [٦]:

فـــــقـــــال: إِزَارٌ شَرْعَبِيٌّ وأَرْبَعٌ   مـــن الـــسِّيَرَاءِ أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ [٧]

---

(١) ومنها الرماح اليـزينية والخطية والردينية والسمهـرية (تاريخ الدولة العربية ص ١٦ د/ السيد عـبد العزيز سالم الجزء الثانى من دراسات فى تاريخ العرب طبعة مؤسسة شباب الجامعة.)

(٢) المعرب ص ١٤١ البيت فى ديوانه ص ٣٧.

(٣) اللسان جـ٤ صـــ ٢٢٤١.

(٤) ديوانه ق١ صـــ ٥٩.

(٥) الإضريج: الحرير الأصفر

(٦) ديوان الشماخ: ق٨، ص ١٨٧.

(٧) الأواق: جمع أوقية، وقيمتها أربعون درهما، والنواجز: الحاضرة التى لا مطل فيها.

كذلك اشتهرت الحيرة بصناعة الأسلحة من سهام وسيوف ونصال للرماح. أما صناعة التحف المعدنية فكانت من أرقى الصناعات فى الحيرة وكان الصاغة الحيريون يتفننون ويبدعون فى صناعة أدوات الزينة من ذهب وفضة، يرصعونها بالجواهر واليواقيت، وكذلك ذاعت شهرة الخزف الحيرى والجلود الحيرية والتحف المصنوعة من العاج (١).

واشتهرت فى الحيرة الملابس والأكسية الفارسية مثل: الدخدار والخسروانى (٢) والديابوذ والجودياء (٣) وورد ذكر معظمها فى الشعر الجاهلى وعرفها العرب الجاهليون عن طريق اتصالهم بأسواق العراق وغيرها.

والطبخ من الحرف التى عرفها الجاهليون، وقد استخدم أصحاب المال والثراء طباخين أعاجم لطبخ بعض الأطعمة لهم، وذلك لإتقانهم عمل الطبخ والتفنن فيه ولمعرفتهم بأنواع المآكل الأعجمية التى لا يعرفها العرب، ومن هؤلاء عبد الله بن جدعان الذى تردد على بلاد الفرس كثيراً وجاء بطباخ فارسى من العراق ليطبخ له مأكولات لا يعرفها أهل مكة، وقد أعجبته، مثل (الفالوذج) وهو من مأكولات الفرس، ومن الأطعمة التى صنعت فى بلاد العرب وأصلها فارسى (الخرديق) (الخردق) وهو طعام شبيه بالحساء ويقال له (الخزيرة) أيضا (٤).

ومن الإنجازات العربية الهامة فى عالم البحر، صناعتهم للسفن التى انفرد بها أبناء الخليج العربى، بسبب الموقع الجغرافى الفريد للخليج الذى يعد ممرا بحريا للتجارة العالمية بين الشرق الغرب، والطبيعة الصحراوية الفقيرة المحيطة

---

(١) دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول، عصر ما قبل الإسلام ، صـ ٣٨٦.

(٢) هو نوع من الحرير الرقيق، معرب (شفاء الغليل) صـ ٧٧.

(٣) الديابوذ : هو بالفارسية (دو أبوذ) أو (دبوذ): وهو ثوب ينسج على نيرين (المعرب صـ ١٣٨، ١٣٩).
والجودياء: بالنبطية أو الفارسية: الكساء (اللسان جـ١ ص٧٢٢).

(٤) المعرب: صـ ١٢٨ أدى شيرصـ ٥٣ ، وقد قال الخرديق معرب (خوردى) وهو يطلق على كل ما يؤكل.

بالخليج، بحيث صار البحر مجال مغامراتهم فى سبيل حياة أفضل، سواء فى صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ أو فى التجارة عبر البحار والمحيطات؛ ولذلك ركبوا السفن الصغيرة والكبيرة المارة بمياههم وساعدوها بالتموين، وعملوا عليها بحارة، فقد كانت شواطئهم سواء فى عدن أو فى عمان أو غيرهما ملجأ لسفن الفرس والصين والهند ، وبطبيعة الحال نقل عرب الخليج أسرار صناعة السفن من مصر والهند، ولكنهم طبقوا خبراتهم الملاحية بالطرق البحرية والسفن فى البحار الجنوبية ومعوقات الملاحة من شعاب مرجانية على قيعان السفن، وتغلبوا على الطبيعة الصحراوية لبلادهم بنقل الأخشاب من الهند وشرق إفريقيا واستبدلوها بالتمر واللؤلؤ. وبدأوا بصنع المراكب الشراعية الصغيرة (الداو) ثم قوارب صيد الأسماك ومراكب الغوص على اللؤلؤ حتى صنعوا السفن التجارية الضخمة عابرة المحيطات، والأساطيل البحرية الكبرى. وفى البداية كان العرب يصنعون سفنهم بدون استخدام مسامير حديدية؛ لاعتقادهم بأن الشعاب المرجانية التى كانت ترتطم بها السفن فى البحر الأحمر هى أحجار مغناطيسية تجذب إليها الحديد الموجود فى مسامير السفن ولا تتركها حتى تحطمها، فكانوا يستخدمون الحبال فى ربط ألواح السفن ثم يدهنونها بزيت السمك لحمايتها من رطوبة الماء [١].

وصناعة السفن على هذا النحو كانت تحتاج إلى استيراد الخشب القوى الصالح لبنائها من الخارج أو شراء بعض السفن جاهزة من الأسواق الخارجية؛ لذا كانت هذه الصناعة تكلف أصحاب معامل السفن تكاليف باهظة، ومن ثم لم يستطيعوا مزاحمة الرومان والفرس فى عالم البحار المحيطات.

---

(١) أدب البحر، صـ ٢٦ تأليف: محمد عطية - طبعة دار المعارف بالقاهرة.

ثالثاً: التجارة .

تعد التجارة من الحرف الرئيسة الهامة لعرب ما قبل الإسلام، وهى وسيلة من أهم وسائل الاتصال بين العرب والأمم الأخرى، وخاصة الفرس. وتكاد تكون التجارة الحرفة الوحيدة عند العرب التى لم ينظروا إليها أو إلى المشتغل بهـا نظرة استـهجان أو ازدراء أو انتـقاص، بل صـارت عندهم مـن أشرف الحرف قدرا ومنزلة، ونظر إلى التاجر نظـرة تقدير وتجلة، مع أنها حرفة مثل سائر الحرف تحتاج إلى عمل وجهد، وقد ساعـدتهم ظروف حياتهم الطبعيّة أن يكونوا تجارا فى الغالب؛ لذا شرفوا الـتجارة على غيرها من الحرف حتى بعد ظهور الإسلام.

وقد رسمـت لنا كتب الأدب والـتاريخ صورة عـن التبادل التـجارى بين العرب والفرس وغـيرهم من الأمم الأخرى نستبين من خـلالها مدى ازدهار هذا النشاط التجارى بين ملوك الفرس والـعرب أنفسهم، فقد كانوا يتاجرون معهم ويـشترون منهم ويبيـعونهم، ويرسلون القـوافل بأسمائهم إلى الـعربية الجنوبية لبـيع ما تحمله فى أسواقها ولشـراء سلع العربية الجنوبية، يـحملونها إلى أسـواق العراق. وقد كـان ملوك الفـرس وملوك الحيـرة يكلون حـراسة قوافلهم إلى جماعة يختارونهم من سـادات القبائل العربية المهابين المعروفين، مقابل جعل يدفعونه لهم.

ويظهـر من روايات الأخبـاريين أن جماعـة من تجار مكـة تخصصـت فى الاتجار مع العـراق، وقد كان لهم تعـامل مع كسرى، وربما مـع كبار رجال دولته الذين مارسوا التجارة ونزلـوا الأسواق. ومن ثم عرف تجار مكة قانون التجـارة والنظم والقـواعد التجاريـة التى لم تـكن مألوفة لـديهم [1] وكان

(١) جواد على : جـ٧، صـ ٢٣٠.

أبوسفيان بن حرب على رأس هؤلاء التجار الذين وفدوا على كسرى وعلى العراق [١].

وقد أدى هذا النشاط التجارى إلى إنشاء عدة طرق تجارية تسير منها القوافل وذلك فى مواضع يتوفر فيها الماء والكلأ وغير بعيدة عن حدود الحاضرة من العراق وبلاد الشام، وتكونت بذلك إمارات وخاصة فى المواضع التى تتصل بها طرق القوافل، حيث كان يتقاضى سادات تلك المواقع إتاوات عن التجارة التى تمر بها، وعن التجارة التي تحمل إليها لبيعها فى أسواقها، فيجتمع لهم دخل لا بأس به من هذه الجباية التى قد ترتفع أحيانا إلى درجة التعسف بالتجار ، ولا سيما إذا كانت هذه المواضع عصبا ضرورياً فى تجارة البادية بحيث لا تجد القوافل الكبيرة المحملة بالتجارة النفيسة بدا من المرور منها، وبذلك ظهر التنافس بين القبائل العربية فى محاولة سيطرتهم على هذه الطرق مما جعل بعضها غير آمن،وبذلك تضطر القوافل إلى سلك طرق أخرى برية أو بحرية. وفى مجال حماية القوافل التجارية وخاصة التابعة للفرس وملوك الحيرة يحدثنا الأخباريون بأن هوذة بن على الحنفى كان يجيز لطيمة كسرى فى كل عام ، واللطيمة عير تحمل الطيب والبز [٢]. وقد ذكرنا فى الحديث عن يوم الصفقة وقتل بنى تميم بالمُشقّر أن سبب ذلك هو اعتداء بنى تميم على إحدى قوافل كسرى القادمة من اليمن[٣].

وقد كان النعمان بن المنذر اللخمى ملك الحيرة يبعث إلى سوق عكاظ فى كل عام لطيمة في جوار شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك، ويشترى له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه، وكثيرا ما كان يعتدى

(١) العقد الفريد: جـ٢ـ، ص ٢١.
(٢) العقد الفريد: جـ٢ ، صـ ٢٤٣.
(٣) راجع الفصل الأول من الباب الثانى صـ٩٨ وما يليها.

على هذه اللطيمة وتنهب، وكان ذلك سببا فى نشوب حروب كثيرة بين ملوك الحيرة والقبائل العربية، مثل حرب الفجار بين قريش وكنانة وهوازن كلها، ومثل يوم السلان بين بنى عامر بن صعصعة والنعمان بن المنذر (١)؛ وذلك لأن العامريين اعتدوا على قافلة لكسرى أبرويز كانت متجهة إلى سوق عكاظ.

فحماية القوافل إذن لم تكن تسند لأشخاص عاديين، بل كانوا يختارون بعناية تامة من عرف بشجاعته وبأسه، وكانت تؤخذ العهود والمواثيق من القبائل حتى لا يعتدوا على القوافل المارة فى أرضهم، وذلك نظير الجعل الذى يفرضونه. وتعد تجارة الحرير من أهم المواد التى احتكرها الفرس تقريبا ونافسوا بها البيزنطيين (٢) ، كما زاحموهم فى احتكارهم سواحل العربية الجنوبية بعد احتلال الفرس لليمن، وكان ذلك هدفهم فى السيطرة على طرق التجارة الجنوبية، فبعد أن تخلص الفرس من الأحباش ازدهر نشاطهم التجارى فى أنحاء الجزيرة العربية بصورة ملحوظة حيث غمرت قوافل ملوك الفرس والحيرة جميع أسواق الجزيرة العربية.

وكما ازدهر النشاط التجارى بين العرب والفرس عبر الطرق البرية ازدهر أيضا عن طريق البحر "فقد نقل عرب الجنوب من سكان حضرموت واليمن والخليج عامة تجارة الهند وإفريقيا عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج العربى إلى الشام والعراق ومصر .... وقاموا بأعمال التبادل التجارى عبر البحر الأحمر من الخليج واليمن إلى الساحل الشرقى لإفريقيا، حيث أقاموا المراكز التجارية على هذا الساحل ونقلوا منها تجارة إفريقيا، من الذهب والعاج والرقيق فوق السفن العربية، وتبادلوها بالسلع العربية والرومانية والفارسية. وكانت هذه الرحلات التجارية البحرية منتظمة، تؤكدها

(١) نهاية الأرب للنويرى، ج ١٥ صـ ٢٤٥، جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى طبعة بمباى - ملك الكتاب - سنة ١٣٠٧هـ صـ ١٥٥ - ١٥٦، ابن الأثير : جـ١ صـ ٦٣٩ وما يليها ، الأغانى: جـ٢٢ صـ٥٦ وما يليها.

(٢) جواد على: جـ٢ صـ ٦٥٧.

سيطرتهم على بعض مراسى وموانئ الساحل الإفريقى، وتمرسهم بصناعة السفن ومعرفتهم للطرق البحرية والرياح الموسمية (١). »

أما الفرس فلم يكن لهم نشاط تجارى بحرى تجدر الإشارة إليه غير أنهم استغلوا الظروف الحرجة والأوضاع المضطربة التى تقع للإمبراطورية البيزنطية فزادوا من نشاطهم فى البحر وأمعنوا فى مطاردة التجار البيزنطيين فى البحر العربى والخليج وفى الهند، حتى قل عدد سفن الروم فى المحيط واكتفوا بالوصول إلى باب المندب والسواحل الإفريقية فى بعض الأحيان (٢).

ونستطيع أن نؤكد من خلال الشعر الجاهلى الذى وصل إلينا أن العرب قد عرفوا التجارة البحرية وركبوا السفن وتمرسوا بالملاحة فنجد الشعراء الذين عاشوا بالقرب من الشواطئ ورأوا السفن والملاحين والغواصين، لم يفتهم أن يصفوها أو يختزنوا مناظرها ليشبهوا بها، أو يتخذوها مادة فنية يمكنهم الاقتباس منها والرجوع إليها.

فهذا طرفة بن العبد ولد بالبحرين (سنة ٥٦٤م)، تقريبا فتفتحت عيناه على عالم البحر والسفن، وكانت مساكن قومه تطل على مياه الخليج، وهو شاعر شاب مات قتيلا فى ريعان شبابه.

وقد أجمع النقاد على الإشادة بمعلقته التى يستهلها بالوقوف على الأطلال وذلك فى بيتين يصور فيهما آثار حبيبته (خولة) وآثارها الخربة بعد رحيلها ثم ينتقل إلى وصف الظعائن فيصف حدوج فتاته المالكية ويتخذ من صور البحر والسفن متنفساً لمعانيه ليأتى بصورة مركبة تمزج بين الواقع والخيال وتفصح عن

---

(١) أدب البحر صـ ١٤.
(٢) جواد على : جـ٧ـ، صـ ٢٨٠، ٢٨١.

خبرة الشاعر بعالم البحر ومياهه وسفنه ، يقول (١):

كأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّة غُدْوَةً ... خَلاَيَا سَفِينٍ بالنَّواصف منْ دَد (٢)
عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ منْ سَفِينِ ابْنِ يَامنٍ ... يَجُورُ بها المَلاَّحُ طَوْراً وَيَهْتَدِى (٣)
يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ بالْيَد (٤)

ثم يقدم لنا الشاعر إضافة جديدة ودلالة على خبرة العرب بالبحر وأمواجه وطرقه الملاحية، وبالسفن وأنواعها وأهلها وأجزائها وتحركاتها عبر الطرق الملاحية، يقول أيضا فى معلقته فى القسم الخاص بوصف الناقة (٥):

وَأَتْلَعَ نَهَّاضٌ إذَا صَعِدَتْ بِهِ ... كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِد (٦)

والنابغة الذبيانى فى معلقته يستعين بالملاح وسفينه وخيزرانه وماء الفرات العذب فى الإفصاح عن جود ممدوحه، يقول (٧):

فَمَا الفُرَاتُ إذا هَبَّ الرِّيَاحُ لَه ... تَرْمِى غَوارِبُه العِبْرَيْنِ بالزَّبَد (٨)
يَمُدُّه كُلُّ وادٍ مُتْرعٍ لَجِبٍ ... فِيه رُكَامٌ من اليَنْبُوتِ والخَضَد (٩)

---

(١) ديوانه: صـ ٣٠ - ٣١.

(٢) الحدوج: جمع حدج وهو مركب النساء، والمالكية: قبيلة من كلب تنسب إلى بنى مالك وهى قبيلة الحبيبة الراحلة، الخلايا: السفن العظيمة، السفين: جمع سفينة، والنواصف: مجارى الماء إلى الأودي، دد : اسم موضع.

(٣) عدولية: نسبة إلى عدولى وهى قرية بالبحرين، ابن يامن: ملاح من هجر، يجور: يميل.

(٤) حباب الماء: أمواج البحر، حيزومها: صدرها، الترب: التراب، المفايل : لغة عربية قديمة للمراهنة.

(٥) ديوانه: صـ ٤١.

(٦) أتلع: العنق الطويل، نهاض: كثير النهوض، البوصى: نوع من السفن.

(٧) ديوان النابغة: صـ ٢٦ وما يليها.

(٨) الغوارب: الأمواج، العبرين: جانبى الوادى ، والزبد : ما يطرحه الوادى إذا جاش ماؤه.

(٩) المترع : المملوء، اللجب: ماله صوت لشدة سيله، الينبوت والخضد: نبتان.

يَظَلُّ من خَوْفه المَلاَّحُ مُعْتَصِماً بالخَيْزُرانَة بعدَ الأَيْنِ والنَّجَد (١)
يوماً بأجودَ منه سَيْبَ نَافلةٍ ولا يَحُولُ عَطاءُ اليومِ دُونَ غَدِ (٢)

ونرى سويد بن أبى كاهل اليشكرى يفتخر بنفسه وبقوته، فيشبه نفسه فى شدة غضبه بالبحر فى اضطراب أمواجه وشدتها وقسوتها على الحاذق بالسباحة، هذا إلى جانب أنه يستخدم ألفاظاً شديدة الوقع تثير الانتباه لغرابتها وحدتها ، يقول (٣):

ذُوعُبَابٍ زَبِدٌ آذِيُّهُ خَمِطُ التَّيَّارِ يَرْمِى بالقَلَعْ (٤)
زَغْرِبِيٌّ مُسْتَعِزٌّ بَحْرُهُ لَيسَ لِلْمَاهِرِ فِيهِ مُطَّلَعْ (٥)

ونرى المثقب العبدى فى قصيدته المفضلية يشبه ناقته وقد ارتفع عليها أدوات الرحل بالسفينة طويلة الظهر (القرواء) السابحة المدهونة، وهى تشق الماء بصدرها (جؤجؤها) ويعلو مع ارتفاع أمواج البحر المرتفعة على المدى البعيد. وتستطيع من خلال الأبيات أن نتعرف على كيفية صنع السفينة ودهانها بزيت السمك كما ذكرنا.

يقول الشاعر (٦):

كَأَنَّ الكُورَ والأَنْسَاعَ منها على قَرْوَاءَ مَاهِرَةٍ دَهِينِ
يَشُقُّ الماءَ جُؤْجُؤُها ويَعْلُو غَوَارِبَ كُلِّ ذى حَدَبٍ بَطِينِ

---

(١) الخيزرانة: المردى: عود من أعواد المركب، الأين: الإعياء، النجد: العرق والكرب.
(٢) السيب: العطاء، والنافلة : الفضل.
(٣) المفضليات: ص ٢٠٢.
(٤) الأذىّ: الموج، والقلع: الصخرة العظيمة.
(٥) الزغربى: الكثير الماء، والمستعز: الذى لا يقدر عليه ، والمطلع: المخرج.
(٦) المفضليات: ق ٧٦، صـ ٢٩١.

ونرى امرأ القيس فى معلقته يلم بالعديد من الصور والتشبيهات التى تستهدف التعبير عن نفسه وثقل وطأة الهموم على صدره، إلاأنها صور واقعية استمدت مادتها من البحر؛ لأنها تشبه ظلام الليل بظلام أمواج البحر وكثافتها بالإضافة إلى أصوات الأمواج العنيفة وسيطرة الظلام والسواد على البحر، فهذه صورة غنية استطاعت أن تعبر عن تنوع هموم الشاعر وقسوتها واستطاع الشاعر أن يرسم بأدواته هذه الصورة الفنية ، يقول [1]:

وليلٍ كموجِ البحرِ أَرخى سُدُولَهُ عليّ بأنواع الهموم ليَبْتَلِى
فقلْتُ له لمّا تمطّى بجوْزه وأَرْدَفَ أعجازاً وناءَ بكَلكلِ
أَلاَ أيُّها اللَّيْلُ الطويلُ أَلا انْجَلِى بصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ فيكَ بأَمثَلِ

وفى مجال الفخر نجد عمرو بن كلثوم شاعر بنى تغلب يفتخر بقومه وكثرة عددهم حيث ضاق البر عن بيوتهم وامتلأ البحر بسفنهم، يقول فى معلقته[2]:

ملأنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءَ الْبَحَرِ نملؤُهُ سَفِينَا

وتكررت - على هذا النحو - فى قصائد الشعر الجاهلى صور البحر وأمواجه وسفنه وظواهره وطرقه الملاحية ، وكل هذه الصور إن دلت على شيء فإنما تدل على معرفة العرب لها وازدهار حركة التجارة عن طريق البحر كما ازدهرت عن طريق البر، ومن ثم أصبحت التجارة وسيلة هامة من وسائل الاتصال بين العرب والأمم الأخرى وذلك عن طريق الأسواق

(١) ديوان امرئ القيس: ق ١، صـ ١٨.
(٢) شرح المعلقات للزوزنى: صـ ١٤٠. ورواية البيت فى شرح القصائد السبع للأنبارى (ونحن البحر ....) صـ ٤٢٧.

التى انتشرت فى أنحاء الجزيرة العربية ووفد عليها أناس من جنسيات مختلفة يجلبون إليها تجاراتهم يبيعون ويشترون وينشرون فى أثناء ذلك عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وطرق معاملتهم التجارية.

وتحدثنا المصادر الأدبية والتاريخية عن هذه الأسواق وما كان يحدث فيها ومواعيد إقامتها ونهايتها، وذكروا منها ما يزيد على ثلاث عشرة سوقا فى مختلف أنحاء الجزيرة. وأشهر هذه الأسواق: سوق المشّقر، وكان يقصدها الأعراب الساكنون فى العربية الشرقية، والأعراب القريبون إلى هذا الموضع، ويرد إلى هذه السوق تجار الفرس بمبيعاتهم يقطعون البحر، فيتاجرون مع من يقصد هذه السوق من القبائل والحضر.

وكانت بنو تميم وعبد القيس جيرانها. أما المشرف عليها فرؤساء تميم من بنى عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى، وكانوا يتلقبون بألقاب الملك؛ لأن ملوك الفرس قد استعملتهم عليها. وكانوا يأخذون العشر، وكان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش؛ لأنها لا تؤتى إلا فى بلاد مضر، وكان بيعهم فيها بالملامسة والإيماء والهمهمة، وتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر [1].

ومن أشهر الأسواق أيضا سوق عدن فكانت تقوم أول يوم من شهر رمضان إلى عشرين يمضين منه. وكانت الأبناء (وهم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز وقتلوا الحبشة) هى التى تعشر التجار بها،وكان التجار لا يتخفرون فيها بأحد؛ لأنها أرض مملكة وأمرها محكم [2]، وأشهر ما يباع فى هذه السوق الطيب، ولم يكن أحد يحسن صنع الطيب من غير العرب حتى

---

(١) المحبر: لابن حبيب: ص ٢٦٥، اليعقوبى: جـ١، ص ٣١٣، الأزمنة والأمكنة: جـ٢، صـ ١٦٢ وما يليها ، خزانة الأدب جـ٤، صـ ٤٧٤ وما يليها.
(٢) المحبر: صـ ٢٦٦.

إن تجار البحـر ترجع بالطيب المعمول تفـخر به في السند والهند، ويرحل به كذلك تجار البر إلى فارس والروم (1).

ومن أشهـر الأسواق أيضا سوق عكاظ فى مكان بأعلى نجـد بالقرب من عرفات وكانت تقوم فى الأشهر الحرم فى النصف من ذى القعدة ويأتيها وفود العرب من جميع أنحاء الجزيرة ، والذى يقوم على أمر الحكومة فيها من بنى تميم، وكان آخـر من قام بها منهم الأقرع بـن حابس التميـمى، وتنتهى هذه السوق بانتهاء مناسك الحج (2).

ومن الطبـعيّ أن يؤدى ذهاب العـرب إلى أسـواق العـراق وبلاد الشـام واحتكاكهم بالفرس والروم إلى الوقوف على أحوالهم والاتصال بهم والأخذ منهم والتأثر بثقافتهم وحضـارتهم واقتباس ما يلائمهم منهم، ومن الطبعيّ أن يؤثر التجـار الروم والفرس بعض التـأثيرات فى نفوس زمـلائهم العرب فى الأماكن التى ولجـوها من جزيرة العرب، وأن ينـقلوا إليهم شيـئاً من آرائهم وأفكارهم وتجاربهم فى الحياة، وأن يعطوهم شيئاً من مصطلحات لغتهم التى لا تعرفها العربية كالأسماء الخاصة بالبضائع التى يأتون بها إلى جزيرة العرب لبيعها فى أسواقها.

وكما عرف أهل الحيرة بنشاطهم فى الأسواق وباتجارهم مع أسواق جزيرة العرب وغيرها، اشـتهرت الحيرة أيضا بسوقهـا إذ كان الأعراب وتجار جزيرة العرب يقـصدونها لبيع تجـاراتهم وشراء ما فيـها من سلع نفيـسة مطلوبة فى بلادهم.

---

(1) الأزمنة والأمكنة جـ2 صـ 165 .

(2) خزانة الأدب: جـ4، صـ 474 ، نهاية الأرب للقلقشندى: صـ 464 ، المحبر: صـ 267.

وقد عرف أهل الحيرة بحذقهم فى الصيرفة وفى بيع الفلوس (١)، وأغلب الظن أن ملوك الحيرة لم يقوموا بضرب النقود بل كانوا يتعاملون بالعملات الفارسية، ويبدو أن ذلك له بواعث سياسية أو اقتصادية من قبل الفرس، وعلى أية حال فالدراهم التى كانت تستخدم فى الجاهلية كانت نوعين مختلفين: (بغلية) وعليها نقش فارس،(وطبرية) وعليها نقش الروم ، وهذا النقد كان من الفضة وزن الأول منه ثمانية دوانيق والثانى أربعة دوانيق (٢). وقد ذكر علماء اللغة أن لفظة الدرهم فارسية الأصل وقد عربت وقالوا فى جمعها دراهم ودراهيم (٣) ، والدانق من الأوزان ومن النقد وربما قالوا داناق وهو من أصل فارسى [دانك] وهو يعادل سدس الدينار والدرهم وكان معروفا عند العرب فى الجاهلية (٤).

وكما اشتهرت العملات الفارسية فى الأسواق العربية اشتهرت أيضا بعض الألفاظ الفارسية الخاصة بالبيع والشراء ومنها: السمسرة، والسمسار هو المتوسط بين البائع والمشترى، لإمضاء البيع، ويسميه الناس الدلال؛ لأنه يدل المشترى على السلع ويدل البائع على الأثمان.

واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية وهى: (سفسير)(٥)، وقد وردت لفظة السمسار فى شعر الأعشى مما يدل على معرفة العرب بها حيث يقول(٦):

وَأَصْبَحْتُ لا أَستَطِيعُ الكَلام   سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا

(١) جواد علي: جـ٧ صـ ٢٩٦.
(٢) بلوغ الأرب للألوسى، جـ٢، صـ ٢٠٦.
(٣) اللسان : جـ٢، صـ ١٣٧٠ (درهم)، وذكر الجفاجى أنها معرب (درم) شفاء الغليل: صـ ٨٣. ، أدى شير صـ ٦٢.
(٤) اللسان: جـ ٢، صـ ١٤٣٣ (دنق)
(٥) المعرب: صـ١٨٥، وذكر أدى شير أنها تعريب (سپسار) وهو الدلال صـ ٩١.
(٦) ديوان الأعشى: ق ٦٤، صـ ٣٦٩.

فالسمسار إذن هو الرجل الحاذق المتبصر، وكان لمثل هؤلاء الناس دورهم فى الأسواق لترويج السلع وبيعها.

وتحدثنا المصادر التى بين أيدينا عن الضرائب التى كانت تأخذها ملوك العرب وسادات القبائل والمتنفذون الذين تمر قوافل التجارة بمناطق نفوذهم أو تقوم الأسواق فى بلادهم.

فيحدثنا الجاحظ [1]: "أن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار فى البر والبحر، وفى أسواقهم المكس، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يظلمونهم فى ذلك".

لذلك نرى بعض الشعراء يتضررون من كثرة الضرائب وقسوة من يطالبون بها، فنرى جابر بنى حنى التغلبى يشكو ذلك ويتوعد فى قصيدة مفضلية له، يقول: [2].

ويَوماً لَدَىَ الحَشَّارِ مَنْ يَلْوِحَقَّهُ ... يُبَزْبَزْ ويُنْزَعْ ثَوْبُهُ ويُلَطَّمِ [3]

وفى كُلِّ أَسْوَاقِ العِرَاقِ إتاوَةٌ ... وفِى كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

. . .

أَلا تَسْتَحِى مِنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقِى ... مَحَارِمَنَا لا يَبُؤْ الدَّمُ بالدَّمِ

وليزيد بن الخذاق قصيدة يثور فيها على النعمان بن المنذر، فيقول مخاطبا الجارود [4]:

---

(١) الحيوان: جـ٦: صـ ١٤٨

(٢) المفضليات: ق ٤٢، صـ ٢١١.

(٣) ذكر أستاذنا الدكتور/ محمد مصطفى هدارة أن هذا البيت فيه تفضيل طريف إذ يقول: إن الحاشر وهو جابى المال إذا أراد أحد أن يمطله حقه اضطره إلى الدفع بالعنف والإهانة (دراسات فى الشعر العربى ص ١٣) طبعة دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢م.

(٤) المفضليات: ق ٧٩، صـ ٢٩٨ - الجارود: هو ابن المعلى صاحبى كان سيد عبد القيس وأسلم وحسن إسلامه.

أَلا ابْنَ المُعَلَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنَا صَرَارِيَّ نُعْطِي المَاكِسِينَ مُكُوسَا [١]

ونفهم من هذا البيت أن أصحاب السفن وهم (الصراريون) كانوا يعطون المكس عن البضائع التى تحملها سفنهم، حين وصولها إلى الموانئ.

فنظام الضرائب كما رأينا كان معمولا به فى الجاهلية، فلم يكن من حق الفلاح حصاد زرعه وحمله إلى مخزنه أو جنى ثمره ونقله إلى الأسواق والتصرف فيه مالم يره جباة الضرائب لأخذ العشر منه وهو حصة الحكومة العينية، وقد استتبع هذا النظام تعيين عدد كبير من جباة الضرائب، وإنشاء مخازن لنقل حصص الحكومة إليها، وتستهلك الحكومة جزءا من هذه المحاصيل، وتدفع قسما منها إلى موظفيها مقابل عملهم وبدلا عن مرتباتهم، أما الباقى فيباع فى الأسواق، أو يصدر لبيعه فى البلدان الخارجية ولا سيما المحاصيل النادرة.

وأغلب الظن أن ملوك الحيرة اشتهروا بكثرة جباياتهم للضرائب، فهذه (حرقة) ابنة النعمان بن المنذر عندما دخلت على سعد بن أبى وقاص "قال لها: أنت حرقة ابنة النعمان؟ قالت: نعم، إنا كنا ملوك هذه البلاد، يجبى إلينا خراجها ويدين لنا أهلها مدى الدهر [٢] ....". وقد ذكر الأخنس بن شهاب التغلبى فى قصيدته المفضلية ملوك آل لخم وجباياتهم للأموال، يقول[٣]:

وغارتْ إيَادٌ فى السَّوَادِ ودُونَهَا بَرَازِيقُ عُجْمٌ تَبْتَغى مَنْ تُضَارِبُ [٤]

(١) صرارى: ملاحون.
(٢) العصا : لأسامة بن منقذ، صـ ١٤٨.
(٣) المفضليات: ق ٤١، صـ ٢٠٦.
(٤) برازيق: مواكب وكتائب، واحدها (برزيق) وهى فارسية (أدى شير صـ ١٩).

وَلَخْمٌ مُلُوكُ النَّاسِ يُجْبَى إِلَيْهُمُ   إِذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهْوَ وَاجِبُ

وكان عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسانى شريفا فى الجاهلية، وسكن الحيرة، وعمر طويلا وأدرك الإسلام ولم يسلم، فقال يذكر من كان معه من ملوك قومه الذين مضوا وزال ملكهم [1]:

أَبَعْدَ الْمُنْذِرَيْنِ أَرَى سَوَامًا   تُرَوَّحُ بِالْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ
تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ حَيٍّ   مَخَافَةَ أَغْضَفَ عَالِي الزَّئِيرِ [2]
وَبَعْدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أَرْعَى   رِيَاضًا بَيْنَ مُرَّةَ وَالْحَفِيرِ
وَصِرْنَا بَعْدَ هُلْكِ أَبِي قَبِيسٍ   كَجُرْبِ الشَّاءِ فِي يَوْمٍ مَطِيرِ
تَقَسَّمَنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ   عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ
وَكُنَّا لَا يُرَامُ لَنَا حَرِيمٌ   فَنَحْنُ كَضَرَّةِ الضَّرْعِ الْفَخُورِ
نُؤَدِّي الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَاجِ بُصْرَى   وَخَرْجِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ [3]
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ   فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ سُرُورِ

ومن الألفاظ الفارسية التى لها صلة بالضرائب والمكوس، لفظة (الشمرج) وعربت وصارت (السمرج)، ويذكر اللغويون أنها لفظة فارسية وتعنى استخراج الخراج فى ثلاث مرات، أو هو يوم للعجم يستخرجون فيه الخراج ثلاث مرات، أو يوم جباية الخراج [4].

على هذا النحو الذى رأيناه كانت الحياة الاقتصادية فى جزيرة العرب قبل الإسلام تمثل جانبا هاما من جوانب الحياة العامة، وكان لاتصال الفرس

---

(١) المعمرون والوصايا: صـ ٤٧ وما يليها.
(٢) الأغضف: الأسد.
(٣) فى رواية أخرى: (بعد خراج كسرى).
(٤) اللسان: جـ ٣ صـ ٢٠٩٢ (سمرج) جـ ٤ صـ ٢٣٢٣ (شمرج).

بالعـرب أثر هام فى نـشاط هذا الجانـب. وبالرغم مـن ذلك كان المجتـمع الجاهلى ينقسم كأى مجتمع آخر إلى طبقات اجـتماعية مختلفة كطبقة الأغنياء وأصحـاب رؤوس الأموال الذيـن كانت لهـم اتصالات بـغيرهـم من الأمم لدرجتهم الاجتماعية وغالبا كانوا يسكنون الحواضر والقرى، وطبقة الميسورين متوسطى الحال، وطبقة الفقراء المعدمين الذين عاشوا لخدمة السادة والأغنياء، وكان أغلبـهم يسكن البوادى وعاش فـى حل وترحال. وسيدور حديـثنا فى الفصل الـقادم عن هؤلاء القوم الذيـن استطاعوا أن يتصـلوا بالأمم الأخرى ولاسيما الفـرس لنوضح العلاقات الاجتمـاعية المتبادلة بيـنهم وإلى أى مدى صور لنا الشعر الجاهلى هذه العلاقة.

* * * *

الفصل الثالث

العلاقات الاجتماعية

"الفصل الثالث"

العلاقات الاجتماعية

عندما يتحدث الباحثون عن الحياة الاجتماعية لعرب ما قبل الإسلام يرتبط حديثهم عادة بالنظم الاجتماعية السائدة فى ذلك الوقت، كالنظام القبلى وهو الشائع فى معظم الجزيرة العربية، الذى يترتب عليه تقسيم المجتمع الجاهلى إلى طبقات اجتماعية متباينة، ويدور حديثهم حول هذه الطبقات التى انعكست آثارها على المجتمع آنذاك كطبقة العرب الأحرار، وطبقة الموالى، وطبقة العبيد.

ونحن نسلم بأن عرب الجاهلية لم يكونوا مجتمعا واحدا، بل كانوا طبقات اجتماعية مختلفة ظهرت بينهم فروق اجتماعية بحكم الجنس البشرى، وظهرت بينهم فروق اجتماعية أيضا بحكم البيئة التى عاشوا فيها.

وفى هذا الموضع من البحث نتحدث عن العلاقات الاجتماعية بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى ولاسيما الفرس، وقبل أن نخوض فى الحديث عن هذه العلاقات ينبغى أن نوضح الفروق الاجتماعية بين تلك المجتمعات التى فرضتها ظروف البيئة الطبيعية على هؤلاء العرب.

فقد أوجد عدم التناسق والتناسب بين نسب توزيع الخصب إلى الجدب تباينا كبيرا فى كيفية توزيع أهل الجزيرة العربية فى عصر ما قبل الإسلام، فجعل العرب ثلاث طبقات: أهل مدر، وهم حضر مستقرون، وهم أرقى أهل جزيرة العرب، وأهل وبر، وهم أعراب يقطنون البوادى، وطبقة ثالثة، كانت بين بين، ووسطا بين الحضر والبدو وهم الرعاة المتنقلون الذين تأثروا بالحضر واستقروا بعض الاستقرار، وكانوا مادة المجتمع الحضرى فى الغالب[1].

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على جـ٧، صـ ٢٠

وبطبيعة الحال تختلف حياة أهل الحواضر عن حياة الأعراب الذين يقطنون البوادى؛ لأن المجتمع الحضرى يظهر فيه التجمع والتكتل، وإذا تجمع الإنسان وتكتل فى موضع وكوّن جماعة ظهرت عنده خلال لا يمكن ظهورها عند الأعراب، تتسع هذه الخلال وتكبر كلما بعدت الشقة بين البداوة والحضارة. لذا فإن بين حياة أهل الحيرة أو يثرب أو مكة أو المستوطنات الحضرية الأخرى المنتشرة فى جزيرة العرب وبين حياة أهل البادية فروقا كبيرة، تختلف فى الدرجة والشدة، بدرجة تكاثف السكان فى المستوطنة الحضرية، وبدرجة قربها وبعدها من الأعاجم، وبدرجة اتصالها بالعالم الخارجى.

فالمستوطنات التى تقع على سواحل البحار يكون لها اتصال خاص بالعالم الخارجى لا يمكن أن يتوفر لأهل البواطن، ويؤدى هذا الاتصال إلى التلاحم فى الأفكار وإلى الاختلاط والامتزاج وإلى توسع أفق أهل الساحل بالنسبة إلى مَنْ وراءهم فى الباطن، بسبب هذا الاختلاط فى الموقع.

فقد تأثر أهل الحواضر ولاسيما عرب العراق بأخلاق أهل النبط وغيرهم من الجاليات الأعجمية التى كانت تفد عليهم فتقيم وتطيل المقام، بل تتخذها فى معظم الأحيان موطنا تقضى فيه حياتها وتنشئ فيه ذريتها، وظهرت آثار ذلك على لسان أهل تلك الحاضرة وعلى طراز معاشهم، فعرفوا عنهم أكل الأعاجم وأحبوا غناء الفرس، وقلد ملوكهم ملوك الفرس فى بعض شؤون حياتهم وجاءوا إلى قصورهم بقيان يغنين بغناء الفرس، وزار ساداتهم بلاد الفرس ووقفوا على حياة أهلها.

ولهذا كله ضعفت وشائج الدم والنسب عند أهل الحواضر، وكثر فيها التزاوج والتصاهر بين العرب والعجم، فصعب على الناس فيها المحافظة

على أنسابهم وقلت الفائدة من النسب عندهم؛ ولهذا لم يعتنوا به عناية الأعراب بالأنساب [1].

وهذا القول لا ينطبق بطبعية الحال على جميع الحضر فى الجزيرة العربية، فهناك حضر استقروا من ناحية السكنى وتعلقوا بالأرض، واتخذوا مساكن دائمة، أما من ناحية التفكير وطراز المعيشة ونظم الحياة، الاجتماعية فقد بقوا مخلصين لمثل البوادى ولطبيعتها فى الحياة، فهم في قراهم ومدنهم (بيوت) و(بطون) يقيمون فى شعاب ولهم عصبية، وهم مثل الأعراب فى أكثر مألوف حياتهم.

وعندما نتحدث عن العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرس نخص بالذكر الطبقة الأولى من أهل الحواضر هؤلاء القوم الذين ارتبطت حياتهم بحياة غيرهم من الأمم الأخرى، فالحيرة على سبيل المثال كانت سوقاً تجارية هامة أكثر سكانها من القبائل العربية وكان يجاورهم العباديون من النصارى، ويظهر أنهم كانوا أخلاطاً من العرب وغير العرب، كما كان يجاورهم الأحلاف من بعض العرب ومن النبط (سكان العراق من بقايا الأكديين والآراميين) وكانوا يحترفون الزراعة، كما كان هناك جالية فارسية تمتهن بعض المهن والحرف التى تحتاج إلى خبرة ومهارة فنية. كل ذلك جعل الحياة فى الحيرة مزدهرة وهيأ لأهلها معيشة يسودها غير قليل من الغنى والترف، ومهد لها سبل الحضارة والثقافة الفارسية التى كانت تعم فى تلك الأنحاء، وقد كشف الشعر الجاهلى طبيعة العلاقة بين القبائل العربية والفرس التى كانت تتشابك فى الحيرة وهى المنفذ الهام الذى عبرت من خلاله المؤثرات الفارسية إلى أنحاء الجزيرة العربية.

وتحدثنا المصادر عن وصف مناظرة قيل إنها وقعت بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وكسرى ملك الفرس فى شأن العرب: صفاتهم وأخلاقهم

(١) جواد على : جـ١ : صـ ٤٦٧.

وعقولهم، ثم وصف مناظرة أخرى جرت بين كسرى هذا ووفد من حكماء العرب [1] أرسله النعمان لمناظرة كسرى ومحاجته فيما جرى الحديث عليه بينهما. ومجمل ما نسب إلى كسرى من مآخذ زعم أنه أخذها على العرب هو أنه نظر فوجد أن لكل أمة من الأمم ميزة وصفة، فوجد للروم حظا فى اجتماع الألفة وعظم السلطان وكثرة المدائن ووثيق البنيان، وأن لهم دينًا يبين لهم حلالهم وحرامهم ويرد سفيههم ويقيّم جاهلهم، ورأى للهند نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعاتها، ودقيق حسابها وكثرة عددها، ووجد للصين كثرة صناعات أيديها وفروسيتها وأهميتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد، وأن لها ملكا يجمعها، وأن للترك والخزر، على ما بهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ملوكا تضم قواصيهم وتدبر أمرهم. ولم ير للعرب دينا ولا حزما ولا قوة، همتهم ضعيفة بدليل سكنهم فى بواد قفراء، ورضائهم بالعيش البسيط، والقوت الشحيح، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة، أفضل طعامهم لحوم الإبل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة، وإن أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم، ثم إنهم مع قلتهم وفاقتهم وبؤس حالهم، يفتخرون بأنفسهم ويتطاولون على غيرهم وينزلون أنفسهم فوق مراتب الناس.

حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين وأبوا الانقياد لرجل واحد منهم يسوسهم ويجمعهم. إذا عاهدوا فغير وافين، سلاحهم كلامهم، به يفتنون،

(١) ضم هذا الوفد أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميمى والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين وعمرو بن الشريد السلمى، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى والحارث بن ظالم المرى وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام فى تلك الأيام. (العقد الفريد ج٢ ص٩).

وبكلامهم يتلاعبون ليس لهم ميل إلى صنعة أو عمل ولا فن، ولا صبر لهم إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم، حاولوا جهدهم التغلب عليها. أما إذا وجدوها منظمة هربوا مشتتين متبعثرين شراذم، يخضعون لحكم الغريب، ويهابونه ويأخذون برأيه فيهم، ما دام قوياً ويقبلون بمن ينصبه عليهم، ولا يقبلون بحكم واحد منهم إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم (١).

ومن المفاخرات التى جرت بين القبائل العربية عند النعمان بن المنذر، مفاخرة وفود ربيعة ومضر ابنى نزار. فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة (بسطام بن قيس) و (الحوفزان بن شريك) البكريان. وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان (عامر بن مالك) و (عامر بن الطفيل). ومن تميم (قيس بن عاصم) و(الأقرع بن حابس) (٢). وتحدثنا كتب الأدب عن مفاخرة أخرى جرت بين كسرى والنعمان بن المنذر، فقد روى ابن الكلبى (٣) أن كسرى قال للنعمان بن المنذر: هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال نعم. قال : فبأى شيء؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، والبيت من قبيلته فيه وينسب إليه. قال: فاطلب لى ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا فى آل حذيفة بن بدر بن قيس عيلان، وآل حاجب بن زرارة بيت تميم، وآل ذى الجدين بيت شيبان، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة. فجمع هؤلاء الرهط وأقبل مع كل قوم منهم شاعرهم، وتكلم كل رجل منهم بمآثر قومه وفعالهم، وكان حذيفة بن بدر الفزارى ألسن القوم وأول المتكلمين، ثم قام شاعر بنى فزارة فقال (٤):

---

(١) راجع أصل المناظرة وحجج الشعوبيين فى تفضيل العجم على العرب، ورد العرب عليهم فى العقد الفريد جـ٢، صـ٤ وما يليها.
(٢) الألوسى: جـ١، صـ ٣٠٢ وما يليها
(٣) الأغانى: جـ١٩، صـ ١٨٤ وما يليها ، الألوسى ج١ صـ ٣٠٣ وما يليها.
(٤) الأغانى: جـ ١٩ صـ ١٨٥.

فَزارةُ بيتُ العزّ والعزّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نضالُها
لها العزَّةُ القَعْسَاءُ والحَسَبُ الذى ... بَناه لقَيْسٍ فى القديم رجالُها
فمَنْ ذا إذا مُدَّ الأكفُّ إلى العُلا ... يَمُدُّ بأُخْرَى مِثْلَها فينالُها
فهَيْهاتَ قد أعْيا القُرونَ التى مَضَت ... مآثِرُ قَيْس مَجدُها وفَعَالُها
وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكفِّه ... إلى الشمس فى مَجْرى النُّجوم ينالُها!
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاك جَميعُنا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس الكندى وتحدث بمآثر قومه وفعالهم، وقام شاعرهم فقال: (١)

إذا قسْتَ أبيات الرِّجال بِبَيْتِنا ... وجدتَ له فَضلا على مَن يُفاخِرُ
فَمَنْ قال: كَلا أو أتانا بِخُطَّة ... يُنافِرُنا يوما فنحن نُخاطِرُ
تَعالوا فعُدُّوا يعلم النَّاس أيُّنا ... له الفضلُ فيما أورثَتْه الأكابِرُ

ثم قام بسطام بن قيس الشيبانى وتحدث بمآثر قومه وفعالهم، ثم قام شاعرهم فقال (٢):

لعَمْرى لَبِسْطامٌ أحقُّ بفضلها ... وأولَى ببيْت العزِّ عزِّ القبائلِ
فسائِلْ - أبيتَ اللّعْن -عن عِزّقومِنا ... إذا جَدَّ يوم الفَخْر كُلُّ مناضلِ
ألسنا أعزَّ الناسِ قوماً وأسرةً ... وأضْربَهَم للكَبْشِ بين القبائلِ (٣)

---

(١) الأغانى: جـ١٩ صـ ١٨٥ وما يليها.
(٢) المصدر نفسه: صـ ١٨٦.
(٣) الكبش هنا: سيد القوم وقائدهم وقيل المنظور إليه فيهم (اللسان جـ٥ صـ ٣٨١٢ (كبش).

فَيُخْبِرُكَ الأقوامُ عنها فإنَّها وقائعُ لَيست نُهزةً للقَبائلِ
وقائعُ عزٍّ كُلُّها ربعيَّةٌ تَذلُّ لهم فيها رقابُ المَحافلِ
إذا ذُكرت لَمْ يُنْكر النَّاسُ فَضْلَها وعاذَ بها من شرِّها كُلُّ قائلِ
وإنَّا مُلوكُ النَّاسِ فى كُلِّ بَلْدةٍ إذا نَزَلت بالنَّاس إحْدى الزَّلازِلِ

ثم قام صاحب بن زرارة التميمى وعدد مآثر قومه ومفاخرهم، ثم قام شاعرهم فقال [١]:

لقد عَلِمتْ أبناءُ خنْدفَ أنَّنا لنا العزُّ قدْماً فى الخُطوبِ الأوائلِ
وأنَّا هجانٌ أهلُ مَجْدٍ وثَرْوَةٍ وَعِزٌّ قديمٌ ليس بالمُتضائلِ
فَكَمْ فيهُم من سَيِّدٍ وابْنِ سَيِّدٍ أغَرَّ نجيبٍ ذى فَعال ونائلِ
فسائلْ - أبيتَ اللَّعن -عنّا فإنَّنا دعائمُ هذا النَّاس عند الجَلائلِ

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال: " ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه وأثنى حباءهم، وأعظم صلاتهم، وأكرم مآبهم" . [٢]

وقد عرضنا لهذه المفاخرة وأمثالها بين كسرى والنعمان بن المنذر والقبائل العربية المختلفة لنثبت أن وفود العرب كانت على اتصال دائم بالفرس سواء أكانت وفوداً جماعية كما رأينا أم وفودا فردية، كذهاب حاجب بن زرارة التميمى عندما أصابهم جدب إلى كسرى يطلب منه المعونة، وقد رهنه قوسه التى ضرب بها المثل مقابل ذلك [٣]، وبعد وفاة حاجب ذهب عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فردها عليه وكساه حلة وقيل إنه أهدى

---

(١) الأغانى : جـ ١٩ صـ ١٨٦ وما يليها.
(٢) الأغانى: جـ١٩، صـ ١٨٧، القلقشندى: ص ٤٥٦ ، الألوسى جـ١ صـ ٣٠٦.
(٣) النويرى ج ٦، صـ ٧، القلقشندى: ص ٢٧٠، التمثيل والمحاضرة للثعالبى صـ ١٣٣ ، العقد الفريد: جـ٢، صـ ٢٠ وما يليها ، ثمار القلوب ص ٦٢٥.

الحلة بعدما أسلم لرسول الله ـ ﷺ ـ، فلم يقبلها، فباعها بأربعة آلاف درهم لرجل يهودى [1].

ومن هؤلاء الأفراد الذين وفدوا على كسرى (هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو الحنفي) من بكر بن وائل صاحب اليمامة، فعندما سمع كسرى بجوده وكرمه لرجال قافلته التى نهبها التميميون - كما ذكرنا - استدعاه إليه وسأله عن بنيه ومعيشته، فلما وجد فيه رجاحة العقل وحسن الرأى توّجه بتاج من تيجانه، وأقطعه أموالا بهجر، وقيل إنه دعا بعقد من الدر فعقد على رأسه، وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة، فمن ثم سمى هوذة ذا التاج [2] . وقيل إنه لم يكن صاحب تاج،و إنما كان يضع على رأسه إكليلا، رصعه بأحجارثمينه كأنه التاج، تشبها بالملوك [3].

ونفهم من شعر الأعشى أيضا أن هوذة - وهو أحد ممدوحيه- كان يفد كثيراً على كسرى فينال عطاياه الثمينة منها التاج الذى وهبه له كسرى وأكاليل الياقوت والثياب الحريرية الغالية، يقول الأعشى [4]:

مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ إذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أوْ وَضَعَا [5]
لَهُ أكَالِيلُ بالياقُوتِ زَيَّنَهَا صُوَّاغُهَا لا تَرَى عَيْباً ولا طَبَعَا [6]
وَكُلُّ زَوْجٍ مِن الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ أبُو قُدَامَةَ مَحْبُواً بِذَاكَ مَعَا

---

(١) المعارف: لابن قتيبة ص ٦٠٨ ، ثمار القلوب صـ ٦٢٥ ومايليها ، العقد الفريد جـ٢ صـ ٢٠.
(٢) الطبرى : ج٢ صـ ١٦٩.
(٣) العقد الفريد: جـ٢ صـ ٢٤٣.
(٤) ديوان الأعشى: ق ١٣ صـ ١٥٧.
(٥) غير متئب: أى لا يستحيى، فعلها أتاب أى استحيى.
(٦) الطبع: الوسخ الشديد من الصدأ.

وقد اشتهر الأعشى نفسه بكثرة مدائحه وأسفاره ورحلاته، فارتاد كثيرا من البقاع والمواطن يعرض بضاعته على السادة والأشراف فى داخل الجزيرة العربية وفى أطرافها، ووفد على ملوك فارس وغيرهم؛ ولذلك كثرت الفارسية فى شعره كما سنرى فى غير هذا الموضع.

وقد ذكر ابن قتيبة: "أن كسرى سمعه يوما ينشد فقال: من هذا؟ فقالوا (أسروذ كويذ تازى)، أى مغنى العرب، فأنشد:

أرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ   ومَا بِى من سُقْمٍ وما بِىَ مَعْشَقُ [١]

فقال كسرى: فسروا لنا ما قال: فقالوا: ذكر أنه سهر من غير سقْم ولا عشق، فقال كسرى: إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص" [٢].

ومن هؤلاء الذين وفدوا على كسرى عبد الله بن جدعان، فقد زار بلاد الفرس وسمع غناء الحسان، وشدا جانبا مما سمع واقتنى الكثير من القيان [٣] وجلب إلى مكة بعض المأكولات الفارسية. ووفد أبو سفيان أيضا على كسرى وخرج من عنده ومعه ثمانمائة إناء من فضة وذهب [٤].

ووفد على كسرى أيضا قيس بن مسعود بن خالد ذى الجدين الشيبانى وأطعمه كسرى (الأبلة) وثمانين قرية من قراها [٥].

فهؤلاء الأفراد والجماعات الذين وفدوا على بلاد فارس وخالطوا أهلها وملوكها لهم أن يتأثروا بشىء من عادات وتقاليد هؤلاء القوم ولاسيما

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٨٢جـ١ صـ٢٥٨ والبيت فى ديوانه ق ٣٣، صـ ٢٦٧.

(٢) الشعر والشعراء: جـ١، صـ ٢٥٨.

(٣) القيان والغناء فى العصر الجاهلى. د/ ناصر الدين الأسد ص ٨٣ الطبعة الثانية بدار المعارف ١٩٦٨م.

(٤) العقد الفريد ج٢، صـ ٢١.

(٥) المحبر صـ ١٤٣ وما يليها و صـ ٢٥٣.

العادات والتقاليد الاجتماعية، ومن ثم كانت هذه الوفود منفذا هاما من المنافذ التى عبرت من خلالها المؤثرات الفارسية إلى الجزيرة العربية، دون أن يقصدوا لذلك أو يضعوه فى حسبانهم. فانتشرت كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الفارسية خاصة فى المناطق المجاورة والقريبة لهؤلاء الأعاجم.

فقد تأثر ملوك الحيرة وأصحاب السلطان المتصلون بالحكومة الساسانية بالعادات والتقاليد المتبعة عند الفرس، فنراهم يحاكونهم فى طريقة معيشتهم فى مأكلهم ومشربهم ومجالس الأنس واللهو وفى طريقة حكمهم، وذلك عن طريق اختلاطهم وشدة امتزاجهم بهم، فقد أخذوا عنهم أبهة الحكم، فحجبوا أنفسهم عن رعيتهم مخالفين بذلك العرف العربى، وحصروا أنفسهم فى قصورهم، واتخذوا لأنفسهم حراسا وحجابا وخدما وحشما، فمن كان له حاجة عند الملك كان عليه أن يقف بالباب أياما حتى يأتيه الإذن بالدخول، وكان ذلك سببا فى تجاسر الشعراء وذوى الألسنة الحادة عليهم.

وكانت لملوك الحيرة وغيرهم من ملوك العرب فى الجاهلية تحيات تختلف عن تحيات سائر الناس يخالفون بها غيرهم كقولهم: أبيت اللعن [1]، واسلم وانعم، وعش ألف سنة، وانعم صباحاً. وقد كانت تحية ملوك العجم نحواً من تحية ملوك العرب، فكان يقال لملكهم: "زه هزار سال" ومعناه: (عش سالما ألف عام) [2].

ووردت تحية (أبيت اللعن) فى الشعر الجاهلى كثيرا ومعناها: أبيت أيها الملك أن تأتى ما تلعن عليه، واللعن: الإبعاد، والطرد من الخير [3].

يقول النابغة الذبيانى مخاطباً النعمان بن المنذر [4]:

(١) مجالس ثعلب جـ١ صـ ٥٩.
(٢) اللسان جـ ٢ صـ ١٠٧٩ (حيا)
(٣) اللسان جـ٥ صـ ٤٠٤٤ (لعن)
(٤) ديوانه ق٢ صـ ٣٤.

أتانـى - أَبَيْتَ اللَّعْنَ- أَنَّكَ لُمْتَـنِى   وتلك الـتى تَسْتَكُّ منهـــا المَســـامِعُ

وقال أيضا يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر إليه [(١)]:

أَتـانِى - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أنَّكَ لُمْتـنِى   وتلـك التى أَهْتَمُّ مـنهـــا وأَنْصَبُ

وقال المثقب العبدى يمدح النعمان بن المنذر ويستعطفه [(٢)]:

فـأَنْعِمْ أَبَيْتَ الـلَّعْنَ إِنَّكَ أَصْبـحَتْ   لـدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وولِيـــــــدُهـا

وكانت العرب تخاطب ملوكها بالأرباب، فالمملوك كان يقول لمالكه ربى، كقول الشاعر:

وأَسْلَمْنَ فـــيـــهـــا ربَّ كِنْدَةَ وابْنَه   وربَّ مَعَدٍّ بَيْن خَبْتٍ وعَرْعَرِ [(٣)]

وذكره الأعشى فى شعره حيث يقول [(٤)]:

رَبِّى كَرِيمٌ لا يـــــــــكَدِّرُ نِعْمَةً   وَإذَا يُنَاشَدُ بـــــــــالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

ولما كانت لملوك العرب تحيات يُحَيّون بها ويخـالفون بها العامة كانت لهم تيجـان يتوجون بهـا رؤوسهم ليمـيزهم ذلك عن الرعيـة، وقد رصّع ملوك الحيرة تيجانهم بالزبرجـد والياقـوت والذهـــب على طريقة ملـوك الفرس. وقد ذكـر الأخباريون أن النعـمان بن المنذر طلب مالك بن نـويـرة اليربوعى

---

(١) ديوان النابغة ق ٨ صـــ ٧٢.

(٢) المفضليات ص ١٥٣.

(٣) الصاحبى لابن فارس ص ٩٠ تحـقيق مصطفى الشويمى - طبعة مؤسـسة آل بدران بيروت ١٩٦٤م والبيت للبيد بن ربيعة فى ديوانه ص ٥٥ وفيه (وأهلكنا يوماً ..)

(٤) ديوان الأعشى ق ٣٤ صـــ ٢٧٩.

وكان قد أراد استرضاءه فأبى وهرب منه، وقال فيه شعرا يهجوه ويصفه باللؤم، منه قوله [١]:

لَنْ يُذْهِبَ اللُّؤمَ تاجٌ قد حُبِيتَ به   من الزَّبَرْجَدِ والياقوتِ والذَّهَبِ

وقد أشار المعرى إلى أن المنذر بن امرئ القيس كان له تاج، وأن النعمان كان له خرزات [٢]. وأغلب الظن أن هذه الخرزات هى خرزات الملك وهى جواهر تاجه، فكان الملك من ملوك العرب كلما مضت سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة [٣]، ولما بلغت خرزات النعمان بن المنذر أربعين، أشخصه كسرى أبرويز إلى حضرته، لهنات نقمها عليه، ثم أمر بقتله، وإياه عنى لبيد بن ربيعه بقوله:

رعى خَرزَاتِ المُلْكِ عشرين حِجَّةً   وعشرين، حتَّى فَادَ والشيبُ شاملُ [٤]

ومن علامات الملك عند العرب (العمار أو العمارة) وهى كل شيء يوضع على الرأس من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غير ذلك [٥].

وكانوا يصنعون ذلك عمارة لرياستهم وحفظا لها، وربما وضعوا ريحانا؛ لأنهم إذا استقبلوا ملكا أو رئيسا استقبلوه بالريحان يرفعونه له؛ لأنهم كانوا يضعون أكاليل الريحان على رؤوسهم كما تفعل العجم، ونفهم من شعر الأعشى [٦] أن بعض العرب كان يسجدون لملوكهم ويحيّونهم برفع العمار مع قولهم (عمرك الله)، يقول:

---

(١) المعرب ص ٣٥٦.

(٢) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ص ٤٧١ بتحقيق عائشة عبدالرحمن الطبعة السابعة- ١٩٨١م.

(٣) ثمار القلوب ص ١٨٣ وما يليها، النقائض ج ١ ص٢٣٧.

(٤) ثمار القلوب ص ١٨٣ وما يليها (فاد: مات) ،ديوان لبيد ق ٣٦ص ٢٦٦.

(٥) اللسان جـ٤، ص ٣١٠٢ (عمر).

(٦) ديوانه ق٥ ص١٠١، وذكر ابن قتيبة أن العمار هو الريحان وهو الذى يسميه الفرس الميوران وهو أن يقوم الفتى إذا طرب فيأخذ ضغثاً من ريحان فيرفع به يديه ويتمشى ويحيّ القوم (المعانى الكبير) ص ٤٦٧.

فَلَـــــمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الـــــكَرَى   سَجَـــــدْنَا لَهُ ورَفَعْــــــنَا عَمَاراً

والذين فعلوا ذلك هم عـرب الحواضر متـأثرين بما فعله الأعاجم بالنسـبة لملوكهم فعملوا بهذه المراسيم.

ونفهم مـن شعر عـدى بن زيد أن بعض العرب كـانوا يتخذون (الـنستق) وهم الخدم والحشم، وهى من الألفاظ المعربة، يقول [1]:

وقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الحَسْنَـاء كِلَّتَهـا   بَعْدَ الهدُوء تَضىء البـيت كالصَنَمِ
يَنْصَـــفُهَـا نُسْتُقٌ تـكادُ تُكْرِمُهُمْ   عَنِ النَّصَافَـةِ كـالغِزْلانِ فى السَّلَمِ

ونستنتــج من البيت الأول أن بعض المتمـكنين فى الجاهلية كـانوا يعيـشون عيشـة مترفة حيث كـانوا يستخدمـون (الكلة) وهى ستر رقيق يخـاط كالبيت يتوقى فيـه من البق والبعوض [2] والحشرات الأخرى وكـانوا ينصبونها على سرير المنام وينامون تحتها.

ونفهم من قول الأعشى [3]:

مَنْ مُبْلِـــــغٌ كِسْرَى إذا مَا جَاءَه   عَنِّى مـــــآلِـكَ مُخَمِشَات شُرَّدَا
آلَـيْتُ لا نُعْطِيــــــه مِنْ أَبْنَائِنَا   رُهُنـــــاً فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أفْسَدَا
حَتَّى يُفَـــيـــدكَ مِنْ بَنِيـــهِ رَهِينَةً   نَعْشٌ ويَرْهَنَكَ الـــسِّمَاكُ الـــفَرْقَدَا

إن هناك نوعا من الرهائن فرضته الظروف السياسية والاجتماعية على أهل الجزيرة العربية، يكون ذلك بتقديم بعض القبائل رهائن من أبنائهم إلى الملوك والحكام، ليكونوا رهائن لديـهم على الخضـوع والطاعة لهم، وقـد احتـفظ

(!) ديوان عدى ص ١٧٠.
(٢) اللسان جـ ٥، صـ ٣٩٢٠ (كلل).
(٣) ديوانه ق ٣٤ صـ ٢٧٩ وما يليها.

ملوك الحيرة برهائن عنـدهم، ليكونوا ضمانا لديهم لإطـاعة آبائهم وسادات قبائـلهم لهـم، فلا يثوروا عـليهم ولا يعـتدوا على عـربهم أو علـى حـدود مملكتهم (١).

ولا نستبعد وجود الـدواوين فى حكومة الحيرة، فلابد لكل حـكومة مهما كان حجمـها وشأنها أن يكـون لها دواوين ودوائر لتـنفيذ ما تقـرر من أوامر وأحكام ولجباية ما تفرضه من حقوق عـلى رعيتها، ولإحقاق الحق بين الرعية وللدفاع عـن حدودها ولضبط الأمن فى أرضـها. ويذكر اللغويـون أن لفظة (ديوان) معربة من الفارسية، وقد عرفهـا عرب العراق فى الجاهلية، فقد كان لحكامهـا كتّاب تولوا أمور ديوان المراسـلة بين ملوك الحيـرة والفرس، وأمور المراسلة فـيما بين ملوك الحيـرة وبين عمالهم علـى المناطق التابعـة لهم وبين سادات القبائل الأخـرى، كما كان للفرس دواوين فى جمـلتها ديوان خاص للنـظر فى أمور الـعرب، واجبه النـظر فى صلات كـسرى مع ملـوك الحيرة وسادات القبائل، وليه زيد والد عدى بن زيـد العبادى فلما توفى وليه عدى ابن زيد ثم وليـه زيد بن عدى بن زيد بعد مـقتل والده على يد النـعمان بن المنذر (٢).

وكان ملـوك الحيرة وسادات الـقبائل يـقلدون ملـوك الفرس فى اتـخاذهم حرسا خاصـاً بهم يسير مـعهم لمنع من يـريد إلحاق الأذى بهم، كمـا كانوا يتخذون (الدرابنة) وهم البوابون الذين يـقفون على الأبواب لمنع الغرباء ومن فيه ريبة مـن الدخول إلى القصور والبـيوت. واللفظة من الألفـاظ الفارسية المعربة (٣) ووردت فى شعر للمثقب العبدى حيث يصف ناقته، فيقول : (٤)

---

(١) جواد على جـ٥، صـ ٢٠٧، ٦٣٣، شرح القصائد السبع الطوال صـ ٤٣١.
(٢) الطبرى جـ٢، صـ ٢٠١.
(٣) اللسان جـ٢، صـ ١٣٥١ (دربن)، وكلمة دربان معناها: بواب.
(٤) المفضليات ق ٧٦ صـ ٢٩٢.

فـــــأبْقَى باطِلـى والجِدُّ مِنْهـــــا   كــــــــــــــدُكَّانِ الـدَّرَابِنَةِ المـطِينِ

واتخذ ملوك الحيرة أيضا سجونا يسجنون بها من يتجاسر عليهم أو يخالف أوامرهـم ويعارضـهم، ومن سجـونهم (الصنين) وفيـه سجن عـدى بن زيد العبـادى -كما ذكرنا مـن قبل - وأغلب الظن أنه موضع لم يكن بعـيداً عن الحيرة، ولعله كان حصنا منيعا به حرس كثيرون يقومون بحراسته.

وقلد ملوك الحـيرة ملوك الفـرس فى إعطاء القطوط للرعيـة وهى صكوك الجوائز، وهى عبـارة عن كتب تخرج للناس فيـها جوائز الملك [1]، فيقبض صاحبها مقدار ما كتب فيها، وقد تحدث الشعراء عن ذلك فى شعرهم، فقد ذكر الأعشى قوله [2] :

وَلا المـــــلِكُ الــــنُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ   بِإِمَّتِهِ يُعْطِى الـــقُطُـــوطَ وَيَأْفِـــقُ

وقال أمية بن أبى الصلت من أبيات له [3]:

قَوْمٌ لـهُمْ ســـــــــاحَةُ الـعِراقِ إذا   سَاروا جَمِيـــعـــاً والقِطُّ والـقَلَمُ

ومن عادات ملوك الحيرة وسادات القبائل الـعربية أن يتخذوا جوارى يقمن فى قصورهـم يشاركنهم فى مجالس شـربهم ولهوهم كما كـان يفعل ملوك الفرس. فـقد ذكر الأخـباريون أن المنذر الأكـبر أهدى إلى كسـرى أنوشروان جارية كـان أصابها إذ أغار على الحـارث الغسانى بن أبى شـمر، فكتب إلى أنوشروان يصفها له، وقال: "إنى قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق،

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة، جـ٢ صـ - ١٧٩.

(٢) ديوان الأعشى ق ٣٣ صـ ٢٦٩.

(٣) ديوان أمية ق ٧١ صـ ٤٦٦.

نقـية اللون والشـعـر بيضـاء، قـمراء ، وطفـاء[1]، كـحلاء، دعـجـاء[2]، حـوراء[3]، عيناء[4] قنواء[5]، شماء[6]، زجاء،[7] برجاء[8]، أسيلة الخد[9]، شهية القد، جثلة الشعر[10]، عظيمة الهامة، بعـيدة مهوى القرط عيطاء[11]، عريضة الصدر، كاعب الثدى، ضـخمة مشاشة المنكب [12] والعضد، حسنة المعصم، لطيـفة الكف، سبطة البنان، لطيفـة طى البطن، خميصـة الخصر، غرثى الوشاح [13]، رداح القبل [14]، رابية الكفل، لفاء الفخذين[15]، رى الروادف، ضخمـة المأكمتين [16]، عظيمة الركـبة مفعـمة الساق [17] مشبعة الخلخـال [18]، لطيـفـة الكعب والـقـدم، قطـوف المشى [19]، مكسـال الضحى[20] ، بضة المتـجرد [21]، سموعا للسـيد، ليست بخنساء [22]، ولا سفعاء [23]، ذليلة الأنف، عـزيزة النفر، لم تغـذ فى بؤس، حيّـة، رزينة، حليمة ركيـنة، كريمة الخال، تقتصر بنسب أبيـها دون فصيلتها وبفـصيلتها دون

---

(١) الوطفاء: غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين.
(٢) الدعجاء: شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض.
(٣) الحوراء: سوداء العين كلها مثل الظباء ولا يكون فى بنى آدم إلا على الاستعارة.
(٤) عيناء: واسعة العين.
(٥) القنواء: من القنا وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ طرفه.
(٦) الشم فى الأنف: ارتفاع القصبة وحسنها.
(٧) الزجاء: دقيقة الحاجبين فى طول.
(٨) البرجاء: الجميلة الحسناء. (٩) الخد الأسيل: الطويل المسترسل الأملس.
(١٠) الجثلة: كثيفة الشعر وسوداؤه . (١١) العيطاء: الطويلة العنق.
(١٢) المشاشة: رأس العظم . (١٣) غرثى الوشاح: دقيقة الخصر.
(١٤) الرداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق، والقبل: ما استقبلك من مشرف.
(١٥) اللفاء: الضخمة الفخذين المكتنزتهما.
(١٦) المأكمتان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين . (١٧) مفعمة الساق: ممتلئتها.
(١٨) مشبعة الخلخال: كناية عن سمن الساقين. (١٩) القطوف: من القطاف وهو تقارب الخطو.
(٢٠) المكسال: المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها وهو مدح لها عندهم كقولهم (نئوم الضحى).
(٢١) البضة : الناعمة.
(٢٢) الخنساء: من الخنس هو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفه، ليس بطويل ولا مشرف.
(٢٣) السفعاء من السفع وهو السواد.

جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها رأى أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيفة اللسان [١]، رهوة الصوت[٢]، تزين البيت، وتشين العدو، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحمر وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست».

فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز [٣].

وكان ملوك الفرس يبعثون بهذه الصفة إلى الأرضين التابعة لهم، فإن وجدت حملت إلى الملك، وكانوا لا يظنون أن بأرض العرب شيئا من ذلك، إلى أن أوقع زيد بن عدى بن زيد بالنعمان بن المنذر، فقد قال لكسرى: إن عبدك النعمان عنده من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة، فبعث إليه في طلبهن أو في طلب إحداهن، ولكن النعمان تكرم عن ذلك ورغب بنفسه عن مصاهرة كسرى، وكان ذلك سببا في نهايته على النحو الذى ذكرنا من قبل.

وأغلب الظن أن الفرس كانوا يتكرمون أيضا بنسائهم عن العرب؛ لأنهم بعدما طردوا الأحباش من اليمن واستقروا فيها، اشترطوا على أهلها شروطا منها: أن الفرس يتزوجون بنساء اليمن، ولكن لا يتزوج اليمانيون بنساء الفرس، وفي ذلك يقول الشاعر:

عَلَى أَنْ يَنْكِحُوا النِّسْوَانَ مِنْهُمْ ... وَلَا أن يَنْكِحُوا فِي الفَارِسِينَا [٤]

---

(١) قطيفة اللسان: أى ليست سليطة.

(٢) رهوة الصوت: رقيقة سهلته.

(٣) الطبرى ج٢، صـ ٢٠٢ وما يليها، ابن الأثير جـ١ صـ ٤٨٥ وما يليها، النويرى ج ١٥ صـ ٣٢٧، الألوسى جـ ٢ صـ ١٤ وما يليها.

(٤) مروج الذهب جـ٢، صـ ٨٢.

وعرف الجيل الذى ظهر فى اليمن من تزاوج الفرس فى العرب بـ "الأبناء" وغلب عليهم الاسم؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم [1]، وعرف الأبناء أيضا بتسمية أخرى هى (بنو الأحرار) وتوسعت العرب فى مفهوم اللفظة وأطلقتها على كل الفرس الذين اجتذبتهم الحروب وغير الحروب إلى جزيرة العرب. وذكر بعضهم [2] أن الأعجمى إذا تزوج بالعربية فولدها يسمى: المذرع. والذى جدتاه من قبل أبيه وأمه عجميتان يسمى: الفلنقس.

وأغلب الظن أن جل أهل مدينة هجر بالبحرين لم يكونوا عربا فى الأصل فقد ذكر الأخباريون أن كسرى أرسل رجلا من أساورته يقال له (بسك بن ماهبوذ) لبناء قصر المشقّر وأرسل معه الفعلة لإتمام البناء، وقد قيل له إن هؤلاء الفعلة لا يقيمون فى هذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء فإن فعلت ذلك بهم تم بناؤك، وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه، فنقل إليهم الفواجر من ناحية السواد والأهواز، وحملت إليهم روايا الخمر من أرض فارس فى البحر، فتناكحوا وتوالدوا وتكلموا بالعربية، وصاروا من أهلها، وانتمى بعضهم إلى عبد القيس [3].

ومن مذاهب الفرس فى الزواج، زواج الإخوة بالأخوات، وعرف هذه الزواج بين أفراد الأسر المالكة، والأشراف؛ لاعتقادهم ضرورة المحافظة على نقاوة الدم وخصائص الأسرة ،فقد أشار الشاعر إلى هذا المذهب بقوله:

وَلا عَيْبَ فِيْنَا غَيْرَ عِرقٍ لِمَعْشَرٍ   كِرَامٍ وإِنَّا لا نَخُطُّ عَلَى النَّمـلِ

(١) اللسان جـ ١ صـ ٣٦٤ (بنى)
(٢) مجالس ثعلب جـ٢، صـ ٥٢٢.
(٣) الطبرى جـ٢، صـ١٧٠.

أى لسنا بمجوس ننكح الأخوات، وكانوا يكنون عن المجوس بقولهم: فلان يخط على النمل؛ لأنهم زعموا أن ابن المجوسى إذا كان من أخته وخط على النملة، تبرأ وتنصلح وترأب (1).

وتزوج لقيط بن زرارة سيد بنى تميم ابنته وأولدها، وكان قد سماها "دختنوس" باسم بنت كسرى. فقال فيها حين نكحها مرتجزا:

يا ليتَ شعرى عنكِ دَخْتَنَوس إذا أتاها الخبرُ المرموس
أَتَسْحَبُ الذَّيْلَيْن أَمْ تَميس لا بَلْ تَميْسُ إنَّها عَرُوس (2)

وقد تنزهت العرب ولاسيما قريش عن هذه المناكح وكان أقبح ما يصنع بعضهم أن يجمع بين الأختين، أو يخلف الرجل على امرأة أبيه، وعرف هذا النكاح بنكاح "الضيزن"؛ ولأنه كان ممقوتا عرف أيضا بنكاح (المقت) وذلك لأن المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت (3).

وظل هذا شأنهم إلى أن نزل الوحى بتحريم ذلك. فقد قال تعالى﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(4).

وقد عرف هذا النكاح فى الجاهلية فقد تناوب ثلاثة من بنى قيس بن ثعلبة امرأة أبيهم (5) (فكيهة بنت قتادة بن مشنؤ من بنى قيس بن ثعلبة) فعيرهم

(1) الألوسى جـ2، ص 362 وما يليها.
(2) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص 491، ابن الأثير ج1 ص 587 (وذكر الألوسى أنه حاجب بن زرارة جـ2، صـ 56).
(3) تفسير ابن كثير جـ1، صـ 465.
(4) سورة النساء آية "22"
(5) المعانى الكبير ص 521، المحبر ص 325.

بذلك أوس بن حجر التميمى، يقول حين يهجو بنى سعد بن مالك بن ضبيعة وعوف بن مالك وعمر بن مالك:

والفَارِسِيَّةُ فِيكُمْ غَيْرَ مُنْكَرَةٍ فَكُلُّكُمْ لأَبِيهِ ضَيْزَنٌ سَلَفُ (١)

وقد مر بنا أن يزدجرد الأثيم دعا المنذر بن النعمان واستحضنه ابنه بهرام وحباه بمرتبتين سنيتين، تدعى إحداهما: (رام أبذور يزدجرد) وتأويله: زاد سرور يزدجرد، والأخرى تدعى (بمهشت) وتأويلها: أعظم الخول، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك فى منزلته، وأمر أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب، فصار به المنذر واختار لرضاعته ثلاث نسوة من بنات الأشراف فيهن امرأتان من بنات العرب وامرأة من بنات العجم، وأحضر له مؤدبين ومعلمين من الحكماء والأدباء والمحدثين، وتكلم بلغات مختلفة ونظم الشعر بالعربية(٢)، ومن شعره يوم ظفره بخاقان وقتله له:

أَقُولُ لَهُ لَمَّا فَضَضْتُ جُمُوعَه كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِصَوْلاتِ بهرَامِ
وأَنِّى حامى مُلْكَ فَارِسَ كُلَّهَا ومَا خير مُلْكٍ لا يكونُ له حامِ

ومن شعره أيضا قوله:

لَقَدْ عَلِمَ الأَنَامُ بِكُلِّ أَرْضٍ بِأَنَّهُمُ قَدْ أَضْحَوْا لِى عَبِيْدا
ملكتُ ملوكَهم، وقهرتُ منهم عزيزَهم المُسَوَّدَ والمسُودا
فتلك أسودهم تبغى حذَارى وترهب من مخافتىَ الوُرودا

(١) ديوان أوس بن حجر ق ٣١ صـ ٧٥ بتحقيق محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، دار معارف بيروت سنة ١٩٧٩م

(٢) الطبرى جـ٢ صـ ٦٨ وما يليها، ابن الأثير جـ١ صـ ٤٠١ وما يليها، البدء والتاريخ جـ٣ صـ ١٦٥.

وكـنـتُ إذا تشـاوس مَلـكُ أرض   عَبَأتُ لـه الـكـتـائـبَ والجـنـودا
فـيـعـطـيـنـى المـقـادةَ أو أوافـى   بـه يشـكـو السـلاسـلَ والـقـيـودا

وله أشعار كثيرة أخرى نظمها بالعربية والفارسية (١):

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن ملوك الفرس أنفسهم كان لهم علاقات وطيدة مع ملوك الحيرة حتى بعثوا أبناءهم إليهم ليقوموا على تربيتهم وحضانتهم.

ومن عادات الفرس أنهم كانوا يعظمون الأعياد ولاسيما النوروز والمهرجان(٢)، وأصل النوروز (نو) بمعنى جديد و (روز) بمعنى يوم، وهو اليوم الحادى عشر من حزيران (٣) وقيل هو أول يوم من(فروردين ماه)(٤) وهو غرة شهر ربيع، وقد مرت الشمس فى الحمل، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية(٥).

أما المهرجان فيعيَّد به فى الشهر السابع من شهورهم الشمسية، وهو لستة عشر يومًا يمضين من (مهرماه) (تشرين الآخر) (٦)، ويسميه الفرس (مهر كَان).

والعلة فى الاحتقال بهما أنهما فصلا السنة، فقد ذكر الجاحظ :أن "المهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنوروز إذن بدخول فصل الحر، إلا أن فى النوروز أحوالا ليست فى المهرجان، فمنها استقبال السنة، وافتتاح الخراج، وتولية العمال، والاستبدال، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية

(١) النويرى جـ١٥ صـ١٨٠ ومايليها، مروج الذهب جـ١ صـ٢٦١ وما يليها.
(٢) النويرى جـ١ صـ١٨٥ وما يليها، البدء والتاريخ جـ٤، صـ٢٧.
(٣) الأزمنة والأمكنة جـ١ صـ١٧٤.
(٤) تاريخ اليعقوبى جـ١ صـ١٩٩.
(٥) شفاء الغليل صـ١٩٩.
(٦) اليعقوبى جـ١ صـ١٩٩.

بيوت النيران، وصب الماء، وتقريب القربان، وإشادة البنيان، وما أشبه ذلك... ومن حق الملك أن يهدى إليه الخاصة والعامة" (١). وقد احتفل بعض العرب بهذين العيدين لا سيما أهل يثرب، والعادة أن يتزين الناس فى أيام الأعياد بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل المثمنة والبرود المعجبة، ويتسابق الشبان على الخيل وفى الألعاب والظهور أمام النساء ليبرزوا مقدرتهم وبراعتهم، ويلعب الصبيان أنواعا من الملاعب ليكسبوا الأيام بهجتها وروعتها.

وفى مجال العلاقات الاجتماعية بين ملوك الفرس وعمالهم على الحيرة والقبائل العربية، يحدثنا الأخباريون عن :

الردافــة .

وهى منزلة اجتماعية بمنزلة الوزارة فى الإسلام، وكانت من العرب فى بنى عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع من تميم فورثها بنوهم كابرا عن كابر حتى قام الإسلام. وقد ذكر أبو عبيدة (٢) أن "عمال الأكاسرة لم يكن أحد من العرب أكثر غارة على أهل مملكتهم من بنى يربوع فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة، وأن يكفوا عن الغارة على أهل العراق، وكانت الردافة أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، فإذا شرب شرب الردف قبل الناس وإذا غزا الملك جلس الردف فى مجلسه وخلَّفه الملك على الناس حتى يرجع من غزاته ...... وإذا أغارت كتيبة الملك أخذ الردف المرباع ..... وكانت للردف إتاوة يأخذها من جميع مملكة المنذر."

(١) التاج فى أخلاق الملوك، المنسوب للجاحظ صـ ١٤٨ وما يليها، بتحقيق فوزى عطوى، الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٧٠م

(٢) النقائض جـ١ صـ ٢٩٩، وراجع أيضا ابن الأثير جـ١ صـ ٦٤٩ وما يليها، والمعارف لابن قتيبة صـ ٦٥١، وثمار القلوب صـ ١٨٤.

والردافة على هذا النحو مكانة ودرجة مهمة، لا تعطى إلا للقبائل المتنفذة القوية، وقد أوضحنا ذلك عند الحديث عن قوة قبيلة تميم وصلتها بملوك الحيرة. فتخصيص الردافة لبنى يربوع لم يكن أمرا عفويا، ولكن كانت هناك أسباب حملت ملوك الحيرة على جعلها فيهم، فيبدو أن بنى يربوع كانوا خير فتيان العرب وأقواهم، فقد قال رجل من بنى تميم:

ومَنْ يُنادِ آلَ يَرْبُوعٍ يُجَبْ يأْتِكَ مِنْهُمْ خَيْرُ فِتْيانِ العَرَبْ
المَجْلِس الأَيْمَنُ والرِّدْفُ المحبّ [1]

وقال لبيد أيضا فى ذلك:

أَبَنِى كلابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرٌ وبنوضُبَينَةَ حاضِر الأَجْبابِ
يَرعَوْنَ مُنعَرَجَ اللَّديدِ كأَنَّهُمْ فى العِزّ أُسْرَةُ حاجِبٍ وشِهابِ
مُتَظاهِرٌ حَلَقُ الحَدِيدِ عَلَيْهِم كَبَنِى زُرارَةَ أَوْ بَنِى عَتّابِ
قَوْمٌ لَهُمْ عَرَفَتْ رَبيعَةُ كُلُّهَا غَضَبُ المُلُوكِ وبَسْطَةُ الأَرْبابِ [2]

ومن الأسباب التى حملت ملوك الحيرة على جعل الردافة فى بنى يربوع أن هؤلاء القوم أثبتوا وجودهم وحافظوا على مكانتهم يوم (طخفة) [3] المعروف أيضا بيوم (ذات كهف)، فلما مات رديف الملك عتاب بن هرمى بن رياح اليربوعى كان له ابن حديث السن، يقال له عوف بن عتاب وأراد حاجب ابن زرارة التميمى تنحية الردافة عن بنى يربوع فأشار على النعمان بن المنذر [4] أن يجعلها للحارث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمى التميمى، فقال النعمان لبنى يربوع فى هذا، وطلب منهم أن يجيبوا إلى

(١) النقائض جـ١ صـ ٢٩٩.
(٢) المصدر نفسه صـ ٣٠٠، ديوان لبيد صـ ٢٣ وما يليها، ورواية الديوان مختلفة.
(٣) طخفة: موضع فى طريق البصرة إلى مكة (ياقوت جـ٤ صـ ٢٣).
(٤) ذكر بعضهم أنه المنذر بن ماء السماء (العمدة جـ٢ صـ ٢٠١، المعارف صـ ٦٥١، ومعجم البلدان جـ٤ صـ ٢٣).

ذلك، فامتنعوا، وكان منزلهم أسفل طخفة، فلما امتنعوا من ذلك بعث إليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا أخاه، وضم إليهما جيشاً كثيفاً، منهم الصنائع والوضائع، وناس من تميم وغيرهم، فساروا حتى أتوا طخفة، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا، وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره وأراد أن يجز ناصيته، فقال: إن الملوك لا تجز نواصيها، فأرسله. وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين بن أصيب ابن حميرى بن رياح فمنّ عليه وأرسله. فعاد المنهزمون إلى النعمان، وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعى عنده فقال له: يا شهاب أدرك ابنى وأخى، فإن أدركتهما حيين فلبنى يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم وأترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم ألفى بعير، فسار شهاب فوجدهما حيين فأطلقهما. ووفى الملك لبنى يربوع بما قال، ولم يعرض لهم فى ردافتهم [1].

وفى ذلك قال متمم بن نويرة اليربوعى [2] :

ونَحْنُ عَقَرْنا مُهْرَ قابوسَ بعْدَما رأَى القَوْمُ منْهُ المَوْتَ والخَيْلُ تُلْحَبُ [3]
عَلَيْه دِلاصٌ ذاتُ نَسْجٍ وسَيْفُهُ جُزازٌ منَ الجُنْثِىَ أَبْيَضُ مِقْضَبُ [4]

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرمى بن رياح [5]:

قَسَطْنا يَوْمَ طِخْفَةَ غَيْرَ شَكٍّ على قابوسَ إذْ كُرِهَ الصَّياحُ
لَعَمْرُ أبيكَ والأَنْباءَ تَنْمى لَنِعْمَ الحَىُّ فى الجُلَّى رِياحُ

(١) ابن الأثير ج١ صـ ٦٤٩، النقائض جـ١ صـ ٦٦ وما يليه، أيام العرب فى الجاهلية صـ ٩٤ وما يليها.
(٢) ذكر أبو عبيدة أنها (لمتمم) النقائض جـ١ صـ ٦٩، وذكر ابن الأثير أنها (لمالك) جـ١ صـ ٦٤٩ وما يليها.
(٣) تلحب : تلهف.
(٤) الدلاص: الدروع اللينة، والجزار من السيوف: الماضى النافذ، والجنثى بالكسر والضم: أجود الحديد.
(٥) النقائض جـ١ صـ ٦٩.

أَبَوا دِيـنَ المـلُوكِ فـهُمْ لقَاحٌ إذا هيـجوا إلَى حَرْبٍ أشَاحوا
فـمـا قَوْمٌ كَقَومـى حـينَ يَعْلـو شِهـابُ الحَرْبِ تُسْعُرُه الـرِّماحُ
فـما قَـوْمٌ كَقَوْمى حـينَ يُخْشَى عـلى الخَوْدِ المُخَدَّرَةِ الـفضـاحُ
أذَبُّ عَنِ الحَفـائظِ فـى مَعَدٍّ إذا مـا جَدَّ بـالـقَوْمِ الـنِّطَاحُ (١)
كَأَنَّهُمُ لَوقْعِ الـبيـضِ بُزْلٌ تَغُضُّ الـطَّرْفَ ورادَةً قِمَاحُ (٢)
صَبَرْنـا نَكْسِرُ الأَسَلاتِ فـيـهـمْ فـرُحْنا قـاهرينَ لَهُمْ وراحـوا (٣)
ورُحْنـا تَخْفِقُ الـرايـاتُ فـيـنـا وأبـنـاءُ المُلـوكِ لَهُمْ أحَاحُ (٤)

وقال شريح بن الحارث اليربوعى فى تلك الموقـعة يفتخر بقومه بنى يربوع وصنيعهم فى ذلك اليوم: (٥)

هُمُ مَلَّكـوا أمْلاكَ آلِ مُحـرِّقٍ وزادوا أبا قابوسَ رَغْمـا عـلى رَغْمِ
وقادوا بـكُرْهٍ مِنْ شِهابٍ وحـاجِبٍ رُؤُسَ مَعَدٍّ بـالأَزِمَّةِ والخُطْمِ
عَلا جَدُّهُمْ جَدَّ المُلـوكِ فـأطْلَقـوا بـطخْفَةَ أَبْناءَ المُلـوكِ عـلى الحُكـمِ
أنـا ابنُ الَّذى سـادَ المُلُوكَ حَيـاتَهُ وسـاسَ الأمـورَ بـالْمُروءَةِ والحِلْمِ

فالردافـة على هذا النـحو كانت مـنزلة اجتماعية ساميـة تصارع أصحـابها واقتتلـوا حتى لا تخرج من أيـديهم، وأثبتوا وجودهم حـتى اقتنع بهـم ملوك الحيرة وأثبتوها لهم.

---

(١) النطاح: المراد الحرب.

(٢) بزل البعير: ما انشق نابه فهو بازل ذكرًا كان أو أنثى، والـقامح من الإبل: الذى اشتد عطشه حتى فتر لذلك فتورًا شديدا.

(٣) الأسلة: طرف السنان وأسلة النصل مستدقة أو هى الرماح.

(٤) فى صدره أحاح وأحيحة من الضغن والغيظ.

(٥) النقائض جـ١ صـ٦٨ وما يليها، صـ ٣٠٠ ومرت بنا أبيات ثلاثة من هذه القصيدة فى الحديث عن قبيلة تميم فى الفصل الثانى من الباب الأول صـ٧٢.

وكذلك نجـد الحجابة أيـضا من الدرجات الاجـتماعـية المهمـة عند ملوك الفرس وملوك الحيرة، فقد ورد أن أحد الأكاسرة قال لحاجبه: «لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث: عى يكره أن يطلع عليه، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله، أو ريبة(١)».

فالحاجب هو الذى يتـولى إدخال الناس والإذن لهم بالدخول على الملوك وتأخير من ينفر منه من الدخول عليه وربما منعوه.

ولذلك كان الشعـراء والذين يقصدون أبواب الملوك يتقـربون إليه ويتوددون له ليكون شفيعا لهم عندهم وواسطة فى التقرب إليهم (٢). وقد كان للنعمان ابن المنذر حاجب ، هو عـصام بن شهـيرة الجرمى، وكان أشـد الناس بأسا وأبينهم لسانا وأحزمهم رأيا، وكـان على جل أمر النعمان، ولم يكن فى بيت قومه أدنى منه، فقال له رجل كيف نزلت هذه المنزلة من الملك وأنت دنى فى الأصل، فقال:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامـــاً وعلّمــــتــــه الـكَرَّ والإقــــداما
وَجَعَــــلـــــتْه مَلِكــــا هُمَامــــــــــا

وقد ضرب بـه المثل فيقولون لمن يفـتخر بنفسـه عصامى ومن يفتـخر بآبائه عظامى (٣). وقد ورد ذكـره فى شعر النابغـة الذبيانى لما حـجبه النعـمان من الدخول عليه، قال: (٤)

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى - تحقيق محمد مرسى الخولى - الدار المصرية للتأليف والترجمة جـ١ صـ٢٦٩.
(٢) مجالس العلماء للزجاجى صـ ٢٥٩.
(٣) جمهرة الأمثال صـ ١٩٩، ثمار القلوب صـ١٣٦ وما يليها.
(٤) ديوانه ق ١٨ صـ ١٠٥.

أَلَمْ أُقْسِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِّى   أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الهُمَامُ
فَإِنِّى لا أُلامُ عَلَى دُخُولٍ   ولكِنْ مَا وَرَاءَكَ يا عِصَامُ

وكان لسقاة الملوك حظوة عندهم بحكم قربهم منهم واتصالهم بهم ولاسيما وقت شرابهم، فهم يسمعون من أفواههم وبخاصة عندما يأخذ الشراب بلبهم أمورا لا يبيحون بها فى وقت صحوهم. وقد كانت السقاية منزلة رسمية عند ملوك الفرس وغيرهم. وكذلك اتخذ ملوك الحيرة سقاة لإسقائهم الشراب ولإسقاء ندمانهم أيضاً [1].

فقد ذكر الأخباريون [2] أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة كان له نديمان من بنى أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة الفقعسى والآخر عمرو بن مسعود، فثملا فراجعا الملك فى بعض كلامه، فأمر وهو مسلوب العقل أن يحفر لهما حفيرتان بظاهر الكوفة ودفنهما حيين، فلما أصبح استدعاهما، فأخبر بالذى أمضاه فيهما، فغمه ذلك، وقصد حفرتهما وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان ، فقال المنذر: ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى، لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما وقد جعل لهما فى السنة يومين، يوم بؤس يذبح فيه أول من يلقاه ويغرّى بدمه الطربالين، ويوم نعيم يحسن فيه إلى من يلقاه ويخلع عليه، وقد أطلق المؤرخون على هذين الطربالين اسم الغريين؛ لأنه كان يغريهما بدم من يقتله.

وممن قتله فى يوم بؤسه عبيد بن الأبرص الأسدى، ويقولون إنه راجع نفسه فأقلع عن هذه العادة السيئة.

(١) مجالس العلماء صـ ٢٥٩ وما يليها.

(٢) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى صـ ٣٠٢ ، معجم البلدان ، لياقوت جـ٤ صـ ١٦٩ وما يليها (غريان) ، أسماء المغتالين من الأشراف صـ ٢١١ ، شفاء الغليل ص ١٤٤ ، الألوسى جـ١ صـ ١٢٧ وما يليها ، شعراء النصرانية صـ ٦٠٠ وما يليها، الأغانى جـ٢٢ صـ ٨٦ وما يليها ، بروكلمان جـ١ صـ ١١٠، وقد ذكر النويرى أنه بناهما على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه فماتتا فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين (نهاية الأرب جـ١ صـ٣٨٧).

وفى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسديين يقول شاعر بنى أسد [١]:

يا قبـــرُ بينَ بيـوتِ آل مـــحـرّقٍ جـــادت عليـك رواعـــدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فـــقلَّ عنك كـــثيـــرهُ ولـئن بُكيـتَ فَلَلْـبُـكـاءِ خَلـيــقُ

وقال عبيد بن الأبرص قبل أن يقتله المنذر (٢):

وخَيَّرنى ذُو الـبُؤْسِ فى يـوْمِ بُؤْسِه خصَالاً أرى فى كلّها المْوتَ قد بَرَقْ
كـما خُيِّرَتْ عـادٌ منَ الدَّهرِ مـرَّةً سَحَائبَ مـا فيـــهـا لذى خبْرَةٍ أنَقْ
ســـــحَائِب ريـحٍ لَمْ تُوكَّلْ بِبلْدَة فَتَتْرُكَـــــهَا كـــــمَا لَيْلَـةُ الطَّلَقْ

وقد اختلف المؤرخـون فى نسب بناء الغريين فمنهم من نسبـه إلى النعمان ابن المنذر [٣]، ومنهم من نسبه إلى الحارث الغسانى [٤]، ومنهم من نسبه إلى جـزيمة الأبرش، وربما كان الغـريان نصـبين من الأنصـاب التى كان العـرب الوثنيون يهرقون دماء الأضحيات والذبائح عندها[٥].

وهذا الاختـلاف يرينا مدى جـهلهم بأصل الغريين، وأغلـب الظن أن ما ذكره الأخباريون عن سبب بنائهـما هو من القصص المألوف الذى عودنا أهل الأخبار سماعه، فلا قيمـة تاريخية له، بالرغم من أنهم حاولوا التأكيد على

---

(١) الأغانى جـ٢٢ صـ ٨٦.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ق ٣٣ صـ ٨٨ وما يليها تحقيق حسين نصار - الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٩٥٧.

(٣) ابن رشيق (العمـدة ج١ صـ ١٩٤) ، الثعالبى (ثمار القلوب صـ ٢١٥) ، المقـدسى (البدء والتاريخ جـ٣ صـ ٢٠٤)، ابن قتيبة (المعارف صـ ٦٤٩).

(٤) ابن الأثير: جـ١ ص ٥٤٢.

(٥) اللسان جـ٥ صـ٣٢٥٠ (غرا)

أن قتل عبيد بن الأبرص يوم بؤس المنذر أو النعمان أمر مسلم به، وربما يكون كله من باب الأسطورة الشائعة وليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب أن نسلم به ونأخذه على حقيقته.

الاهتمام بالشعر والشعراء.

ومن عادات ملوك الحيرة أيضا اهتمامهم البالغ بالشعر والشعراء فقد صارت الحيرة فى عهد عمرو بن هند والنعمان بن المنذر موئلا لكثير من الشعراء الجاهليين الذين وفدوا إلى بلاطهم ممثلين لقبائلهم، أو جاءوا مادحين لهم طامعين فى عطائهم، وبحكم طبيعة الشعراء وبحكم استبداد الملوك جعلوا أنفسهم عرضة لألسنة الكثير منهم، فقد تعرض كثير من ملوك الحيرة لهجاء الشعراء وذمهم، مثلما حدث لعمرو بن هند حينما هجاه طرفة بن العبد والمتلمس وقصتهما معه مشهورة.

فنرى طرفة فى شعره يخاطب ابن هند ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه، وقد قسم الزمن كما يشاء ، فهو جائر ظالم، وقد تضجر طرفة من الوقوف أمام باب الملك ومن عاداته السيئة، فقال[1]:

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِك عَمْرو ... رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ (٢)
من الزَّمِرات أَسْبَلَ قَادمَاهَا ... وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ (٣)
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخِلان فِيهَا ... وَتَعْلُوهَا الكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ (٤)

(١) ديوان طرفة ص ٩٢ وما يليها.

(٢) الرغوث: النعجة المرضع، تخور: تصوت.

(٣) الزمرات: القليلات الصوف، وهى أغزر لبنا، أسبل: طال وكمل، قادماها: خلفاها وهما للناقة فاستعارها للشاة، الضرة: لحم الضرع، مركنة: أى لها أركان وجوانب وأصل، ودرور: كثيرة الدر.

(٤) رخلان: مثنى رخل، وهى الأنثى من أولاد الضأن، تنور: تنفر.

لَعَمْرُكَ إنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نَوْكٌ كَثِيـــــــرُ (١)
قَسَمْتَ الـــدَّهْرَ فـي زَمَـــنٍ رَخِيٍّ كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجُورُ
لـــــــــنَا يَوْمٌ وللْكِرْوانِ يَوْمٌ تَطِيــــــرُ الْبَائِسَاتُ وَمَا نَطِيــــــرُ
فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَـــــومُ نَحْــــسٍ تُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الـــصُّقُورُ (٢)
وَأَمَّا يَــوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْـــــبــــاً وقُوفـــاً مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيـــرُ

ثم يصفه بالمماطلة وعدم الوفاء بالوعد، ويصفه أيضا بالكذب والفجور يقول (٣):

فَلَمَّا أَنْ أَنَخْتُ إلــــــى مَلِيكٍ مَسَاكِـــنُه الْخَوَرْنَقُ وَالـسَّدِيــرُ
لــيُنْجزَ لـــــى مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ بِطَيٍّ صَحِيــــفَةِ فِيْهــــا غُرُورُ
فَأَوعَدَنِى فَأَخْلَفَ ثُـــــمَّ ظَنِّي وَبِئْسَ خَلِيـــقَةُ الْمَلِكِ الـفـــجُورُ

وقد هجاه المتلمس بقول مقذع، يقول فيه (٤):

قـولا لعمـرو بن هند غيـر متـئب يا أخنس الأنف والأضراسُ كالعَدَسِ
مَلكُ النَّهـارِ وأنـتَ اللَّيلَ مُومسـةٌ ماءُ الرِّجال على فخذيكَ كالقَرِسِ (٥)
لو كنت كلبَ قنيص كنتَ ذا جُدَدٍ تكـون أربتُه فـى آخــــرِ المَرَسِ (٦)
لَعْواً حَرِيصـاً يقول الـقانصـانِ له قُبِّحتَ ذا أنفِ وجــهِ ثُمَّ منتكسِ (٧)

---

(١) نوك: حماقة. (٢) الحدب: ما ارتفع من الأرض وغلظ
(٣) ديوانه صـ ٩٥ وما يليها.
(٤) شرح القصائد السبع صـ ١٣٠ وما يليها.
(٥) كالقرس: أراد القريس وهو الجامد.
(٦) جدد: طرائق، الأربة: العقدة ويعنى بها قلادة الكلب، والمرس: الحبل.
(٧) اللعو: من الكلاب الحريص، والمنتكس: الخائب.

ويذكر الأخباريون أن طرفة بن العبد والمتلمس كانا ينادمان عمرو بن هند فلما هجواه كتب لهما إلى عامله على هجر بالبحرين - وهو فيما يزعمون ربيعة بن الحارث العبدى - كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمره بقتلهما.

ودفع المتلمس كتابه إلى غلام بالحيرة ليقرأه، فإذا فيه أمر بقتله فألقى الصحيفة فى نهر كافر بالحيرة وفر هاربا إلى الشام.

وضرب المثل بصحيفة المتلمس، وحرّم عليه عمرو بن هند حبّ العراق وفى ذلك يقول المتلمس: (١)

لَنْ تَسْلُكِى سُبُلَ الْبَوْباةِ (٢) مُنْجِدَةً ... ما عاشَ عمروُ وما عُمِّرت قابُوسُ
آليتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ أطعمُهُ ... والحبُّ يَأكُلُه فى الْقَرْيَةِ السُّوسُ

وقدم طرفة على والى البحرين، ومعه الكتاب الذى أمره فيه الملك بقتل طرفه، فنصحه الوالى وكان قريبا له بالهرب فأبت على طرفة عزة نفسه أن يهرب، واضطر الوالى إلى التنازل عن ولايته، فنفذ القتل فى طرفة وال آخر ولاه الملك من بعده (٣). وقد عاصر عمرو بن هند أيضا من الشعراء سويد ويزيد ابنى خذاق، وفيه يقول سويد (٤):

---

(١) جمهرة أشعار العرب جـ١ صـ١٠١، مختارات شعراء العرب لابن الشجرى صـ١٣٧ ،الشعر والشعراء جـ١ صـ ١٨٢.

(٢) البوباة: ثنية فى طريق نجد ينحدر صاحبها منها إلى العراق.

(٣) خزانة الأدب جـ٢ صـ٤١٩ وما يليها، جـ٣ صـ٢٢ وما يليها، مختارات شعراء العرب صـ ١٢٨ وما يليها، ثمار القلوب صـ ٢١٦ وما يليها، الشعر والشعراء جـ١ صـ ١٨١ وما يليها ،المعارف صـ ٦٤٩ أسماء المغتالين صـ ٢١٢ وما يليها ، شعراء النصرانية صـ٣٣٠ وما يليها، الألوسى جـ٣ صـ ٣٧٩ وما يليها، جمهرة أشعار العرب جـ١ صـ٩٥ وما يليها، جمهرة الأمثال صـ ١٣١ وما يليها، بروكلمان جـ١ صـ ٩٢ ، اليعقوبى جـ١ صـ ٢٤٠.

(٤) الشعر الشعراء جـ١صـ ٣٨٧، بهجة المجالس جـ٢ صـ١٠٣

أبَى القَلْبُ أنْ يَأْتِى السَّدِيرَ وأهلَهُ ... وإنْ قيلَ عَيْشٌ بالسَّدِيرِ غَرِيرُ
بهِ البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيَّةٍ ... وعَمْرُو بنُ هِنْدٍ يَعْتَدِى ويَجُورُ

ونرى يزيد بن الخذاق يهجو النعمان بن المنذر ويتوعده ويصفه بالغدر والخيانة والمكر، يقول [(1)]:

نُعْمَانُ إنَّكَ غادرٌ خَدِعٌ ... يُخْفِى ضَمِيرُكَ غيرَ ما تُبْدِى
فإذا بَدَا لَكَ نَحْتُ أثْلَتِنَا ... فعَلَيْكَهَا إنْ كُنْتَ ذا حَرْدِ

. . .

أحَسِبْتَنَا لحماً عَلَى وَضَمٍ ... أمْ خِلْتَنَا فى البأسِ لا نُجْدِى
ومكَرْتَ مُعْتَلِياً مَخَتَّتَنَا ... والمكْرُ منْكَ عَلامَةُ العمدِ

فبعث إليهم النعمان كتيبة الدوسر فاستباحت قومه، وقد أشار إلى ذلك سويد بن الخذاق فى شعره كما مر بنا [(2)].

وهجا عبد القيس بن خفاف البرجمى النعمان بن المنذر وذكر ولادة الصائغ له وعيره بذلك، كما عيره بأنه يغزو المغازى بالجيوش الكثيرة ثم لا ينال من عدوه شيئا، يقول [(3)]:

لَعَنَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّ بلَعْنٍ ... ابنَ ذا الصَّائغِ الظلومَ الجهولا
يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ... ثمَّ لا يرزأُ العدوَّ فتيلا

---

(1) المفضليات صـ ٢٩٦ - الشعر والشعراء جـ١ صـ٣٨٧.
(2) انظر الفصل الأول من الباب الثانى صـ ٧٥ ومايليها.
(3) الحيوان جـ٤ صـ٣٧٩.

ونرى أبا قـردودة ينهى ابن عمـار [١] عن منادمـة النعمـان بن المنذر؛ لأنه أزرق أقشر أحمر الحماليق والشعر، يقول [٢]:

إنِّى نهـــيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلـتُ له لا تـــأْمَنَنَّ أَحْمَر الْعَيْنَيْنِ والـــشَّعْرَهْ
إنَّ الملوكَ مـتى تـنزِل بسـاحـتـهِمْ تطِرْ بـنارِكِ مِنْ نيـــرانهم شـــرَرَهْ

ولعمرو بن كلثـوم أشعار فيهـا هجاء للنعمان بن المنذر أيضا فـقد بلغه أن النعمان يتوعده، فدعا كاتبا من العرب فكتب إليه يقول [٣]:

ألا أبْلغِ النُّعْمـــانَ عنّى رِســـالَةً فَمْدحُكَ حَولىُّ وذَمُّك قَارِحُ
مـــتـى تَلْقنى فى تَغْلبَ ابـنةِ وائلٍ وأشـيـــاعِهـا تَرقَى إليكَ المســـالحُ

وكما تعرض ملوك الحيرة لهجاء الشـعراء المقذع، تعرضوا أيضا لمدحهم، فوفد إلى بلاطهم كثير من الشـعراء راغبين فى عطاياهم يمدحونهم ويعظمون شأنهم "فقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فـيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به" [٤].

وفى جملة من كـان له اتصال بملوك الحـيرة وبنيل هباتـهم وجوائزهم من الشعراء المنخّل اليشكرى [٥]، وقد اختلف المؤرخون فى زمـن معاصرته لهم فقـيل إنه عاصر عمـرو بن هند وشبب بأختـه واتهم بامرأته وقتله عـمرو بن هند[٦] ، وقـيل إنه عـاصـر النعـمـان بن المـــنذر واتهم بالمتـجـرّدة، وقـتله

(١) هو عمرو بن عمار الطائى كان شاعرا خطيبا وقتله النعمان.
(٢) الحيوان جـ٥ صـ٣٣٢، جـ٤ صـ٢٤٣.
(٣) شعراء النصرانية صـ ٢٠٢.
(٤) طبقات ابن سلام صـ٢٥.
(٥) هو المنخل بن عمرو ويقال ابن مسعود من بنى يشكر من بكر بن ائل.
(٦) الشعر والشعراء جـ١ صـ ٤٠٤ وما يليها.

النعمان[1]، وقيل هو الـذى سعى بالنابغـة عند النعمـان واتهمه بالمـتجـرّدة، وتوعد النعمان النابغة وكان ذلك سبب هربه منه [2]،وذكر بعضهم أن المنخل عاصـر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وعندمـا سمع شعـره الذي يقول فيه:

ولَقَدْ شَرِبْتُ مِـــنَ المُدامَةِ ‌ ‌ بالـصَّغـــيـــرِ وبالكَبِيـــرِ
فَإذا سكَـرْتُ فـــإنَّنى ‌ ‌ ربُّ الخَــوَرْنَقِ والــسَّدِيـــرِ
وإذا صَحَوْتُ فـــإنَّنى ‌ ‌ رَبُّ الـشُّوَيْهَةِ والبَعــيـــرِ

عزله عن العمل . [3]

وهذا الاضطراب والخلط يـدفـعان البـاحث إلى الشك فى صـحـة هذه الروايات، بالإضافة إلى أن المتجـردة هى زوجة النعمان بن المنذر، وهو ملك العرب الذى أنـف من مصاهرةكـسرى، فكيف يـسمح للشعـراء أن يشبـبوا بامرأته ويقولوا فيها مثل هذا الشعر الفاضح الذى رواه الأخباريون على لسان النابغة والمنخل؟ وكيف يـسمح لنفسه أن يجلس ويستـمع إلى قول النابغة فى زوجته[4]:

وإذا طَعَنْتَ طعنتَ فـى مُسْتَهـدِفٍ ‌ ‌ رابـى المَجَسَّةِ بالـعَبِيـــرِ مُقَرْمَدِ
وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مُستـخصِفٍ ‌ ‌ نَزْعَ الحَزَوَّرِ بالـرِّشَـــاءِ المُحْصَدِ

وكيف يسمح للمنخل بأن يقول أمامه " ما يعرف هذا إلا من جرب"؟.

وإذا كنا تحدثنا عن المنادمة والحجابة وعـرفنا أن الشاعر لا يستطيع الدخول على الملك إلا أن يأذن له، ولا يستطيع الكلام أمـامه إلا إذا سمح له بذلك،

(١) الأغانى جـ٢١ صـ٣، أسماء المغتالين من الأشراف صـ٢٣٩.
(٢) الأغانى جـ٢١ صـ ٢ ، الألوسى جـ١ صـ ٢٢٦.
(٣) الألوسى جـ١ صـ ٢٢٥.
(٤) ديوان النابغة ق ١٣ صـ ٩٧

وقد عرفنا شدة غيرة النعمـان على أهل بيته فى عدم مصاهرته لكسرى فكيف نسمح لأنفسنا بأن نصدق ما قاله الأخباريون عن زوجته؟.

وأغلب الظن أن هذه الأخبار والأشعار التى قيلت فيها وضعت على لسان الشعراء وألف الرواة القصة وبالغوا فيها أشد مبالغة، وذلك بعد انقضاء عصر النعمان أو بعد زوال دولة اللخميين.

والذى يمكن أن نستـخلصه من هذه الروايات المختلفـة أن المنخل اليشكرى كان ينادم النعمان وينشده القصائد، وكان الـنعمان يكرمه ويقربه إليه، غير أنه يؤثر شعر النابغة على شعـره، وأغلب الظن أن هذا التفضيل هو الذى جعل المنخل يسـعى للإيقاع بالنابغـة، فأوغر صـدر النعمـان عليه حتى هم بـقتله فهرب النـابغة منه، وانفرد المنخل بمجالسـة النعمان وصار من المقـربين إليه، والظاهر أن خاتمة هذا الحاسد الواشى كـانت خاتمة سيئة، مما دفع الرواة إلى تأليف مثل هذه القـصص، وضرب بنهايتـه المثل كما ضـرب بالقارظ العنزى وأشباهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خبر [1].

وفى جملة من كان لهم اتصال بملوك الحيرة مـن الشعراء الممثلين لقبائلهم يطلبون العفو عن أسراهم؛ المثقب العبدى [2] الذى مدح النعمان بن المنذر، وبالغ فى مدحه، وصـور الخصومة التى كانت بين قبـيلته وبين الملك، فأدبهم الملك تأديبا عنيفا، وأسر جمهـرتهم، ونرى الشاعر يستعطفه ويطلب إليه المن على هؤلاء الأسرى من بنى لكيز العبديين، يقول [3]:

(١) الأغانى جـ٢١ صـ١، شعراء النصرانية صـ٤٢١، أسماء المغتالين صـ٢٣٩.

(٢) هو عائذ بن محصن من بنى نكرة وهم بطن من عبد القيس بالبحرين (الشعر والشعراء جـ١ صـ٣٩٦، بروكلمان جـ١ صـ١١٥، حديث الأربعاء جـ١ صـ١٦٤ تأليف طه حسين - الطبعة الثانية عشرة - بدار المعارف بمصر).

(٣) المفضليات: صـ١٥١ وما يليها.

فَإِنَّ أَبا قَابُوسَ عِنْدِى بَلاؤُها   جَزَاءً بِنُعْمَى لايَحِلُّ كُنُودُها
رَأَيْتُ زِنَادَ الصَّالِحِينَ نَمَيْنَهُ   قَدِيماً، كَما بَذَّ النُّجُومَ سُعُودُها
ولَوْ عَلِمَ اللهُ الجِبَالَ عَصَيْنَهُ   لَجَاءَ بِأَمْرَاسِ الْجِبَالِ يَقُودُها
فَإِنْ تَكُ مِنَّا فى عُمَانَ قَبِيلَةٌ   تَوَاصَتْ بِإِجْنَابٍ وطَالَ عُنُودُها
فقد أَدْرَكَتْها الْمُدْرِكَاتُ فأَصْبَحَتْ   إِلى خَيْرِ مَنْ تَحْتَ السَّماء وفُودُها
إِلى مَلِكٍ بَذَّ المُلُوكَ فَلَمْ يَسَعْ   أَفاعِيلَهُ حَزْمُ المُلُوكِ وجُودُها
وأَىُّ أُنَاسٍ لا أَبَاحَ بِغَارَةٍ   يُوَأْزِى كُبَيْدَاتِ السَّمَاءِ عَمُودُها

. . .

فَأَنْعِمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّكَ أَصْبَحَت   لدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وَوَلِيدُها
وأَطْلِقْهُمُ تَمْشِى النِّسَاءُ خِلالَهُمْ   مُفَكَّكَةً وَسْطَ الرِّحَالِ قُيُودُها

ومن هؤلاء الشعراء الذين وفدوا ممثلين لقبائلهم؛ الحارث بن حلزة اليشكرى، فقد أنشد عمرو بن هند معلقته التي يقول فى مطلعها:

آذنَتنا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ   رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

أنشده إياها من وراء سبعة ستور، وذلك لبرص كان به، وكان الملك يأمر بعد خروج الحارث بغسل أثره بالماء، كما يفعل بسائر البرص، فلما طرب الملك من هذه القصيدة أمر برفع الستور وأدناه منه، وأطعمه فى جفنته وأمر ألا ينضح أثره بالماء، ثم جز نواصى البكريين الذين كانوا رهنا عنده وسلمها إليه تعظيما لشأنه وتقديرا له ولقومه [1].

---

(١) شرح القصائد السبع صـ ٤٣٢، شرح المعلقات للزوزنى صـ ١٥٩ ،خزانة الأدب جـ٣ صـ١٨١ ، الحيوان جـ٥ صـ١٨٣، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ صـ ٢٤ ، العمدة لابن رشيق جـ١ صـ٤٣ وما يليها.

فبلاط ملوك الحيرة على هذا النحو كان مركزاً أدبيا مزدهرا، وفد إليه كثير من شعراء العرب فى الجاهلية أمثال عبيد بن الأبرص الأسدى، والأعشى ميمون بن قيس، وأوس بن حجر التميمى، وحاتم الطائى، وعمرو بن قميئة، والمسيب بن علس، ولبيد بن ربيعة العامرى، وحسان بن ثابت، وحرملة بن عسلة الشيبانى (١)، والمرقشين الأكبر والأصغر، والأسود بن يعفر النهشلى وغيرهم.

ومن الشعراء من كان له دور بارز فى حياة اللخميين أمثال النابغة الذبيانى وعدى بن زيد العبادى، فقد لعب الشعر دورا خطيرا فى حياة عرب الجاهلية وكان له أثر خطير فى نفوسهم، وكان لثقافة بعض الشعراء وتنقلهم فى الحواضر واختلاطهم بغير العرب فى الحيرة وبلاد فارس أثر واضح فى تكوين عقلياتهم وتفكيرهم، وبرز هذا الأثر فى مضمون شعرهم وفى ألفاظهم وأساليبهم ومعانيهم وطريقة تناول موضوعاتهم. ويمكننا تفصيل ذلك فى الباب القادم عند الحديث عن أثر الثقافة الفارسية فى الشعر الجاهلى.

* * * *

---

(١) هو أخو عبد المسيح بن عسلة الشيبانى، وأمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان وإليها ينسبون (كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء لمحمد بن حبيب - الجزء الأول من نوادر المخطوطات صـ ٩٤ بتحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الثانية - بمطبعة مصطفى البابى الحلبى - ١٩٧٢م).

الباب الثالث

أثر الثقافة الفارسية فى الشعر الجاهلى

الفصل الأول : التأثير الفكرى

الفصل الثانى: التأثير الحضارى

الفصل الثالث: التأثير الدينـــى

الفصل الأول

التـــأثير الفـــكرى

"الفصل الأول"

التــأثير الفكرى

مما لاشك فيه أن المجتمع العربى فى عصر ما قبل الإسلام كان ينقسم إلى بدو وحضر أو أعراب وعرب، والأعراب هم هؤلاء السكان الذين كانوا يقطنون البوادى، والعرب هم هؤلاء الذين عاشوا فى الحواضر والقرى أو قريبا منها، وكان لهم اتصال بغيرهم من الأمم الأخرى.

ومن المعلوم أن أكثر سكان الجزيرة العربية فى ذلك العصر كانوا بدوا، والبداوة مرحلة اجتماعية تواكبها مرحلة فكرية ساذجة هى نتيجة حتمية لها، ففى هذا الطور كان العرب يتميزون من الناحية الفكرية بسذاجة علمية تتجلى فى ضعف التحليل، وعدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب فهما علميا منطقيا، ومهما كان العربى ضعيف التعليل لم يكن ضعيفا فى الاستنتاج من المحسوسات.

وقد حاول بعض الدارسين الاستشهاد على سذاجة الفكر العربى والعقلية العربية بهذا الحشد من الخرافات والأساطير التى ملئت بها كتب الأدب، كاعتقادهم بأن دم الرئيس يشفى من الكلب، وأن سبب المرض روح شرير حل فى جسد الإنسان، فيداويه بما يطرد هذه الأرواح، أو أن سنمارالبنّاء وضع فى قصر الخورنق آجرة لو زالت لسقط القصر كله، أو أنهم لو خافوا على الرجل من الجنون نجَّسوه بتعليق الأقذار وعظام الموتى، إلى كثير من أمثال ذلك. «فهذا كله لا يدل على عدم المقدرة على التعليل بل هو من أوهام الناس، وأمثال هذه الأوهام نجدها فى أمم قوية التعليل كاليونان والرومان، فالمرض الذى يسمونه عين الملك (Scrafula - King's eye) كان

الفرنج يعالجونه بريق الملك، وكثير من الأمم فى دور البداوة كانوا يحسبون أن سبب الجنون حلول روح شرير فى جسد الإنسان وكانوا يداوونه بالضغط على صدر المجنون وعلى بطنه كى تخرج الروح الشرير من جسده" (1).

ومن ذلك أيضا ما ذكره الجاحظ (2)؛ أن ملوك العجم ما زالت تلهى المحزون بالسماع وتعلل المريض وتشغله عن التفكير، حتى أخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم، ولذلك قال ابن عسلة الشيبانى:

وسَمَاعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا ... حَتَّى نَنَامَ تَنَاوُمَ العُجْمِ
فَصَحَوْتَ والنَّمَرِىُّ يَحْسَبُهَا ... عَمَّ السِّمَاكِ وخَالَةَ النَّجْمِ

فهذه العقلية الساذجة تمر بها كل أمة فى طور بداوتها، وإذا تحضرت هذه الأمة واختلطت بغيرها من الأمم وتأثرت بها لابد أن تبدو مظاهر هذا الاختلاط والتأثر واضحة فى عقليتها وطرائق تفكيرها. وكما ذكرنا أن عرب الحواضر فى الجزيرة العربية كانوا على اتصال وثيق بغيرهم من الأمم كالفرس واليونان ومصر وغيرهم، وقد أدى هذا الاتصال إلى امتزاج القومية العربية بالقوميات التى جاورتها، والامتزاج وتبادل الآراء يدعوان إلى تطوير التفكير وتكوين عقلية الأمة (3).

مظاهر الحياة العقلية.

إذا بحثنا فى مظاهر الحياة العقلية عند العرب نجدها لا تتعدى بعض المعارف البسيطة التى عفا أكثرها بسبب عدم الحاجة إليها فى طور الحضارة

(1) الأساطير العربية قبل الإسلام ص ٣٧ تأليف: محمد عبد المعيد خان - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.
(2) الحيوان جـ١ ص ٢٨٦، والأبيات لعبد المسيح بن عسلة، وردت فى المفضليات برواية مختلفة صـ ٢٧٩.
(3) الأساطير العربية قبل الإسلام ص ٥.

والمدنية فـمن علومهم: **علم الأنسـاب**؛ وهو علم يتـعرف به أنسـاب الناس. والعرب فى الجاهلية كـان لهم مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته، فـإنه أحد أسباب الألفة والتناصر، وهـم كانوا أحوج شىء إلى ذلك [١]. وكانوا يعتمدون فى حفظ أنسابهم على الذاكرة، ولم تكد تخلو قبيلة من قبائلهم من نسابة يلحق الفروع بأصولهـا وينفى عنها من ليس منها، وممن اشتهـر بحفظ الأنساب فى الجـاهلية: دغـفل بن حنظلة السـدوسى من بنى شـيبـان ، وزيد بن الكيس النمرى، وصعصعة بن صوحان [٢]، وأبو بكر الصديق.

ومن علومهم **علم الزجر والعـيافة**؛ وهو الاستـدلال بأصوات الحـيوانات وحركاتها وسائر أحوالها على الحوادث واستعلام ما غاب عنهم، وممن اشتهر بذلك عندهم: جـندب بن العنبـر بن عـمـرو بن تميم، وأبو ذؤيب الهـذلى الشاعر [٣].

ومن علومهم **علم القيافة والعيافة**؛ وهى على قسمين: قيـافة الأثر وقيافة البشـر، أما قيـافة الأثر؛ فـهو علم يبحث فى تتـبع آثار الأقدام والأخـفاف والحوافـر فى المقابلـة للأثر، حتى إن القـائف منهم يستطيع أن يفـرق بين أثر الشاب والشيخ والرجل والمرأة والبكر والثيب، وهذا العلـم يقال له العيافة، أما قيافة البشر فى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وفى سائر أحولهما وأخـلاقهما، واشتهر بنو مدلج بهذا العلم [٤].

ومن علومهم **علم الأنواء والنجوم**؛ واشتهر هذا العلم بين الأعراب الذين يعيشون فى الصحاح الأماليس لحاجـتهم إلى الاهتداء بالنجوم وحاجتهم إلى

(١) القلقشندى نهاية الأرب ص ٤٥٣، الألوسى جـ٣ صـ١٧٦.
(٢) الألوسى جـ٣ ص ١٩٦ وما يليها
(٣) المرجع نفسه جـ٣ صـ ٣١٢ وما يليها
(٤) القلقشندى صـ٤٥٢ ، الألوسى جـ٣ صـ٢٦٠.

تعرف شأن الغيث [١].

ومن علومهم **علم الفراسة**؛ وهو الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله[٢].

ومن علومهم **علم الكهانة والعرافة**؛ هو علم كان شائعا عند كثير من الأمم وعليه مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم، ومن أشهر الكهنة العرب: شق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن مازن بن غسان [٣].

ومن علومهم **على الريافة**؛ وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده.

ومن علومهم **علم الاهتداء فى البرارى**؛ وكان لهذا العلم أهمية خاصة عند العرب؛ لأنه يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية بقوة الشامة فقط لا يعرفها إلا من تدرب فيها كالاستدلال برائحة التراب ومسامته الكواكب الثابتة ومنازل القمر، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ولكل كوكب سمت يهتدى به، والعرب أعرف الناس بهذا العلم، ولولاه لهلكت القوافل وضلت الجيوش فى القفار والبرارى [٤].

ومن علومهم **علم الطب**؛ فقد كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبنى فى الغالب على تجربة قاصرة أو إرث من مشايخ الحى، وكانوا يستخدمون بعض النباتات والأطعمة والوصفات التى قد يصح بعضها، إلا أننا نجدهم اهتموا بهذا العلم اهتماما بالغا، فقد ذكر الأخباريون أن الحارث بن كلدة الثقفى سافر إلى فارس واليمن وتعلم الطب وعرف الداء والدواء، وكان له

(١) الحيوان جـ٦ صـ ٣٠ - ٣١، الألوسى جـ٣ صـ ٢٢٢ وما يليها، الأزمنة والأمكنة صـ١٧٨.
(٢) الألوسى جـ٣ صـ ٢٦٢.
(٣) المرجع نفسه جـ٣ صـ٣١١.
(٤) المرجع نفسه جـ٣ صـ ٣٥٤.

حديث مع كسرى فى بعض الشئون الطبية، وله كتاب فى الطب سماه (المحاورة فى الطب) بينه وبين كسرى أنوشروان (١).

ومن مشاهير الأطباء النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى، وكان قد سافر إلى البلاد كأبيه واجتمع مع العلماء والحكماء وعاشر الأحبار والكهنة وحصّل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر. فقد ذكر الأخباريون أن أهل الحيرة كانوا يتداولون قصص رَسْتم وأسفنديار وملوك فارس، وأن (النضر) تعلم منهم، وكان يحدث أهل مكة بأخبارهم معارضا الرسول ﷺ ويقول أينا أحسن حديثا أنا أم محمد؟ (٢)، وقد تعلم من أبيه أيضا ما كان يعلمه من الطب وغيره.

ومن مشاهير الأطباء ابن حذيم بن تيم الرباب وكانت له قدم راسخة فى علم الطب وله فيه أطول باع، وكان أطب من الحارث بن كلدة.

وقد ذكره الشعراء فى شعرهم، يقول أوس بن حجر: (٣)

فَهَل لَكُمْ فِيْهَا إلىَّ فَإنَّنِي ... طبِيبٌ بِمَا أَعْيَا النَّطَاسى حُذَيِّما

والنطاسى هو الطبيب، ومنهم ابن أبى رمثة التميمى، وكان طبيبا عالما بصناعة الجراحة، وكان فى زمن النبى - ﷺ - (٤). ومن شدة اهتمامهم بعلم الطب عرفوا علم التشريح، فكان لهم دراية ومعرفة بأجزاء الإنسان وأعضاء البدن والعروق والأعصاب، وبرعوا فى الجراحة وأمراض العين (٥).

«ولا يستبعد تعلم هؤلاء الأطباء فى جند يسابور مركز الطب والعلوم فى

(١) الألوسى جـ٣ صـ٣٤٤، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه - ص ١١٥ للدكتور عبد الحليم منتصر - الطبعة السادسة بدار المعارف ١٩٧٥.

(٢) السيرة النبوية جـ١ صـ٢١٠، الألوسى جـ٣ صـ ٣٤٤.

(٣) ديوان أوس ق ٤٤ صـ١١١، الألوسى جـ٣ صـ ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٤) تاريخ العلم صـ ١١٥.

(٥) حضارة العرب مصطفى الرافعى صـ ٥٩.

الأمبراطورية الساسانية أو فى أماكن مـن بلاد الشام، فقد كان الطبيب الحاذق محتـاجا فى هذا اليوم إلى تعلم هذا العلم فى أمـاكن متعددة للاسـتفادة من تجارب الأطباء، وقد كان السفر متصلا غـير منقطع، فلا يستبعد قدوم الأطباء وطلاب الطب فى جزيرة العرب إلى هذه الأماكن للتعلم فيها» (١)

كذلك كان لهم اهتمـام خاص بمعالجة الدواب من الخيل والبغـال والحمير والإبل ونحو ذلك، ويدلنا على ذلك ما ذكره طرفة بن العبد في معلقته حيث وصف الناقة وصـفا فيـه من الدقة والتفـصيل لجمـيع أعضائهـا ما يدلنا على وقوفـه على ذلك وعلى تشريح أعـضاء الحيـوان، فهو يصف الناقـة بأن لها جمجمـة كالسندان فى الصلابة، وموضع التقائها بفـراش الرأس لا تظهر فيه نتوء شاخصة، وإنما هو ملتئم متين كـالتئام المبرد من تحت حزوزه، أما عيناها فهما صافيتان صفاء المرآة، أو صفاء الماء النقى، وهما غائرتان فى عظم قوى صلب كالنقرة فى أرض صخرية، يقول: (٢)

وَجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الْعَـــــلاة كَأَنَّمَا ... وَعَى الْمُلْتَقَى مِنْهــا إلى حَرف مِبْردِ
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَـــــين اسْتَكَنَّتَا ... بِكَهْفَى حِجَاجَى صَخْرَة قَلْتِ مَوْرِدِ

ويصف قلبهـا بأنه يرتاع لأدنى شيء فهو سـريع الحركة لفـرط ذكائه، ثم يصفه بأنه خفيف صلب محكم ومجتمع الخلق، يقول:

وَأَرْوَعُ نَبَّاضٌ أَحَـذُّ مُلَمْلَـمٌ ... كَمِرداةِ صَخْرٍ مِنْ صَفِيْحٍ مُصَمَّدِ

فهذه الأشيـاء لا تدل على ملاحظة عارضة من وحى الشعـر، كما أنها لا تدل على عدم القدرة على التحليل والتعليل ومـعرفة الأسباب، بل إنها تدل على مشاهدات عاملة ودروس وتجـارب دقيقة ومعرفة كـاملة قد لا تتوافر عند

---

(١) جواد على جـ٨ صـ ٣٨٧.
(٢) ديوان طرفة صـ ٤١.

الأعراب (البدو)، ولكنها بطبيعة الحال لابد أن تتوافر لدى العرب الذين عاشوا فى المراكز الحضارية وتنقلوا بين البلدان وخالطوا غيرهم من الأمم وعلموا تجاربهم.

كذلك نجد الأعرابى الذى يعيش فى جوف الصحراء لا يعلم شيئا عن قوانين الملاحة؛ لأنه يعيش بعيدا عن البحر بل إنه يخاف ركوبه لشدة أهواله، بينما نجد سكان المناطق البحرية الذين عاشوا على سواحل البحار يركبون البحر ويستخرجون من خيراته واتخذوه وسيلة لنقل تجاراتهم، فدفعهم ذلك إلى معرفة قوانين الملاحة وأحوال البحار.

كذلك نجد **علم الكتابة** لم يكن منتشراً عند أهل البوادى بينما نجد بين أهل الحواضر من يقرأ ويكتب.

فقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم، فغلمانهم كانوا يتعلمونها ويرددون ما يكتبون ويقرأون، ويبدو من شعر لبيد بن ربيعة أن أهل اليمن حتى غلمانهم كانوا يكتبون فى العشب والبان والوعر، ويردد الأطفال الكتب لحفظها وتعلمها، فقد اشتهرت الكتاتيب بينهم؛ لأنهم أهل ريف وحضارة، يقول: [1]

فنعافِ صارةَ فالقَنَانِ كأنَّها زُبُرٌ يُرَجِّعُها وليدُ يَمَانِ
مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ يُعيدُ بِكَفِّهِ قَلَماً على عُسُبٍ، ذَبُلْنَ وبَانِ

وواضح من هذه الأبيات أن لبيدا نفسه كان ملماً بالكتابة والقراءة، كما تدل على وقوفه على خط أهل اليمن ومعرفته لكتبهم.

---

(١) ديوان لبيد صـ ١٣٨، ق ١٦.

واشتهـرت الحيرة بكثرة المعلمين فكانوا يعلمون الأطفـال القراءة والكتابة، وأحيانا يذهبون إلى بيوت الأطفال يعلمونهم إن شاء أهلهم، أو يعلمونهم فى الكتـاتيب، ومن الكتاتيـب ما كـانت تعلم بالعربـية ومنهـا ما كـانت تعلم بالفـارسية، فكـان جد عدى بن زيد الـعبادى مـثلا ممن تعلم فـى دار أبيه، وخرج من أكتب الناس فى يومه، وكان كـاتبا للنعمان الأكبر.[1] وكان زيد والد عدى ممن حذق الكتابة والقراءة، ولما تحرك عدى وأيفع، طرحه أبوه فى الكُتّاب ليتـعلم العربية، فلما حـذقها أرسله المرزبان مع ابنه شـاهان مرد إلى كتاب الفارسية فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية، حتى خرج من أفـهم الناس بها، وأفصحـهم بالعربية، وقال الشـعر وتعلم الرمى بالنشـاب، فـخرج مع الأسـاورة الرمـاة، وتعلم لعب العـجم على الخـيل بالصوالجة وغيرها.[2]

وذهب إلى بلاد فـارس وولى ديوان المراسلة، وكـان من تراجمـة كسـرى أبرويز، وتولى هذا المنصب ابنه زيد من بعده[3]

ويظهر من خبر صحيفة المتلمس السـابق أن غلمان الحيرة كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة ولا سيما العباديين من أهل الحيرة.

وقبيلة إياد أيضا من القبائل التى اشتهرت بمعرفة القراءة والكتابة، فلقيط بن يعمر الإيادى كان يعـمل فى ديوان كسرى وبعث إلى قومه صحـيفة يحذرهم فيها غزو كسرى، فكان يكتب بالفارسية والعربية.

وقد ذكر الطبـرى أن خالد بن الوليد لما نزل الأنبار رآهم يكتبـون بالعربية ويتعلمـونها، فسـألهم: ما أنتم؟ فقـالوا: قوم من العـرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام بخـتنصر حين أباح العرب، ثم لم تزُل عنهـا - فقال : ممـن تعلمتم الكتـاب؟ فقـالوا: تعلمنا الخط من إياد،

---

(١) الشعر الشعراء جـ١ صـ ٢٢٨.

(٢) الأغانى جـ٢ صـ١٨ وما يليها ، صـ١٠١.

(٣) الطبرى جـ٢ صـ ٢٠١

وأنشدوه قول الشاعر:

قَوْمِــــــــــى إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَمُ   وَلَوْ أَقَامُوا فَتَهْزَلُ الـــــــــنِّعَمُ
قَوْمٌ لَهُـــــــــمْ بَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا   سَارَوا جَمِيْعـــاً والْخَطُّ والْقَلَمُ (١)

ومن الشعـراء من كان لهم علم بالقراءة والكتـابة أو كان لهم اطلاع على الثقافـات واللغات الأعجمية وظهـر ذلك واضحاً فى أشعارهم، وخيـر مثال على هؤلاء لبيـد بن ربيعـة فهو يشـبه الأطلال وما بقـى من رسمهـا بعد أن عُريت مثل ما بقى من الكتابة فى الأحجار، فيقول: (٢)

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَـــا   خَلَقَاً كما ضَمِنَ الْوَحِيَّ سلامُهَا

ثم يصف الأطلال والسـيول تكشف عنها التـراب كأنهـا الزبر الذى يعاد كتابتها بعد أن درست، فيقول: (٣)

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأَنَّها   زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهـا أقْلامُهَـــــا

ومـثل هذا الوصف لا يصدر إلا من شـاعر لـه علم بالكتابة، وربما كـان يدون شعره ويحفظه عنده وصارت مدوناته مثل هذه الأطلال.

ومن هؤلاء أيضـا الربيع بن زياد العـبسى الذى نادم النعـمان وعـاش فى بلاطه.

وأبرز مثال لهؤلاء الشعراء النابغة الذبيانى وعدي بن زيد العبادى وأمية بن أبى الصلت والأعشى ميمون بن قيس.

وقد أوضحنا فـيما سبق أن إمارة الحـيرة الخاضعة لحكم السـاسانيين كانت

---

(١)الطبرى جـ٣ صـ ٣٧٥، وصححنا رواية الأبيات من ديوان أمية بن أبى الصلت صـــ ٤٦٥ وما يليها.
(٢) ديوان لبيد صـــ ٢٩٧، ق ٤٨.
(٣) المصدر نفسه صـــ ٢٩٩، ق ٤٨.

ملتقى للتيارات الثقافية المختلفة، كالثقافة الفارسية والآرامية واليونانية وغيرها، وفصلنا القـول فى كيفيـة وصول هذه التيارات عـبر منافذ مخـتلفة عن طريق القوافل التجارية والأسـواق والهجرات والوفود الجماعـية والفردية والحروب وغيرها، فكانت الحيرة هى المعين الذى امتزجت فيه القومية العربية بالقوميات الأخرى، وصار بلاط ملوكـها ملاذا لكثير من الشـعراء العرب الذين غلبت عليهم البـداوة، وتشوقوا لرؤية الآثار الحـضارية الأجنبيـة المنتشرة فى الحـيرة وغيرها من المناطق الخاضعة لنفـوذ اللخميين والفرس من ورائهم، ووضحت مظاهر التأثير الفارسى فى أشعارهم في المضمون والصور والألفاظ.

فليس من شك فى أننا نجد هؤلاء الشعراء الذين وفدوا وعاشوا فى المراكز الحضـارية يلمون إلماما واسعـا بالثقافـات المختلفة الشائعـة آنذاك؛ ولهذا نرى شعرهم يـختلف اختلافا بـينا فى شكله الفنى وبعض موضوعاته عـن الشعر البدوى الغالـب على معظم الشعراء الجـاهليين. هذا إلى جانب التنافس بين الشعراء فى بلاط النعـمان بن المنذر الذى أدى إلى محاولة تجـويد كل شاعر لشعره حـتى يحظى بلقب شاعر البلاط الأول، بجانب العـطايا الثمينة التى يغدقها الملك على هذا الشاعر فى ذلك الوقت (١).

فقـد ذكر الرواة أن حسـان بن ثابت وفد على النعـمان بن المنذر فمـدحه وأجازه وأكرمه، ونادمـه وأصاب منه مالا كثيرا، وبينمـا هو معه دخل النابغة فحيا الملك وشرب معه واستأذنه أن ينشده فأنشده كلمته التى يقول فيها:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ والْمُلُوكُ كَوَاكِـبُ ... إذا طَلَعَتْ لمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ (٢)

---

(١) Arabic Literature An Introduction, By Gibb. P,P, 19 -22

(٢) ديوانه صـ٧٤.

وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولـم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له فأمر له فيهـا بمائة بعير معها رعاؤها ومظالها وكلابهـا، فقال حسان: فلم أدر على ما أحسده؟ على جودة شعره، أم على جزيل عطيته؟! (١).

ولعل هذه القصيدة من أهم قصائد الاعتذار التى وجهها النابغة للنعمان بن المنذر؛ لأنها تكشف بوضوح حـقيقة العلاقة بينهمـا، وتبين السبب الجوهرى فى غضب النعـمان على النابغـة، فنراه يلوم الشاعر، واللوم أمـر عادى بين الأصدقاء، لم يصل إلى حد التهديد والوعيد الذى يتحدث عنه الأخباريون، ولم يهبط إلى حد العقـاب، فهو أشد قليلا منه فإنه يجهـد الشاعر ويؤرقه، ويقض مضـجعه، فهذا اللوم قـد أمرضه، والعائدات لا يخـففن من ألمه بل يبسطن له فراشا من الشوك يزيده هما وتسهيدا، ثم يحاول الشاعر تبرئة نفسه مما قـد نسب إليه وشـاع عنه من خيـانة وغـدر، معـترفـا بأن له أمـاكن فى الأرض من حـقه ارتيـادهـا وأنه يجد لدى ملوكـها سـعـة ورحبـا، وذلك لثـقتهـم به ولمحافظتـه على صـداقتـهم، فإذا مـا ارتاد أراضيـهم حكم فى أموالهم وتقرب منهم، وليس فى صلته وتقـربه لهؤلاء الملوك (والمقصود بهم آل جفنة الغـسانيـون) ما يستـوجب غضب النعمـان وسخطه على الشـاعر، يقول: (٢)

أَتـانى- أَبَيْتَ اللَّعْنَ- أَنَّكَ لُمْتَنـي وَتلـك التى أَهْتَمُّ منهـا وأَنْصَبُ
فَبِتُّ كـأَنَّ العـائذات فَرَشْنَنى هَرَاساً به يُعْلَى فراشـى ويُقْشَبُ
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسكَ رِيْبَـةً وليـس وراءَ اللّهِ للمـرءِ مَذْهَبُ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١ صـ١٥٩، ١٦٤، ١٦٥، جمهرة أشعار العرب للقرشى جـ١ صـ٧٦، وما يليها.
(٢) ديوان النابغة ق ٨ صـ٧٢ وما يليها.

لَئِنْ كُنْتَ قَد بُلِّغْتَ عَنِّى خِيَانَةً   لَمُبْلِغُكَ الْواشِى أَغَشُّ وأَكْذَبُ
وَلَكِنَّنِى كُنْتُ امْرَأً لِى جَانِبٌ   مِن الأرضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُم   أُحَكَّمُ فِى أَمْوَالِهِم وأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فِى قَوْمٍ أَراكَ اصْطَنَعْتَهُم   فَلَمْ تَرَهُمْ فِى شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا
فَلا تَتْرُكَنِّى بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِى   إلى النَّاسِ مَطْلِىٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً   تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ والْمُلُوكُ كَوَاكِبُ   إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنهُنَّ كَوْكَبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ اخاً لا تَلُمُّهُ   عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِجالِ الْمُهَذَّبُ؟
فإِنْ أَكُ مَظْلُوماً فعَبدٌ ظلمتَه   وإِنْ تَكُ ذا عُتْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

فهذه القصيدة تبين لنا السبب الجوهرى فى غضب النعمان على النابغة، وهو فى الأصل سبب سياسى مرده إلى التنافس بين الفرس والروم الذى استتبع تنافساً بين ملوك الحيرة وملوك الشام، فكلا الطرفين يريد نشر الدعوة لنفسه داخل الجزيرة العربية. واستطاع ملوك آل جفنة أن يستهووا النابغة، فسعى إليهم ومدحهم برغم انقطاعه إلى النعمان، وكان ذلك سبباً فى غضب النعمان وتوعده إياه. ومن الملاحظ أن نفس النابغة كانت تنازعه فى العودة إلى النعمان فما زال يحتال ويتخذ الوسائل حتى عاد إليه وظفر منه بالعفو والتوبة.

ونحن فى هذا الموضع من البحث لا نريد أن نتوقف عند شعر النابغة لندرسه دراسة تحليلية مفصلة، ولكننا عرضنا لمثال من اعتذارياته للنعمان بن المنذر لنضع أيدينا على بعض الظواهر الفنية التى تعد من الخصائص المميزة لشعره. وأول ما يطالعنا فى شعر النابغة ظاهرة التأنى فى التصوير، والرغبة فى تأليف الصورة من جميع نواحيها والاعتماد عليها فى إثارة الحس، والتعبير عن المعنى فى أدق جزئياته، وهذه الظاهرة كانت تتمشى جنباً إلى جنب مع ظاهرة أخرى؛ هى اعتماده على الصور البسيطة الأداء الموجزة الألفاظ والتى لا تحتاج من الشاعر إلى كبير عناء.

وفى شعر النابغة كذلك دقة وبعد عن الإغراب، كما فيه تحضر قد يخرج به أحياناً عن حدود البادية، اكتسبه عن طريق اتصاله بالحياة المتحضرة فى العراق والشام، وظهرت فى موسيقاه أحياناً رقة الحضر، كذلك من خلال وسائله التعبيرية ظهرت لنا عقليته الناضجة التى تختلف عن عقلية البدوى.

وقد اعترف القدماء بمكانة "النابغة" الشعرية فذكروا أنه أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعدما احتنك وهلك قبل أن يهتر [١].

وقد سُئل الأصمعى أى الناس طرا أشعر؟ قال: النابغة، قال السائل: أتقدم عليه أحدا؟ قال لا، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه أحدا[٢]. وذكروا أن كل من تعاطى اللحاق ببيت النابغة:

فَإِنَّكَ كَاللَّيلِ الَّذِى هو مُدْرِكِى ... وإنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ واسعُ

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام جـ١ صـ ٥٦، الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١ صـ ١٥٧.

(٢) فحولة الشعراء للأصمعى صـ ١٤ - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى وطه محمد الزينى - الطبعة الأولى - المطبعة المنيرية بالأزهر ١٩٥٣.

قصــر دونه، وقد تعاطاه جمـاعة من الشعـراء لم يقعوا قـريبا منه، منهم الفرزدق، ومحمد بن عبد الله النميرى [(١)].

وبالرغم مما قاله القـدماء عن النابغة، وما رأيناه فى شعـره من ظواهر فنية وبالرغم من اتصـاله بالمراكز الحـضارية إلا أنه لا يتـحضر ولا يـرق رقة أهل الحواضـر، ولم نجد ذلك كثـيرا فى شعـره بحيث نجعله من الـظواهر الفنية المميزة لشعره، فهو حين يصف الجـوارى التى يهبها له النعمان مع عطاياه من الإبل يغلب على تصويره البيئة البدوية الصـحراوية بما فيها من غزلان وجرد، يقول: [(٢)]

الواهبُ المـــائَة المعـكاءَ زَيَّنَهـا ... سَعْدانُ تُوضِحَ فى أَوْبَارِها اللِّبَــد

والأُدْمَ قَدْ خُيِّستْ فُتْلاً مـرافـقها ... مَشْدُودةً برحـــال الْحيــرَة الْجُدُد

والرَّاكِضَات ذُيُولَ الرَّيْطِ فَانَقَـــهـا ... بَرْدُ الــهَوَاجِرِ كَالْغزلان بـــالجَرَدِ

وقوله أيضا : [(٣)]

فَلا تَتْركَنِّى بالْـــــــــوَعِيــد كَأَنَّنِى ... إلَى النَّاسِ مَطْلِىٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْـرَبُ

وبالرغم من أننا نجد له قصائد خفيفة السمع رقيقة النغم يظهر فيها العنصر الموسيقى بوضوح ، إلا أن هــذه الظاهــرة لم تمثل ســمــة عامة فى شعره، مثل قـصيدتـه التى يوجههــا إلــى عيينة بن حـصن بن حذيفـة والتى يقول فيهــا: [(٤)]

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين جـ٢ صـ ٢٤١.

(٢) ديوانه ق١ صـ ٢٢.

(٣) المصدر نفسه ق ٨ صـ ٧٣.

(٤) المصدر نفسه ق ٢٣ صـ ١٢٥ وما يليها.

غَشيــــتُ مَنَازلاً بعُريـــتنَات فَأعْلَى الْجزْعِ لـــلـــحَيِّ الْمُبِنِّ
تَعَاورَهُنَّ صَرْفُ الـــدَّهْرِ حَتَّى عَفَوْنَ، وكـلَّ مُنْهــــمرٍ مُرِنِّ
وَقَفْتُ بِهَا الْقَلُوصَ عَلــى اكْتِئَابٍ وذاك تَفَارُط الشَّوْقِ الْمُعـــنِّى
أُسَائِلُهَا وقـد سَفَحَتْ دمـــوعى كـأنّ مَغيـــضَهُنَّ غُرُوبُ شَنِّ
بُكَاءَ حَمَامَة تَدْعُو هَديـــلاً مُفَجَّعَة عَلَى فَنَـــنٍ تُغَنِّى
أَلِكْنى يَا عُيَيْن إلـــيـــكَ قَوْلا سَأُهـديــه إلـيكَ إلـيكَ عَنِّى
قَوافِى كـالسِّلام إذا اســتـمـرَّتْ فـليـس يَرُدُّ مَذْهَبَهـــا الـتَّظَنِّى
بـــهـــنّ أَديـــنُ مَن يَبْغى أذاتى مُداينَـــةَ المُدايـــنِ فَلْيَدِنِّى

ومن هذا النوع قصيدة أخرى فيها من الرقة والعذوبة وسهولة الألفاظ ووضوح العنصر الموسيقى ما جعلها تقترب هى وسابقتها من روح الحضر، يقول فيها:[(1)]

أتـاركـــةٌ تَدَلُّلَهـــا قَطَـامِ وضنًّا بـالـتَّحيَّة والـكـــلامِ
فَإِنْ كَانَ الـــدَّلالُ فَلا تَلـــجِّى وإنْ كَانَ الوداعُ فـــبـــالسَّلامِ
فَلَوْ كَانَتْ غَداةَ الـــبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الخُدُورَ على الخيـــامِ
صَفَحْتُ بِنَظْرةٍ فـــرأيتُ منهـــا تُحَيْتَ الخِدْرِ واضـــعـــة القرامِ
تَرائبَ يستـضىءُ الحَلْيُ فـيـهـا كــجَمْر النّار بُذِّرَ بالـظَّلامِ
كـأنَ الشَّذْرَ واليـــاقُوت منهـا على جَيْداءَ فـــاتـرة البُغـــامِ

(1) ديوان النابغة ق ٢٤ صـ ١٣٠ وما يليها .

وهى قصـيدة طويلة يشيع فيـها هذا اللون من النغم الرقيق بالإضـافة إلى سهولة الألفاظ وبعدها عن الغريب.

وتبرز لنا المؤثرات الأجنبية بشكل واضح فى شـعر عدى بن زيد العبادى، وهو من شعراء الحيـرة الذين كان لهم اتصال مباشر مع الـفرس، فقد تولى ديوان المراسلة عند كسرى وأجاد اللغتين العربية والفارسية، وتنقل بين البوادى والحـواضر وذهب إلي أرض الروم، وكـان من تراجـمـة كسـرى أبرويز بن هرمز[1] ومن المقربين إليه، وقد تألق نجمـه وبلغ أعلى المراتب وكان نصرانيا كسـائر عبـاد الحيرة وتزوج هـند بنت النعمـان بن المنذر ، ثم أمره النعـمان بالافتراق عنهـا بعدما غضب عليـه وألقاه فى السجن [2]. فشاعر هذا مركزه اتصل بألوان مخـتلفة من الثـقافات، وعـاش معظم حيـاته فى بلاد فارس، وأحب الغناء واللهـو والصـيد على طريقـة الفـرس، أحس بسقـوطه فجـأة ودخوله السجن واغتـياله فيه، فلابد أن يتسم شعره بطابع مميـز يميزه عن بقية الشعراء الجاهليين فـهو يخالف مذاهب أولئك الشعراء فى كـثير من الأمور، فنلاحظ أن ألفاظه ومعانيه حضرية متحررة من الأساليب البدوية التى تميل إلى استعمال الجزل من الكلمـات؛ ولهذا نـرى الرواة أعرضـوا عن شعر عدى ابن زيد بالرغم من اعتـرافهم بمكانته الـشعرية، فقـد ذكر أبو عبـيدة عن أبى عـمرو بن العـلاء قال: «كـان عدى بن زيد مـن الشعـراء بمنزلة سهـيل فى النجوم، يعـارضها ولايجرى مـجاريها. قال: العـرب لا تروى شعره؛ لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانيا من عباد الحيرة قد قرأ الكتب » [3].

---

(١) أسمـاء المغتـالين صـ١٤٠ وما يلـيها، الطـبرى جـ٢ صـ ١٩٣، مـروج الذهب جـ٢ صـ١٠٠، النويرى جـ١٥ صـ ١٢١، الألوسى جـ٢ صـ٢٩٠، بروكلمان جـ١ صـ١٢٤.

(٢) شعراء النصرانية صـ٤٤٦ وما يليها.

(٣) طبقات فحول الشعراء جـ١ صـ ١٤٠، الشعر والشعراء جـ١ صـ ٢٣٠.

وقـالوا عنه أيضا «وكـان يسكن بالحـيرة، ويدخل الأرياف، فـثقل لسـانه واحتمل عنه شيء كثير جدا، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة»[1].

ونفهم من ذلك أن جزالة الألفاظ وشدة وقعها على الأذن وغرابتها هي من أهم المعايير التى اتخذها علماء الشـعر فى تقويم الشعر الجاهلى؛ لذا نراهم قد أعرضوا عن رواية شـعر عدى بن زيد وأبى دؤاد لوجود لـين وسهولة فى شعرهما [2].

وإذا أخذنا بمذهب هؤلاء فى أن الرواة كـانت لا تروى شعر أبى دؤاد ولا عدى بن زيد لمخالفتهما مذاهب الشعراء ولأن ألفاظهما ليست بنجدية، ولأن عـديا راكن الريف فلان شـعره وبان ذلك علـى لسانه، ولأنه تأثر بلغـة أهل الحيـرة، واستـعمـل ألفاظهم وألفـاظ الفرس فى شـعره، وجب علينـا عدم الاستشهاد بشعر أمية بن أبى الصلت كذلك، فقد كان من أهل قرية واستعمل فى شعره ألفاظا لـم تعرفها العرب وقرأ الكتب، كمـا يجب إدخال الأعشى معـهم أيضا؛ لأنه اتصل بالمراكز الحـضارية وبالأعـاجم وخالط أهل الريف، واستعمل فى شعره ألفاظا فارسية وغير فارسية، وخالف مذاهب الشعراء فى كثـير من شعـره، فضلا عن كونه من أهـل اليمامة، وأهل الـيمامة - كـما ذكرنا- ممن اختلط لسـانهم بلسان غيرهم من أهل اليمن والفـرس، وغيرهم ممن وفدوا إليها وعاشوا فيها وتأثروا بهم.

لهذا كله كـانت حجة علمـاء الشعر فى عـدم رواية شعر عدى وأمـثاله، حجة واهيـة؛ لأنهم وضعوا قوالب ثابتة يـجب أن يسير عليها الشـاعر حتى

---

(١) الشعر والشعراء جـ ١ صـ ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه جـ١ صـ ٢٣٨.

يقدَّم عندهم ويصير فحلا من الفحول، فقد سُئل الأصمعى عن عدى بن زيد، «أفحل هو؟ قال ليس بفحل ولا أنثى، وقال أبو حاتم وهو السائل، وإنما سألته لأنى سمعت ابن مناذر [1] لا يقدِّم عليه أحدا» [2].

فعلماء الشعر على هذا النحو كانوا يفضلون شعر الأعراب على شعر أهل الحواضر؛ لأن لغتهم صافية نقية لم تشبها أي عجمة أو لين، وهذا دليل آخر يخدم بحثنا ويؤيد ما ذهبنا إليه فى أن أهل الحواضر تأثروا بغيرهم من الأمم فلان لسانهم ورق، ونضجت عقلياتهم فتغيرت طرائق تفكيرهم وتأثر شعرهم أيضا بذلك، فإلى جانب بساطة ألفاظهم ووضوحها اعتمدوا على الصور البسيطة وعبروا عن معانيهم بسهولة ويسر، واعتمدوا على الأوزان الخفيفة فمالوا إلى الأعاريض القصيرة ذات النغم الواضح، فأثر البيئة واضح فى ألفاظهم ومعانيهم، وثقافة العصر واضحة أيضا فى أفكارهم وموضوعاتهم. فنلاحظ أن أكثرهم يذكر فى شعره الأمم الغابرة والملوك السابقين، وما كانوا فيه من نعمة وما صاروا إليه من فناء، وتكثر أيضا القصص الدينية والتاريخية تزخر بها أشعارهم يذكرونها على سبيل التذكر والموعظة لاستخراج الحكم والوصايا. فنجد عدى بن زيد فى شعره يعظ بهذا المصير المحزن الذى يلحق المغرورين العتاة المتجبرين، كالمصير الذى لحق الملوك الطغاة والأقوام الغابرين، فيذكر لنا ملوك الفرس وملوك الروم والضيزن صاحب الحضر [3] والنعمان الأكبر صاحب الخورنق وقصة سياحته فى

---

(١) هو محمد بن مناذر شاعر عباسى مجيد (الشعر و الشعراء جـ٢ صـ ٨٦٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز صـ ١١٩وما يليها تحقيق عبد الستار فراج - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٦).

(٢) فحولة الشعراء صـ ١٩ وما يليها.

(٣) الحضر: قصر أو مدينة بجبال تكريت بين دجلة والفرات، والضيزن: صاحبها وقيل هو من العرب من قضاعة وقيل هو من الجرامقة ويقال له الساطرون (الطبرى جـ ٢ صـ٤٧).

الأرض، ويذكر الموت وهو نهاية كل شيء فدوام الحال من المحال، يقول (٢):

أَيُّهــــا الشَّامتُ الْمُعَيِّرُ بـالدَّهْر ... أأنْـــــتَ الْمُبَـــرَّأُ الْموفُـــــورُ؟
أَمْ لَدَيْكَ الـعَهْدُ الـوثيـقُ من الـ ... أَيَّام بَلْ أَنْتَ جـــــــاهلٌ مَغْرورُ
مَنْ رأَيْتَ المـــــنُونَ خَلّدْنَ أَمْ مَنْ ... ذا عليــه مِنْ أَنْ يُضـــامَ خَفـيــرُ
أيْنَ كِسْرَى، كِسْرَى المُلـوك أنُـــو ... شـــروان، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ ســـابورُ؟
وبَنُو الأَصْفَرِ المُلـوك، مُلوكُ الـــ ... رُّومِ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكـــــورْ
وأَخُو الْحَضْرِ إذْ بَنَاهُ وإذْ دجْـــ ... لةُ تُجْبـيَ إليــــه، والْخـــابورُ
شـــــــادَهُ مَرْمَرًا، وخَلَّلَهُ كِلْـ ... سًا، فَلِلطَّيْـــرِ فـى ذُراه وُكـــورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ المـنُون فَبَاد الـــ ... مُلْكُ، مِنْهُ فـــبــــابُهُ مَهْجُورُ
وتَأَمَّلْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـــــ ... رَفَ يومًا، ولـلهُدَى تَفْكيـــــرُ
سَرَّهُ مـــالُهُ وكَثْرَةُ مـــا يَمْـ ... ـــلكُ والْبَحْرُ مُعْرِضًا والـسَّديـرُ
فـارْعَوَى قَلْبُهُ وقـالَ: ومـا غِبْـ ... ـطَةُ حـيٍّ إلى الممـاتِ يَصـيــرُ
ثُمَّ بعـــدَ الْفَلاحِ والْمُلْك والـ ... إمّة وارَتْهُمُ هُنـاكَ الـقُبـــــورُ
ثُمَّ أَضْحَوا كَأَنَّهــم ورَقٌ جَـــ ... فَّ، فـأَلْوَتْ به الصَّبـا والدَّبورُ

ثم نراه يذكر قصة جذيمة الأبرش وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدى إياها، ويستخلص العبرة من هذه القصة، وأن حوادث الدهر لا تترك الإنسان على حاله، يقول فى قصيدة أخرى: (٢).

---

(١) ديوان عدى بن زيد صـ ٨٧ وما يليها، الحماسة للبحترى ص ١٢٢ وما يليها، الأمالى الشجرية جـ١ صـ٩١ وما يليها.
(٢) ديوانه صـ ١٨١ وما يليها.

دَعَـــا بـالبقَّـــةَ الأُمَـــراءَ يَـــوْمًا جَذِيمَةُ عَصْرَ يـنْجُوهُمْ ثُبـــــــينا
فَطَاوَعَ أَمْرَهُم وعَصَى قَصـــيــــرًا وكـــانَ يقـــولُ، لَو تَبَعَ، اليَقـــينا
وَدَسَّت فى صـــحيـــفَتـــهـــا إلَيْه لِيَمْلِكَ بِضْعَهـــــــا ولأَن تَدينـــا

* * * * *

أَطَفَّ لأَنْفـــه المُوسَى قَصـــيــــرُ لِيــــجْدَعَهُ، وكــــــانَ به ضَنيـنا
وَصَادَفَت أمْراً لَمْ تَخْشَ منــــــهُ غَوائلُهُ، ومـــــا أَمِنَت أَمـــــينا
أَتَتـــهَا العيـسُ تَحْملُ مـــا دَهَاهَا وقَنْعُ فــى المُسُوحِ الدَّارِعـــــــينا
ودَسَّ لَهَا عَلَى الأَنْقَاء عَمْرًا بشكَّته ومــــــا خَشيَتْ كَمـــــينا
فَجَلَّلَهـــــــــا قَديْمَ الأثْرِ عضْبًا يَصلُّ به الحــــواجبَ والجَبـــينا
فـأضْحَت منْ خزَائنهـــا كـأَنْ لَمْ تَكُنْ زَبَّاءُ حَاملَةَ جَنــــيــــنـــــا
وأَبْرَزَهـــا الْحَوادثُ والْمـــنَايـــا وأَيُّ مُعَمَّرٍ لا يَبْتَلـــــيــــــنــــــا
إذا أَمْهَلْنَ ذا جَدٍّ عـــظــــيــــم عَطَفْنَ لَهُ ولَوْ فى طيٍّ حيـــــنــــا
ولَمْ أَجِدِ الْفَتَى يَلْهُو بــــــشَىءٍ ولَوْ أَثْرَى ولَوْ وَلَدَ الْبَنـيـــــــــــا

ونلاحظ أن أسلوب عـدى فى هذا القـصص يغلب عليـه حيـوية العبـارة الشعـرية وصدق الانفعـال، ورقة الأسلوب وسهـولة الألفاظ، والتـعمق فى أحوال الأمم الماضية لاسـتخلاص العبرة، فغلب عليـه طابع الموعظة واحتقار الدنيا وازدرائهـا، وليس غريبا أن يصـدر مثل هذا الشعـر من عدى بن زيد؛ لأن حيـاته تشبه حيـاة الملوك، فقد عاش مـنعما مرفـها وبلغ أرقى المراتب، وفجـأة أحس بسقوطه عندما سـجنه النعمان وهو صـاحب الفضل فى تمليكه العرب، فلابد أن يذكـر مثل هذه القصص فى شعـره ليسقط عليه أحاسـيسه

وانفعالاته النفسية ليبدع أبياتا فى الحكمة والموعظة تنبئ عن عقلية ناضجة وعمق فى الثقافة والتفكير، ومعرفة واسعة بأحوال البشر، يقول: (١)

كَفَى زاجرًا للْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ ... تَروحُ لَهُ بالواعظات وتَغْتَدى
فَنفْسَكَ فاحْفَظْها من الغَىِّ والخنى ... متى تُغْوِها يَغْوَ الَّذى بكَ يُقْتَدى
وإنْ كانَت النَّعماءُ عنْدَكَ لامرئ ... فَمثلاً بها فاجْزِ الْمُطالبَ وازدد
عَنِ الْمَرْءِ لاَ تسْأَلْ وسَلْ عَن قَرينه ... فكُلُّ قَرينٍ بالْمُقارَنِ يَقْتَدى
فإنْ كانَ ذا شر فَجانبْهُ سُرعَةً ... وإنْ كانَ ذا خَيْرٍ فقارنْهُ تَهْتَدى
وظُلْمُ ذوى القُرْبي أَشَدُّ مضَاضَةً ... على المَرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّد
وفى كَثْرَةِ الأيدى عَنِ الظُّلْمِ زَاجِرٌ ... إذا حَضَرَتْ أَيْدى الرِّجالِ بِمَشْهَدِ

وهو القائل أيضًا: (٢)

إذا ما رأَيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أَهلَهُ ... وقامَ جُناةُ الشرِّ للشَّرِّ فاقْعُدِ

ومن هذه الحكم التى تدلنا على نضج عقلية عدى وعمق تفكيره قوله وهو فى حبسه عند النعمان: (٣)

لَوْ بغَيْرِ الماءِ حَلْقى شَرِقٌ ... كُنْتُ كالغَصَانِ بالمَاءِ اعْتِصَارِى

---

(١) ديوانه صـ ١٠٤ وما يليها، والقصيدة كاملة فى جمهرة أشعار العرب جـ٢ صـ ٤٨٥ ، وما يليها وهى من المجمهرات ، الحيوان جـ٧ صـ١٥٠، ، التمثيل والمحاضرة للثعالبى صـ ٥٢، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو - طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٦١.

(٢) ديوان عدى صـ١٠٧، والبيت فى بهجة المجالس جـ٢ صـ ٢٦٣، ط/ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

(٣) ديوانه صـ ٩٣.

ويظهر من هذا الشعر المنسوب لعدى بن زيد أنه كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر، وأغلب الظن أن هذه العقيدة رسخت فى نفسه بعد ما زُجَّ به فى غيابة السجن وبات وحيداً لا يدرى مصيره، وهذه العقيدة يسلم بها أكثر من يقع فى مثل هذه الظروف لأنها تفرج عن النفس، وتخفف بعض التخفيف مما ينتاب المرء وهو فى هذه الحالة من هموم وأحزان. والإيمان بالقدر وبأن الإنسان مسير مجبر عقيدة لها صلة بالظروف والأحوال التى كانت تحيط بالشاعر، وكذلك نزعات التصوف والتأمل التى نراها فى شعره هى وليدة المؤثرات الثقافية المختلفة وإقامته فى البيئة المتحضرة، وهى ليست من الآراء الدينية الخالصة إذ أننا لم نجد أحدا من الأخباريين يذكر أنه كان متصوفا أو كاهنا أو قسيسا فنأمل فيه التطرق إلى الموضوعات الدينية والتعمق فيها.

وما ذكره عدى فى شعره من قصص دينى كقصة الخلق، وقصة آدم وحواء وهبوطهما من الجنة هو من الشعر التعليمى الدينى الذى يغلب عليه التأمل العقلى والتسلسل الفكرى وروح السرد القصصية، يقول فى قصة بداية الخلق:[1]

اسْمَعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تُحَدِّثُهُ ... عَنْ ظَهْرِ غَيبٍ إذا ما سائلٌ سألا

أنْ كَيفَ أَبْدَى إلَهُ الْخَلْقِ نعْمَتَهُ ... فِينا وَعَرَّفَنا آياتهِ الأُوَلا

كانتْ رياحاً وماءً ذا عُرانية ... وظُلْمَةً لَمْ يَدَعْ فَتْقًا ولا خَلَلا

فَأَمَرَ الظُلْمَةَ السَّوْداءَ فانْكَشَفَتْ ... وعَزَلَ الماءَ عَمَّا كانَ قَدْ شَغَلا

وبَسَطَ الأرضَ بَسْطًا ثُمَّ قَدَّرهَا ... تَحْتَ السَّماء سَواءً مثْلَ ما فَعَلا

وجَعَلَ الشَّمسَ مصْرًا لا خَفَاء به ... بَيْنَ النَّهارِ وبَيْنَ اللّيْلِ قَدْ فَصَلا

قَضَى لِستَّةِ أَيَّامٍ خَليقَتَهُ ... وكانَ آخرُهَا أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلا

(١) ديوان عدى بن زيد صـ ١٥٨ وما يليها.

ثم يذكر شأن آدم ومعصيته، وكيف أغواه، وكيف دخل في الحية، وأن الحية كانت في صورة جمل فمسخها الله عقوبة لها حين طاوعت عدوه على وليه، فقال: (1)

دَعَاهُ آدَمَ صَوْتاً فَاسْتَجَابَ لَهُ ... بِنَفْخَةِ الرُّوحِ في الجِسْمِ الَّذي جبلا
ثُمَّتَ أورَثَهُ الفِرْدَوسَ يَعْمُرُهَا ... وزَوْجُهُ صُنْعَهَ مِنْ ضِلْعِه جَعَلا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ واحدَةٍ ... مِنْ شَجَرٍ طَيِّبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أُكَلا
فَكَانَتِ الحَيَّةُ الرَّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ ... كَمَا تَرَى نَاقَةً في الخَلْقِ أو جَمَلا
فَعَمَدا لِلَّتي عَن أكْلِها نُهِيَا ... بِأمْرِ حَوَّاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلا
كِلاهُمَا خَاطَ إِذْ بُزَّا لُبُوسَهُمَا ... مِنْ وَرَقِ التِّين ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غُزِلا
فَلاطَهَا اللهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ ... طُولَ اللَّيالي ولَمْ يَجْعَلْ لَها أَجَلا
تَمْشي عَلَى بَطْنِها في الدَّهْرِ ما عَمَرَتْ ... والتُّرْب تَأْكُلُهُ حُزْنًا وإنْ سَهُلا
فَأَتْعَبَا أَبَوانَا في حَيَاتِهِمَا ... وأَوْجَدا الجُوعَ والأَوْصَابَ والعِلَلا
وأُتِيَا المُلْكَ والأَنْجِيلَ يَقْرَؤُهُ ... نَشْفَى بِحِكْمَتِه أَحْلامَنَا عِلَلا
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلاَّ لِيَجْعَلَنَا ... فَوْقَ البَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلا

ونرى في هذا النظم البعد عن النهج التقليدي للقصيدة الجاهلية، وتبرز لنا ثقافة الشاعر واضحة جلية في هذه القصيدة إذ أنه تأثر فيها بمصادر دينية أغلب الظن أنها غير عربية.

وقد شاع مثل هذا النوع من القصص الديني التاريخي في شعر كثير من الشعراء الذين اتصلوا بالحواضر وتأثروا بالثقافات الأجنبية المختلفة، فشعر أمية بن الصلت يغلب عليه هذا الطابع من النظم، فأشعاره تزخر بذكر

(1) المصدر نفسه صـ ١٥٩ وما يليها - الحيوان جـ٤ صـ ١٩٨ وما يليها.

البعث الحساب وفكرة الموت والخلود وذكر القيامة وذكر قصص الرسل والأنبياء وقصة آدم وحواء وقصة الحية وبعض القصص الذى شاع فى ذلك والعصر، [1] كل ذلك يرجع إلى ثقافته الواسعة وكثرة اطلاعه ونشوئه فى بيئة حضارية متقدمة، هذا إلى جانب أنه كان من المتحنفين الذين لم يؤمنوا باليهودية والنصرانية، وجاء شعره معبرا عن هذه الديانة التى اعتنقها وأثرت فى شعره حتى طبع بطابع فكرى يختلف عن بقية أشعار الجاهليين.

فهو يذكر قصة الطوفان وسفينة نوح حين استوت على الجودى ، فيقول: [2]

تَجْرى سَفِينَةُ نُوحٍ فى جَوانِبِه ... بِكُلِّ مَوْجٍ مَعَ الأَرْواحِ تَقْتَحِمُ
مَشْحُونَةٌ ودُخانُ المَوْجِ يَرْفَعُهَا ... مَلأَى وقد صُرِعَتْ مِنْ حَولِها الأُمَمُ
حَتَّى تَسَوَّتْ عَلى الجُودِىّ راسِيةً ... بِكُلِّ ما اسْتُودِعَتْ كأَنَّها أُطُمُ

ومثل هذا اللون من القصص الذى يضمّنه الشعراء أشعارهم للعبرة والموعظة نجده فى كثير من شعر الأعشى، فهو يذكر قصة الحضر ومحاصرة سابور وجنوده له حولين كاملين، ومحاولة أهله الذود عنه من غير طائل؛ لأنهم رأوا الموت خيرا من حياة الذل، وفى ذلك عبرة يجب أن يعتبر بها المعتبر، ثم ينتقل إلى قصة سد مأرب الذى بنته حمير من الرخام فحفظ لها الماء وأروى الزروع والأعناب وعاشوا فى غبطة ونعيم، حتى دهمهم سيل العرم ودمر السد، ففرق شملهم وقذف بملوكهم إلى البيداء، وبدّلهم من الماء سراب الصحراء فأصبحوا لا يملكون منه شرب صبى مفطوم، يقول الأعشى[3]:

(١) راجع ديوان أمية بن أبى الصلت بتحقيق عبد الحفيظ السطلى، دمشق ١٩٧٤.
(٢) المصدر نفسه ق ٧٠ صـ ٤٦٤ وما يليها.
(٣) ديوانه ق ٤ صـ ٩٣.

أَلَمْ تَـرَى الحَضْرَ إذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى وَهَـلْ خَـالدٌ مَنْ نَعِمْ
أَقَـامَ بِـه شَاهَبُـورُ الجُنُـودَ حَوْلَيْـن تَضْـرِبُ فِيـه الـقُدُمْ
فَمَـا زَادَهُ رَبُّـهُ قُـوَّةً وَمِثْـلُ مُجَـاوِره لَـمْ يُقِـمْ
فَلَمَّـا رأَى رَبُّـهُ فِعْلَـهُ أَتَـاهُ طُـرُوقًـا فَلَـمْ يَنْتَقِـمْ
وكَـانَ دَعَـا رَهْطَـهُ دَعْـوَةً هَلُـمَّ إلَى أَمْرِكُـمْ قَـدْ صُـرِمْ
فَمُـوتُوا كِـرَامًا بِـأَسْيَافكـمْ ولَلْمَـوْتُ يَجْشَمُـه مَـنْ جَشِـمْ
وَللـمَوتُ خَـيْـرٌ لِمَـنْ نَالَهُ إذَا الْمَـرءُ أُمَّتُـهُ لَـمْ تَـدُمْ
فَفِـى ذَاكَ لِـلْـمُؤْتَسِى أُسْـوَةٌ ومَـأْربُ قَفَّـى عَلَيْهَا الـعَرِمْ
رُخَـامٌ بَنَتْـهُ لَهُـمْ حِمْيَـرٌ إذَا جَـاءَهُ مَـاؤهُمْ لَم يَـرِمْ
فَأَرْوىَ الـزُّرُوعَ وأَعْنَـابَهَا عَلَى سَعَـة مَـاؤهُـمْ إذْ قُسِـمْ
فَعَاشُوا بِـذَلكَ فِـى غِبْطَة فَجَـارَ بِهِـم جَـارفٌ مُنْـهَـزِمْ
فَطَـارَ الـقُيُـولُ وَقَيْـلاتُهَـا بِيَهْمَـاءَ فِـيـهَا سَـرَابٌ يَطِمْ
فَطَـارُوا سِـرَاعًا وَمَـا يَقْـدِرُونَ مِنْـهُ لِشُـرْبِ صَبِـىٍّ فُطِـمْ

ومن هذا القصص الذى يتعلق بأخبار قبائل العرب البائدة، ويدلنا على وقوف الأعشى على أخبار هذه القبائل حديثه عن قصة زرقاء اليمامة وما يتصل بهذه القصة من أحداث.

فقد ذكر الأخباريون أن قبيلتى طسم وجديس كانتا تسكنان اليمامة فى شرق نجد وكان اسمها وقتذاك جو وذلك فى أيام ملوك الطوائف، وكانت السيادة فى طسم حتى انتهى الملك إلى رجل ظلوم غشوم يقال له عملوق كان مضرا بجديس مستذلا لهم، فأتمرت به جديس فقتلوه وأفنوا قومه من طسم، ولم ينج منهم إلا رجل يقال له (رياح بن مرة) صار إلى تبع حسان بن عمرو ملك اليمن مستنجداً به،فسار معه بجيشه، وكان لرياح أخت فى جديس

تبصر على مسيرة ثلاثة أيام يقال لها (اليمامة)، فلما كان الجيش قريباً من القوم أخبر حسان بخبرها، فقال لرجاله اقطعوا الشجر وليضع كل منكم غصنا بين يديه ليشتبه الأمر عليها، فلما نظرت اليمامة من فوق حصن مرتفع من حصونهم قالت: أرى رجلاً فى شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها، ولكن قومها كذبوها ولم يأخذوا للأمر أهبته، فوطأهم حسان بجيشه فأفناهم وهدم قصورهم وحصونهم وأمر باليمامة ففقئت عيناها وصلبت على باب (جو) وسميت منذ ذلك الوقت باليمامة على اسم هذه المرأة[1].

وربما تكون هذه القصة حقيقية، وربما تكون من هذا النوع الذى عودنا المؤرخون سماعه فندرجها تحت هذا النوع من القصص الأسطورى الذى يشوبه كثير من المبالغة والخيال بالرغم من ذكرها فى كثير من الشعر الجاهلى[2]. وأيا كان نوع هذا القصص فهو تراث حقيقى استطاع الشعراء أن يستقوا منه مادتهم الشعرية لصياغتها فى قالب شعرى يتميز ببساطة الأسلوب والتسلسل الفكرى وروح السرد القصصية، وهذه ظواهر قلما نجدها عند الشعراء الجاهليين، ومعرفة الشعراء بهذا التراث يدلنا على سعة ثقافتهم واختلاطهم بغيرهم من الأمم وتأثرهم بهم.

فيذكر الأعشى هذه القصة فى شعره فى قصيدته التى يمدح بها هوذة بن على الحنفى، فيقول مخاطبا ابنته[3] :

(١) الطبرى جـ ١ ص ٦٢٩ وما يليها، ثمار القلوب ص ٣٠٠.
(٢) وردت هذه القصة فى شعر النابغة، انظر ديوانه ق ١ أبيات ٣٢، ٣٥ صـ ٢٣ وما يليها، ووردت أيضا فى شعر للنمر بن تولب ، الطبرى جـ ١ صـ ٦٣١
(٣) ديوانه ق ١٣ صـ ١٥١ وما يليها. .

مَهْلاً بُنَىَّ فَإِنَّ المَرْءَ يَبْعَثُهُ   هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الحَيْزُومَ والـضِّلَعَا
عَلَيْك مِثْلُ الَّذِى صَلَّيْتِ فَاغْتَمضِى   يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرءِ مُضْطَجَعَا
وَاسْتَخْبِـرِى قَافِلَ الرُّكْبَانِ وَانْتَظِرِى   أَوْبَ المُسَافِرِ إِنْ رَيْثًا وَإِنْ سَرَعَا
كُونِى كَمِثْلِ التـى إِذْ غَابَ وَافِدُهَا   أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزَعَا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا   حَقًّا كَمَا صَدَقَ الـذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا
إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ   إِذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأْسَ الكَلْبِ فَارْتَفَعَا
وَقَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ   إِنْسَانَ عَيْنٍ وَمُؤْقًا لَمْ يَكُنْ قَمَعَا
قَالَتْ أَرَى رَجُلاً فِـى كَفِّهِ كَتِفٌ   أَوْ يَخْصِفُ الـنَّعْلَ لَهْفِى أَيَّةَ صَنَعَا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُم   ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى المَوتَ والـشِّرَعَا
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ   وَهَدَّمُوا شَاخِصَ البُنْيَانِ فَاتَّضَعَا

وكما استطاع الأعشى أن يضمِّن شعره قصصا تاريخية عن الأمم الماضية والقبائل البائدة استطاع أن يصوغ لنا قصة وفاء السموؤل بن عادياء، التى ضرب بها المثل فى الوفاء بالعهد ، وذكرها الأخباريون وفصلها الأعشى فى شعره حين مدح شريح بن حصن بن عمران بن السموؤل بن عادياء(١).

ويتحدث الأعشى فى مواضع كثيرة من شعره عن قبائل العرب التى بادت وأفناها الدهر ليستخلص العبرة من ذكر هؤلاء الذين ملكوا الدنيا ودبروا أمور الناس وأتت عليهم صروف الزمان فأبدلت حالهم وانتهوا إلى الزوال(٢). وفى شعر الأعشى نجد أبياتا يغلب عليها الطابع التعليمى وتنبئ عن عقلية

(١) راجع ديوانه ق ٢٥ ص ٢٢٩ وما يليها .
(٢) المصدر نفسه ق ٢ ص ٦٥، ق ٥٣ ص ٣٣١.

وثقافة واسعة وإدراك واع بأحوال البشر ، يقول:(١)

جماعُ الْهَوىَ فى الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التُّقَى ... وَتَرْكُ الْهَوَى فى الْغَىِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ
إِذَا حَاجَةٌ ولَّتْكَ لا تَسْتَطِيعُهَا ... فَخُذْ طَرَفاً مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبَقُ
فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا ... وَللقَصْدُ أَبْقَى فِى الْمَسِيرِ والْحَقُ

ومن أشعاره التى تشبه الوصية التى يوصى بها الإنسان نتيجة لخبرته فى الحياة قوله:(٢)

سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبِلَى ... وَكُلُّ امرِىءٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا
بِأَنْ لا تَبَأَّنَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ... وَلا تَنْأَ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا
فَذَا الشَّنْءِ فَاشْنَأْهُ وَذَا الْوُدِّ فَاجْزِهِ ... عَلَى وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْغَلانِيَا (٣)
وَآسِ سَرَاةَ الْحَىِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... وَلا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

وشعر الأعشى كما هو واضح يتميز بظواهر فنية تصبغه بصبغة معينة ، فإلى جانب بساطة الأسلوب وسهولة الألفاظ واعتماده على الصور البسيطة نجد عنده ترابط المعنى، وهو تماسك الأبيات وترابط معانيها، وظاهرة الاستطراد أيضًا واضحة فى شعره، وهذه الظاهرة جعلت بعض الرواة يتشككون فى كثير من شعره ، ويغلب على شعر الأعشى أيضا روح السرد القصصية حتى فى حديثه عن مجالس الخمر والغناء، وفى وصف رحلاته وأسفاره، فقد اشتهر الأعشى بكثرة تنقله بين البلاد مما زاده هذا التنقل

(١) ديوانه ق ٣٣ ص ٢٧١، وما يليها.
(٢) المصدر نفسه ق ٦٦ ص ٣٧٩.
(٣) شناه شنأ : كرهه وأبغض ، والغلانية : من الغلو والإسراف فعلها (غلن).

والترحال خبرة واسعة بأخبار الأمم وثقافتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأكسب شعره مزيدا من الرقة والتحضر.

فالأعشى شاعر حضرى بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان، حتى قيل عن بعض أشعاره إنها تشبه أشعار المحدثين والمولدين فى الرقة والانسجام(١). ويتميز شعره أيضا بخفة الأوزان وجمال الموسيقا؛ لأنه كان يكثر الاستماع للمغنيات والغناء، فأكثر التنويع فى أوزانه واستخدم منها التام والمجزوء فإذا هو يحيل شعره ألحاناً وأنغامًا خالصة.

والأشعار الجاهلية التى يغلب عليها الطابع التعليمى والتى يختلف أسلوبها عن بقية الشعر الجاهلى فى الألفاظ والصياغة الفنية نجدها ماثلة عند كثير من الشعراء.

فنرى الأفوه الأودى (صلاءة بن عمرو) يغلب على أشعاره الطابع الحكمى والموعظة التى استمدها من واقع التجربة الحية، يقول(٢):

البيتُ لا يُبتنى إلا له عُمُدٌ ... ولا عمادَ إذَا لم تُرس أوتادُ
لايَصْلُحُ الناسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ... ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُم سَادُوا
تُهْدَىَ الأمُورُ بِأَهْلِ الرَّأى ماصَلَحتْ ... فَإنْ تَولَّتْ فبالأشْرَارِ تَنقادُ

ونرى ذلك عند المتلمس فى قوله(٣):

ومـا كُنْتُ إلا مِثْلُ قاطِع كَفِّهِ ... بِكَفٍّ لَه أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا

---

(١) خزانة الأدب جـ ٣ ص ٤٣٩، ٤٤٢.
(٢) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٢٣، التمثيل والمحاضرة ص ٥١
(٣) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى ص ١٢٤.

وقوله[1] :

قـــليــــلُ المـــالِ تُصْلِحَهُ فَيَبْقَى ولا يَبْقَى الكثــيــرُ مع الفـــســادِ

ومن ذلك أيضا قول عبيد بن الأبرص:

الخَيْرُ يَبْقَى وإنْ طَالَ الزَّمـــــانُ به والشَرُّ أخْبَثُ مـــا أَوْعَيْتَ من زَادِ[2]

* * *

لا أعْرِفَنَّكَ بعــــدَ المـوْتِ تَنْدُبُنِى وفى حَيــاتى مـــا زَوَّدْتنى زَادِى[3]

ونرى يزيد بن خذاق وهو ممن كان لهم اتصـال بالحيرة يذم الدنيا ويأسف على نفسه، فيتخيل ما سـيصنع به أهله بعد الموت، من ترجيل شعره وإدراجه فى الكفن، واختيار أفضل الفتيان ليتولوا دفنه فى ضريحه، ثم يهون من شأن المال، وأنه سوف ينتهى إلى الوارث، ويذكر الدهر ومايصوّبه إليه من سهام، يقول[4]:

هلْ للْفَتى مِنْ بَنَات الدَّهْرِ من وَاقِ أَمْ لَهُ مـن حِمَامِ المـوت مـن رَاقِ
قد رَجَّلُونى وَمَا رُجِلْتُ من شَعَثٍ وألْبَسُونى ثِيـــابًا غـيـــرَ أخْلاقِ
ورفــعــونى وقـــالوا: أيما رَجُلٍ وأدرجـــونى كـــأننى طىَّ مِخْرَاقِ
وأرْسَلُوا فِتـيـةً مـن خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فى ضـــريحِ التُّربِ أطْبَاقى

(١) التمثيل والمحاضرة ص ٥٠
(٢) ديوانه ص ٤٩.
(٣) نفسه ص ٤٨
(٤) المفضليات ص ٣٠٠ وفيها نسبت الأبيات للممزق العبدى والصحيح أنها ليزيد بن خذاق (الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٨٦، بهجة المجالس جـ ٢ ص ٣٢٠، وما يليها)

وَقَسَّمُوا المالَ وارفضَّتْ عَوَائدُهُمْ وقـال قـائلُهـم مـاتَ ابنُ خَذَّاق[1]
هَوِّنْ عليكَ ولا تَوْلَعْ بإشْفـاق فـإنَّمـا مـالُنـا للوارثِ البـاقى
كَأَنَّنى قد رَمـانى الدَّهْرُ عن عُرُضٍ بنَافِذَات بِلا ريـــشٍ وأَفْوَاقِ[2]

ومثل هذا اللون من الشعر الذى يشبه الوصايا التى يقدمها الآباء للأبناء نجده عند عبدة بن الطبيب فى قصيدته التى مطلعها[3] :

أَبَنِيَّ إنِّى قــد كَبِرْتُ ورَابَنى بَصَرى، وَفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ

وفيها يصور يومه الأخير ويذكر البكاء والقبر، ويقدم لبنيه عزاء بأن الموت غاية كل حى، يقول[4] :

إنَّ الحــوادثَ يَخْتَرِمْنَ، وإنَّمــا عُمْرُ الـفَتَى فـى أهـله مُسْتَوْدَعُ
يَسْعَى ويَجْمَعُ جـاهداً مُسْتَهـتراً جداً، ولَيْسَ بـآكِلٍ مـا يَجْمَعُ
حـتَّى اذا وَافَى الحمَامُ لوَقْته ولـكُلِّ جَنْبٍ لا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
نَبَذُوا إليـه بـالسَّلامِ فَلَمْ يُجِبْ أَحَداً وَصُمَّ عَنِ الـدُّعَاءِ الأَسْمَعُ

أثر اتصال العرب بالفرس فى خيال الشعراء.

وكما أثر اتصال العرب بالفرس فى موضوعات الشعر وأفكاره أثر أيضاً فى خيال الشعراء.

فنرى المخبل السعدى يشبه وجه حبيبته بالصحيفة ملامسة وليناً، ويقول إنه

(١) لم يرد هذا البيت فى المفضلية وأثبته من الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٨٦ وبهجة المجالس جـ ٢ صـ ٣٢١.
(٢) ورد البيت فى المفضلية ولم يرد فى المصادر الأخرى.
(٣) المفضليات ص ١٤٥.
(٤) نفسه ص ١٤٨ وما يليها..

ليس ضامرا ولا مكتنزا، وإنه يشبه الدرة النادرة التى أضاء بها العجم صدر مجلس عزيزهم، وقد اشتراها العزيز بثمن غال؛ لإنها نادرة جهد الغواص فى العثور عليها، فقد جاء بها من أعماق البحر المتلاطم الأمواج الذى يسكنه سمك القرش، هذا الغواص دقيق العظام كأنه سهم فى سرعته وتحوله، وقد دهن جسمه بالزيت ليقيه ملوحة البحر، يقول[1]:

وتُرِيكَ وَجْهًا كالصَّحيفَةِ لا ظَمآنُ مُخْتَلِجٌ ولا جَهْمْ
كَعَقِيلةِ الدُّرِّ اسْتَضاءَ بِها مِحْرَابَ عَرْشِ عَزِيزِها العُجْمْ
أَغْلَى بِها ثَمنًا وجاءَ بِها شَخْتُ العِظَامِ كأَنَّهُ سَهْمْ
بِلَبانِه زَيْتٌ وأَخْرَجَهَا مِن ذِى غَوارِبَ وَسْطَهُ اللُّخْمْ

ونجد المرقش الأكبر يشبه البقر الوحشى الذى سكن ديار حبيبته وأخذ يرعى فى أطلالها مطمئنا مختالا برجال الفرس الذين يمشون مزدهين فى قلانسهم، يقول:[2]

أَمْسَت خَلاءً بعدَ سُكَّانِها مُقْفِرَةً ما إنْ بِها مِنْ إِرَمْ
إِلا مِنَ العِين تَرْعَى بِهَا كالفارِسِيِّينَ مَشَوْا فى الكُمَمْ

وقد برز هذا الأثر الفارسى بوضوح فى هذا الحشد الهائل من الألفاظ الفارسية التى نجدها فى الأشعار الجاهلية. فنرى فى شعر عدى بن زيد والأعشى وغيرهما العديد من الكلمات المعربة التى إقتبسوها من الفارسية عن طريق عرب الحيرة والعراق، أو عن طريق الفرس مباشرة لاتصالهم واختلاطهم بهم، وفى هذه الألفاظ ما يتعلق بالأسماء والألقاب والملابس

(١) المفضليات ص ١١٥.
(٢) نفسه ص ٢٢٩.

والأشـربة والأطعـمة والخـمـور والأزهار والأفـراح والغناء وأدوات الطرب والأعياد وغير ذلك من المناسبات.

ووجود هذه المعربات فى أشعار الجاهليين دليل واضح على اتصال العرب فى عصـر ما قبل الإسـلام بالفرس واتصال الفـرس بهم ودليل على الروابط الفكرية التى كانت بينهما فى ذلك الوقت.

ومن هذه الألفاظ:

الإبريق: وهو فى الفـارسية (آبريز) وترجـمته أحـد شيـئين، إما أن يكون طريق الماء، أو صب الماء على هينة، وذكره عدى بن زيد فى شعره ، فقال:

ثُمَّ نـادُوا علـى الـصَّبُوحِ فَجَاءتْ　　　قَيْنَـــةٌ فـــى يَمــــنِهَا إِبْرِيــــقُ(١)

ومنهـا، اليارق: ويقـال فيـه أيضا الـيارج وهو من حلى اليـدين وأصله بالفارسية (ياره) وهو السوار، وورد ذلك فى شعر شبرمة بن الطفيل ،يقول:

لَعَمْرِى لَظَبْىٌ عند بـابِ من مُحْرِزٍ　　　أَغَنُّ عليــــه اليَارقَانُ مــــشُوفُ (٢)

وورد فى شعر الأعشى أيضا قوله :(٣)

إِذَا قَلَّدَتْ مِعْصَمًا يَارِقَيْـــــــــــــ　　　ـــنِ فُصِّلَ بـالدُّرِّ فَصْلاً نَضِيــــــــرا

ومنها، أذربيجان: وهى مدينة من مدن بلاد فارس ، وورد ذكرها فى شعر للشماخ بن ضرار الذبيانى، يقول:

---

(١) المعرب للجواليقى ص ٢٣، أدى شير ص ٦، والبيت فى ديوانه ص ٧٨

(٢) المعرب ص ٣٥٧، اللسان جـ ٦ ص ٤٩٥٦ (يرق) أدى شير ص ١٦٠.

(٣) ديوانه ق ١٢ صـ ١٤٥

تذكَّرتُهـا وهْنًا وقـد حـال دونَهـا   قُرَى أذْرَبيـــجَان المسَالِحُ والجَالى[١]

ومنها البرزين: وهو إناء من قشر الطلع يشـرب فيه وقد تكملت به العرب ويسميه البصريون القلقلة، وجاء فى شعر لعدى بن زيد، يقول[٢]:

إنَّمـــــا لِقْحَتُنـا باطـيـــــةٌ   جَوْنَـةٌ يَتْبَعُهـــــا بـرْزِيـنُهَا[٣]
فـــاذا مـــا حـــارَدَت أو بـكأت   فُكَّ عَنْ حـاجِبِ أُخَرىَ طِينُهـا[٤]

ومنها الطراز: ويطلق على الزى والهيئـة، فالعرب تقول: طرز فلان طرز حسن، أى زيه وهيئته، واستعمل ذلك فى جيد كل شىء.

قال حسان بن ثابت[٥]:

بيضُ الـوجـــوه كـــريمةٌ أَحْسَابُهُم   شُمُّ الأُنـــوفِ مـن الــطِّرازِ الأَوَّلِ

ومنها أسبـذ: وهو اسم قائد من قواد كسرى كان على البـحرين ورد ذكره فى شعر طرفة بن العبد، يقول:[٦]

خُذُوا حِذْرَكُمْ أهلَ الْمُشقَّرِ والصَّفَا   عَبِيدَ أسْبَذ والقَرْضُ يُجْزىَ من القرضِ

وقيل إن عبيد أسبذ قوم كـانوا من أهل البحرين يعبدون البرازين كانوا من

(١) المعرب ص ٣٥ وما يليها، ديوان الشماخ ص ٤٥٦.
(٢) المعرب ص ٦٩ وما يليها، اللسان جـ ١ ص ٢٥٦ (برزن) وأثبت البيت من ديوانه ص ٢٠٤.
(٣) جونة. سوداء
(٤) بكؤت الناقة وحاردت: أى قل لبنها..
(٥) المعرب صـ ٢٢٣، ديوان حسان صـ ١٢٣، شفاء الغليل صـ ١٤.
(٦) المعرب صـ٣٨ ، ديوان طرفة صـ ٢٠٦، وروايته مختلفة.

عبد القيس ؛ لأن أسبذ معناها بالفارسية أسب، وهو ذكر البرازين. (١)

ومنها: دختنوس وأصلها بالفارسية (دختناوش) هي بنت لقيط بن زرارة سماه أبوها باسم بنت كسرى ومعناها بنت الهنىء (٢) ، وقد ورد ذكرها فى رجز أبيها من قبل.

ومنها: الحيقار هو اسم ملك نظنه الحيقار بن الحيق الذى ذكره الطبرى فى أخبار الحيرة والأنبار وما حولها (٣)، وقد ذكره عدى بن زيد فى شعره حين ذكر الذين بادوا، فقال: (٤)

عَصَفنَ عَلَى الحَيْقـار وَسْطَ جنُودِهِ   وبَيَّتْنَ فى فـاداشه رَبَّ مَارِد (٥)

ومنها: كسرى وهو بالفارسية خسرو وقد ورد كثيرا فى أشعار العرب ، فقال عدى بن زيد:

أَيْنَ كِسْرَى كـسرى المُلُوك أنو   شُرْوانَ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سابُورُ (٦)

ومنها: شهنشاه، ومعناها ملك الملوك وقد تكلمت به العرب قديما وورد فى شعر الأعشى، يقول: (٧)

---

(١) المعرب صـ ٣٨ وما يليها.

(٢) نفسه صـ ١٤٢.

(٣) الطبرى جـ١ صـ ٦١٠.

(٤) المعرب صـ ١٢١، والبيت فى ديوانه صـ ١٢٤.

(٥) فاداش تعريب باداش بمعنى الأصحاب (المعرب صـ ١٢١ هامش التحقيق) ،مارد: حصن بدومة الجندل كان مبنياً من حجارة سود (اللسان جـ٦ صـ ٤١٧٣) (مرد)

(٦) ديوانه صـ ٨٧، المعرب صـ ٢٨٢، شفاء الغليل صـ ١٧١.

(٧) المعرب صـ ٢٠٨، ديوان الأعشى ق ٣٣ صـ ٢٦٧، شفاء الغليل صـ ١١٣.

وَكِسْرىَ شَهَـنْشَاه الَّذِى سَار مُلْكُهُ ... لَهُ مـــا اشْتَهَى رَاحٌ عَتـــيِقٌ وَذَنْبَقُ

ومنها: قابوس وهو معـرب (كاووس) أو (كاؤوس) وهو مركب من (كاو) أى الشجـيع، والخشن القد والقـامة ، ومن (وس) أداة التشبـيه [1] . وكان النعمان بن المنذر يكنى أبا قابوس ، وقال النابغة : [2]

أُنْبِئتُ أَنَّ أبـا قـــابُوسَ أَوْعَدَنى ... ولا قَرارَ عـــلـــى زَأْرٍ مِن الأَسَدِ

ومنها: الهامـرز، وهو اسم أحد مرازبة كسـرى، وكان على ميمنة جـيشه يوم ذى قار [3]، وفيه يقول الأعشى: [4]

هُمُو ضَرَبُوا بـــالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقـــــدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

ومنهـا :سپـسـار، ومعناها السـمـسار، وقـد تحدثنـا عنه فى العلاقـات الاقتـصادية، ويطلق أيضـا على الحاذق بأمـر الحديد، فقـال حمـيد بن ثور الهلالى:

بَرَتْهُ سَفَـاسِيـرُ الحَدِيـد فـجـرَّدَتْ ... وَقِيعَ الأعالى كان فى الصَّون مُكْرَمَا[5]

ومنها: البسـتان،والجمع بساتين مـعرب بوستان قيل مـعناه بحسب الأصل

---

(١) المعرب صـ ٢٥٩، شفاء الغليل صـ ١٥٦، أدى شير صـ ١٢٣.

(٢) ديوان النابغة صـ ١٢٦

(٣) المعرب صـ ٣٥٢.

(٤) ديوان الأعشى ق ٤٠، صـ ٣٠٩.

(٥) المعرب ص ١٨٥، ومـا يليها، ديوان حـميد بن ثور الهـلالى، صـ ٣١ بتحقـيق عبدالعـزيز الميمنى ـ الدار القومـية للطباعة والنشـر، القاهرة، ١٩٦٥. (والأعالى: أسنة الرماح والسـيوف، ووقيع الأعالى: مـاشحذ بالحجر).

آخـذ الرائحـة، وقيل مـعناه مـجـمع الرائحة، ويطـلق أيضا علـى الحديقـة والأشجار، ووردت فى شعر الأعشى بمعنى النخل، يقول[١]:

يَهَبُ الجِلَّة الجَرَاجِـرَ كـالبـسْـ ـتَـانِ تحـنـو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ

ومنها: بنفسج، معرب (بنفشـه)، ومنها الجلسان وأصلها كلشان[٢]، ومنها السيسنبر والمرزجوش، قال الأعشى:[٣]

لَنَا جُلُسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ وَسِيْسنبـرُ والْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا

ومنها: المهـارق، وأصلها بالفـارسية (مـهركرد) أى ثقلت بالخـرز ، وقد عرّفـها بعض علماء الـلغة بأنها ثيـاب بيض أو حرير أبيض، تسـقى بالصمغ وتصقل ويكتب فيها، وقيل هى الصحائف وواحدها مهرق[٤].

وذكر الجاحظ أن الكتب لايقال لها مهارق إلا إذا كانت كتب دين أو عهود أو ميثاق أو أمان[٥].

ونفهم من شعر الحارث بن حلزة أن المهارق كانت تنسب للفرس؛ ولذلك عبر عنها بقوله[٦]:

لِمَن الـدِّيـارُ عَفَوْنَ بـالحَبْسِ آيـاتُهـا كَمَهَارِقِ الـفُرْسِ

---

(١) المعرب ص ٥٣، شفاء الغليل ص ٣٤ وما يليها، ديوان الأعشى ق ١ ص ٥٩.
(٢) شفاء الغليل ص ٣٩، المعرب ص ٧٩، ٨٠، ١٠٥، أدى شير ص ٢٨.
(٣) ديوانه ق ٥٥ ص ٣٤٣.
(٤) المعرب ص ٣٠٣ وما يليها، أدى شير ص ١٤٨
(٥) الحيوان جـ ١ صـ ٧٠.
(٦) المفضليات ص ١٣٢.

وقال أيضا فى معلقته:

واذكـــروا حِلفَ ذى المَجَازِ ومـــا قُدِّم فـــيـــه العُهـــودُ والكُفَـــلاءُ

حـــذرَ الخَوْنِ والـتَّعَـــدِّى، وهَلْ يَنقُضُ مــــــا فـى المَهَارِقِ الأهواءُ

وقال الأعشى أيضا يذكر المهارق[1]:

ربِّى كَرِيمٌ لا يـــــــــكَدِّرُ نِعْمَةً وَإِذَا يُنَاشَدُ بـــــــــالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

ومنهـا: الون، أو الونج وهى من آلات الطرب معـرب (ونه) وهو الصنج الذى يضرب بالأصابع[2].

ومنهـا: الصنج، وهو نوعـان، نوع يتخـذ من صُفُر، يضـرب أحدهمـا بالآخر، ونوع له أوتار تختص به العجم[3].

ومنهـا البـربط، وهو من مـلاهى العـجم شـبـه بصـدر البط، والصـدر بالفارسية (بر) فقيل بربط[4].

ومنها: الناى نرم من مـلاهى العجم[5]. وكل هذه الألفاظ الـتى تختص بآلات الطرب والغناء ذكـرها الأعشى فى شـعره، ووصف مـجالس اللـهو والغناء والشراب ومـا فيها من صــور حضارية فـارسية أثرت فيـه وفى عرب الحواضــر قبل الإسلام. نتـحدث عنهـا فى الفصل القادم عـند الحديث عن التأثير الحضارى فى الشعر الجاهلى.

* * *

(١) ديوانه ق ٣٤ ص ٢٧٩

(٢) المعرب ص ٣٤٤، أدى شير ص ١٥٩.

(٣) المعرب ص ٢١٤.

(٤) المصدر نفسه ص ٧١، أدى شير ص ١٨

(٥) شفاء الغليل ص ١٩٩، المعرب ص ٣٤٠، أدى شير ص ١٥٦.

الفصـــــل الثانـى

التأثيــر الحضـــــارى

"الفصل الثانى"
التــأثير الحضـــــارى

لم تقتصر آثار اتصال العرب بالفرس على تطور التفكير ونضج العقلية العربية بل تجاوزت ذلك إلى ضروب أخرى من التأثير فى المجتمع ونظام الحياة.

فقد كان ملوك الحيرة ينافسون أكاسرة الفرس وقياصرة الروم فى مظاهر الترف والعظمة، فقصورهم كانت مؤثثة بأثمن الأثاث، وحدائقهم تكسوها الأزهار وقواربهم الأنيـقة السـاطعة الأنوار تشق الفـرات ليلا، حاملـة أغنى الأمراء وأمهـر الموسيقـيين، وأطلق العرب لأنفسـهم عنان الخيـال فقصـوا علينا أنباء القصور السـاحرة العجيـبة التى أضحت ، لا ريب، أجمل مـساكن الشرق وأطيبها(١).

مظاهر التأثير الحضارى :

الأبنية القديمة.

ومما لاشك فـيه أن بيـوت العرب تـختلف فى شكلهـا وفى طريقـة صنعهـا باختلاف موقعهم من الحضارة والبداوة، وأبنية الأعراب الذين يقطنون البوادى وبعدت الشقـة بينهم وبين المناطق الحضارية هى البيـوت، وبيوتهم تقوم على هيئات متـعددة فهى قبة من أديم أو مظلة من شعـر، أو خباء من صوف، أو بجاد من وبر، أو خيمة مـن شجر، أو أقنة من حجر(٢) ، فهى ليست مبانى ثابتـة تساعـدهم على الاستـقرار، ونظرا لظروف حـياتهم فى التنقـل وعدم الاستقرار كـانوا يبنون بيوتهم على هذا النحو، أما المبانى الثابـتة القائمة التى

---

(١) حضارة العرب: غستاف لوبون ص ٩٣.

(٢) مجالس ثعلب جـ ١ ص ٧٩، الحيوان جـ ٥ ص ٤٦١، الخزانة جـ ٣ ص ١١٤

تبنى بالحجارة وغيـرها فقد أخذها عرب الحواضـر عن غيرهم من العجم، وتأثروا فى طريقة بنائهم بهم وبنوا بيوتهم وقـصورهم على الطراز الفارسى. وذلك أدعى للاستقـرار وتخليد المآثر، لأنهم اختاروا الشعر لتـخليد مآثرهم فى الجـاهلية، ثم إنهم تأثروا بالعـجم فـخلدوا مآثرهم بالبنيـان. وفى ذلك يقول الجاحظ: «كانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها، بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقـفى، وكان ذلك هو ديوانها.. وذهبت العجم على أن تقيـد مآثرها بالبنيان، ثم إن العرب أحـبت أن تشارك العجم فى البناء، وتنفرد بالشعر، فـبنوا غمدان، وكعبة نجران، وقصـر مارد، وقصر مأرب، وقصر شعوب والأبلق الفرد... وغير ذلك من البنيان»[1].

ومن مبانى الفـرس إيوان كسرى الذى ضرب به المثل للبنيان الرفـيع العجيب الصنعة، المتناهى الحصانة والوثاقة؛ لأنه من عجائب أبنية الدنيا، ومن أحسن آثار الملوك التى خلدت مآثرهم، وقد وصفه الأخـباريون فقالوا: ومن وصفه أن طوله مائة ذراع فى عرض خمسين ذراعا فى سمك مائة ذراع، وهو متخذ من الآجر الكبـار والجص، وثخن الأذج[2] خمس آجرات، وطـول الشرفة خمسة عشر ذراعا[3]، وذكروا أيضـا أن ستر باب الإيوان أحرقـه المسلمون لما افتتحـوا المدائن، فأخرجوا منها ألف ألف مـثقال ذهباً، فبيع المثـقال بعشرة دراهم، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألف درهم[4].

---

(١) الحيـوان جـ ١ ص ٧٢. والأبلق الفرد: حصن بتيماء كـان للسمـوءل بن عادياء، (الجبـال والأمكنة والمياه ص١٦).

(٢) الأذج: البيت يبنى طولا ويقال له بالفارسية أوستان (اللسان جـ ١ ص ٧٠) .

(٣) ثمار القلوب ص ١٨٠ وما يليها

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البـغدادى، دار الكتاب العربى ـ بيـروت ـ ص ١٣١، نهاية الأرب للنويرى جـ ١ ص ٣٨٠.

فلم يكن للفرس طراز فنى خاص إلا فى العمـارة، فكانت بيوتهم جميلة لها حدائق غناء تستحيل فى بعض الأحيان مـسارح للحيوان وبساتين للصيد، وكان لهم أثاث قيم غالى الثمن من نضـد مصفَّحَة برقائق الفضة والذهب أو مطعمة بها، وسرر فرشت عليهـا أغطية جاءوا بها من غير بلادهم، وطنافس لينة، جمعت كل ألوان الأرض والسماء يفرشون بها أرض حجراتهم[1].

ومما عرفه العرب (القطيف) وهو بساط كان لكسرى أبرويز يعرف باسم (بهار كسرى)، وكـان قطعة واحـدة سـتين ذراعاً فى سـتين منسـوجا من النسـيج المذهّب، وكـانوا يعدونه للشـتاء إذا ذهبت الرياحين فـرشوه وشـربوا فـوقه فكأنهم فى روضة من رياض الربيع لكثرة ما نقشوا عليه من الورود والرياحين والأشجار والثـمار ، وجعلوا الخمـائل فيه من زمرد وصنعـوا النهر من لؤلؤ والأشجار والثمار والورود كلها من الماس واليـاقوت، وقد ظفر العرب بهذا القطيف بين ماظفروا به من غنائم المدائن، وأثار مشكلة بينهم فكيف يوزعونه على الفاتحين وكيف يفرقونه فيـما بينهم؟ ولما عجزوا أرسلوه إلى عمر-رضى الله عنه-ليـرى رأيه فـيـه، ولم يكن عـمر أقل حـيـرة منهم فـجـمع الناس ليستشـيرهم فى أمر البساط، واستـقر الرأى أخيراً على تقطيعه وتقـسيمه بين الناس فأصـاب عليا قطعة منه باعهـا بعشرين ألفـا ولم تكن مع ذلك بأجود القطع[2].

ولذلك نرى العـرب الذين اتصلوا بالفـرس حاولوا تقليـدهم فى كل ذلك، وتعد الحيرة من أكـبر المستوطنات العربية التى تأثرت بـهذا الطراز العمارى، فاشتهرت بقصورها التى ضربت بها الأمـثال فى عظمتها مثل قصرى الخورنق والسدير ، واشتهـرت أيضا بأديرتها التى انتشرت بها مع انتشار المسـيحية بين سكانها.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت جـ ٢ ص ٤٤٦

(٢) الطبرى جـ ٤ ص ٢١ وما يليها.

ووصف قصور الحيرة من الموضوعات التى تبارى فيها الشعراء بقصائدهم، فأبدعوا فى وصفها، فتحدثنا المصادر والأشعار عن قصر الخورنق، والخورنق معرب خورنكَاه أو خورنكَه أو خورن، ومعناها مكان الأكل والشرب، إذ كانت الموائد تنصب فيه(١) . وقد بناه النعمان بن امرئ القيس المعرف بابن الشقيقة، وكان هذا القصر قائما بظاهر الحيرة على مسافة تبعد نحو ميل مما يلى الشرق(٢)، وقيل إن بانيه هو سنمار الرومى، فلما فرغ من بنائه تعجبوا من حسنه وإتقان صنعته، فأظهر لهم أنه قادر على بناء أعظم منه يدور مع الشمس حيثما دارت، إذا ما أوفوه أجره. فلما أيقن النعمان أنه يستطيع بناء ماهو أحسن منه أمر به فطرح من رأس الخورنق ، وضرب به المثل فى سوء الجزاء(٣) ، وفى ذلك قال عبدالعزى بن امرئ القيس الكلبى(٤):

جَزَانى جــزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزائـه ... جَزَاءَ سِنـمَّار وَمَا كَانَ ذَا ذَنْب

سوىَ رَصِّه الـبُنْيَانَ عشْريـنَ حجَّةً ... يُعَلى علـيـه بالقَرامـيـد والسَّكْب

فَلَمَّا رَأى الـبُنْيَانَ تَمَّ سُمُوقُه ... وآض كمثْل الطَّود ذي البـاذخ الصَّعب

وَظَنَّ سنـمَّارٌ بــه كُلَّ حَبْرَة ... وفَازَ لـدَيـه بـالَمودَّة وَالـقُرْب

فقال اقذفوا بالعلْج منْ فَوْق بُرْجه ... فـهـذَا لَعَمْرُ اللَّه منْ أعـجَب الخَطْب

(١) المعرب ص ١٢٦، شفاء الغليل ص ٧٦، معجم البلدان جـ ٢ صـ ٤٠١، مقال (تعليقات على بعض الإشارات الفارسية ص ٨٨ بمجلة كلية الآداب).

(٢) معجم البلدان جـ ٢ صـ ٣٢٨.

(٣) الطبرى جـ ٢ ص ٦٥ وما يليها، الحيوان جـ ١ ص ٢٣ ، بهجة المجالس جـ ٢ ص ١٦٩ ،النويرى جـ ١ ص ٣٨٦، جـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الأثير ج ١ ص ٤٠٠، جمهرة الأمثال ص ٨٠، الأمالى الشجرية جـ ١ ص ١٠١ وما يليها.

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٢٣ وما يليها، الأمالى الشجرية جـ ١ ص ١٠٢، الطبرى جـ ٢ ص ٦٦ وما يليها، ثمار القلوب ص ١٣٩ (وذكر أن الأبيات لشرحبيل الكلبى)، بلوغ الأرب للألوسي جـ ١ ص ٢٢٤، معجم البلدان جـ ٢ صـ ٤٠١ وما يليها، بهجة المجالس جـ ٢ صـ ١٢٩ (وذكر الأبيات بدون نسبة).

والدليل على روعة هذا القصر وحسن بنائه، أننا نجد المسلمين الذين استولوا على الحيرة، فى أثناء الفتح الإسلامى للعـراق، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من أبهـاء فسيحة، واتخـذه الخلفاء بعد ذلك موضعـا ينزلون فيه فى أثناء خروجهم للصـيد. ومع أنه لم يبق من هذا القصر شىء الآن عـلى مايظهر، إلا أن بقايا قبابه الضخمة وبعض عـمارته كان مازال شاخصاً حين مر به ابن بطوطة فى مطلع المائة الثامنة(١).

ويلى الخورنق فى الشهرة قصر السـدير، بل يقترن اسم السدير بالخورنق وهو من بناء النعمان بن الشـقيقة أيضاً، وقصر السديـر يقع قريباً من الخورنق فى وسط البريـة التى تتجه الـى الشام(٢)، والسدير لـفظة معربة مـن (سه دير) الفارسية بمعنى القبة التى تتداخل فـيها ثلاث قباب، ثم عربت إلى سدير(٣). ونظام القصر بقبابه الثلاث من الصدر من صميم نظام العمارة الحيرى، الذي أخذه أهلها عن طريق الفرس بحكم مجاورتهم وتبعيتهم لهم، ويعرف بطراز الجارى بكمين(٤).

ومن أشهر قصور الحيرة أيضًا قصر سنداد، وكان يقع فيما بين الحيرة والأبلة ، وذكر ابن الكلبى أنه كان منزلا لإياد(٥)، واشتهر هذا القصـر بكثرة شرفاته ، وذكر الأسود بن يعفر هذه القصور فى شعـره، وذكر أصحابهم وما كانوا فيه من نعمة وترف وجاه، يقول:(٦)

---

(١) بلدان الخلافـة الشرقيـة: كى لسترانج ص ١٠٢، نقله وعلق عليـه: بشير فـرنسيس ـ وكوركـيس عواد ـ مطبوعات المجمع العلمى العراقى ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٧٤ م

(٢) معجم البلدان ص ٣٢٨.

(٣) (دير) معناها بالفارسية (قبة) و(سه) بمعنـى (ثلاثة) ، وقد ذكر الجواليقى فى المعـرب ص ١٨٧ والخفاجى فى شفاء الغليل ص ١١٢ أن اللفظة معربة عن الفارسية أو الرومية وأصلها (سادل) أو (سه دلى) أو (سه دل).

(٤) معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٠١.

(٥) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٦٦.

(٦) المفضليات ص ٢١٧، وقيل إن سنداد: نهر أسفل الحيرة، وبارق : موضع فى سواد العراق .

مــــاذا أُؤمِّل ُ بَعْدَ آل مُحــــرِّق ... تَركُوا مَنــازِلَهُمْ وبــعــــــــدَ إيَاد
أَهْلِ الخَوَرْنَق والــسَّديــرِ وبـارق ... والــقَصْرِ ذى الـشُّرفَات مـن سِنْدَاد
أرضـــاً تَخَيَّرَها لِدَارِ أبيـــهُمُ ... كَعْبُ بـنُ مَامـــةَ وابـنُ أُمِّ دُؤَاد
جَرَت الرِّياحُ عـلى مكانِ ديـارهم ... فكأنَّمـا كـانوا عَلَى مِيـعـادِ
ولقـد غَنُوا فـيــهـا بأنْعَمِ عِيـشَةٍ ... فــى ظِلِّ مُلْكٍ ثابـتِ الأَوتـادِ

ومن أشـهر قـصور الحـيرة أيضـا العذيب، والعنبـر، والزوراء، والأبيض وقصر العدسيين، وقصر بنى بقيلة العباديين.

وكان أهل الحيرة يتخذون (إيواناً) فى قصورهم، يجعلونه موضعاً يجلسون فيـه عرف بالإيـوان الحيـرى، وكانوا يزخـرفون الجـدر باستـعمـال (الآجر) المزخرف، ويطلـون الجدر على الطريقة الـعراقيـة القديمة بطبـقة من (الجص) ليظهر أملس أبيـض، ويطلون الجدر الخارجيـة للبيوت بهـذه الطبقة، فـبدت مدينتهم وكأنها مدينة بيضاء، فقيل لها الحيرة البيضاء[1].

وتحدثنا المصادر والأشـعار عن (المشقّر) وهو حصن حيـاله حصن يقال له (الصفا) وبينهما نهر يقال له (محلم) وهو بمدينة هجر فى البحرين، ويقال إن بانيه رجل من أسـاورة كسرى يقال له (بسك بن مـاهبوذ) كان كسـرى وجهه لبنائه[2] . وقد تحدثنا عن المشـقر وما كان فيه من أحداث يـوم الصفقة وورد ذكره فى أشعـار الجاهليين، فنرى المخبّل السعـدى يذكر الموت وأنه لا عاصم للإنسان منه، فيقول[3]:

ولَئـــنْ بَنَيْتِ لِىَ الْمُشَقَّرَ فـــى ... هَضْبٍ تُقـــــصِّرُ دُونَهُ الـعُصْمُ
لـــتُنـــقِّبَن عَنِّى المــــنــيَّةُ إ (م) نَّ الــلَّه لــيــسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ

(١) جواد على جـ ٨ ص ٨٨.
(٢) الطبرى جـ ٢ صـ ١٧٠.
(٣) المفضليات ص ١١٨

وقد ورد ذكر هذا الحصن فى شعر لبيد بن ربيعة حيث قال (١) :

وأعْوضنَ بالدُّومىِّ من رأسى حِصْنهِ   وأَنْزَلْتَ بالأسبَابِ ربَّ المُشقَّرِ

وقد ذكر حميد بن ثور الهلالى حصنى المشقر والصفا فى قصيدة يرثى بها رجلا يقال له ابن عمير ، فقال:(٢)

لَقَدْ غادرَ المَوتُ قَبْلَ الصفَّا   وبَعْدَ المُشقَّر قَدْراً جَليلا
كَثيراً حَلاوةُ أخلاقه   شَديدَ المَرَارَة صَعْباً ذَلُولا
خَذَلْتَ الوَلِيَّ لِكأسِ الحِمامِ   ولَمْ تَكُ يا ابنَ عُمَيرِ خَذولا

ومن القصور الفخمة التى افتخر بها أصحابها فى الجاهلية هذا القصر الذى بناه راشد بن شهاب اليشكرى فى قرية (ثاج بالبحرين) وجعله ملجأ للخائف والمعدم، حيث يقول(٣):

بَنَيْتُ بثَاجٍ مجْدَلاً مِنْ حجارَة   لأَجْعلَهُ عزاً على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ
أشَمَّ طُوَالاً يَدْحَضُ الطَّيْرُ دونَهُ   لهُ جَنْدَلٌ ممَّا أعدَّتْ لهُ إرَم
ويأْوِى إليه المُسْتَجيرُ من الرَّدَى   ويَأْوى إليه المُستَعيضُ من العَدَمْ

وقد عرف الجاهليون الدسكرة ، وقد ذكر اللغويون أن أصلها فارسى ومعناها مدينة أو ضيعة كبيرة، وعرّفها بعضهم بأنها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم وخصصه بعضهم للملوك(٤) . ويظهر أن الجاهليين عرفوا هذه اللفظة بهذا المعنى بدليل ذكر علماء اللغة لها.

(١) ديوان لبيد ص ٥٦ ق ٨.
(٢) ديوان حميد ص ١٢٠.
(٣) المفضليات ص ٣٠٩.
(٤) اللسان جـ ٢ ص ١٣٧٥ (دسكر).

ولذلك نرى فن بناء القصـور فى الحيرة وما والاهـا تأثر تأثراً بالغا بالفن الساسانى، فـصار القصر رواقاً فى الوسط وهو مـجلس الملك، وهو الصدر وجناحين يكونان طرفى الرواق، مـيمنة وميـسرة، وقـد صار هذا الطراز من البناء سمة من سـمات قصور الحيرة، وكذلك تأثروا بطريقـة الفن الساسانى فى تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها[1].

فهذه الحضـارة العمارية زالت بزوال أصحابها، فقد هدمت قـصور الحيرة واستخدمت حجارتها وأنقاضها فى بناء مدينة الكوفة فى العصر الإسلامى.

فكان من عادة الملوك طمس آثار أسلافـهم، أو تغيير بعض معالمـها، فقد ذكر الجـاحظ أن «من شأن الملوك أن يطمسـوا على آثار من قبلهم وأن يميـتوا ذكر أعدائهم، فـقد هدموا لذلك السبب أكـثر المدن وأكثر الحـصون، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام. . .»[2].

لذا كان حـديث الأخبـاريين فى المصادر التى بين أيدى البـاحث عن هذه القصـور والمبانى حديثـا قاصرا يتـسم بالإيجاز المخل وأحـيانا بالاضطراب؛ لأنهم لم يعرفوا منها إلا أسماء حفظوها عن أسـلافهم مجهولة بالنسبة لهم. ومع ذلك يمكننا أن نتـعرف حيـاة أصحـاب هذه القصور والبـيوت ومـا كان يحدث بداخلها من خلال الشعر الجاهلى الذى وصل إلينا.

مجالس الغناء والشراب.

كانت قصور الحيرة وبيوت الأشراف فى الجاهلية تموج بالقيان اللائى يلهين سادتهم فى مجالس أنسهم، ويطربنهم إذا خلوا إلى أهليهم وذويهم، وكذلك كانت الحانات والمواخير تموج بعـدد هائل منهن حيث كانت كؤوس الشراب وغناؤهن يضرم فى رواد هذه القصور والحانات سعار الجسد وتثير فيهم غرامًا متلظيًا يؤجج وقدته ماكان يصطنعـه أولئك القيان من أزياء فى اللباس تكشف عن مفاتن الجسد، ومن حركات وإشارات مغوية مغرية.

(١) جواد على جـ ٣ صـ ٣٠٣.

(٢) الحيوان جـ١ صـ ٧٣.

وقد صور لنا الشعر الجاهلى هذه الصورة المترفة، فنرى طرفة بن العبد يداوم على الجلوس فى حوانيت الخمارين ، فذكر أنه صاحب شرب ولهو، إلى جانب أنه صاحب رأى وشرف ، يقول[١]:

وَإنْ تَبْغِنِى في حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِى   وَإنْ تَقْتَنِصْنِى فِى الحَوانِيتِ تَصْطَدِ

ثم يصف لنا مجلس الشراب الذى تنتقل فيه القينة من مكان لآخر تلبس الثياب الموشاة والمصبوغة بأجمل الألوان، المفتقة الأكمام، لإدخال الندامى أيديهم في جيبها للمسها، وهذه القينة بيضاء ناعمة رقيقة الجلد، إذا تجردت من ثيابها، وهى تستجيب إذا طلب منها الغناء، غنَّت علي الفور فى تؤدة ومهل مع طرف فاتر ونغمة هادئة جميلة، وهذا دأب الشاعر طول حياته، يداوم على شرب الخمر حتى أنفق كل ماعنده على لذاته لدرجة أن قومه اجتنبوه وابتعدوا عنه كما يبتعد الصحيح عن الأجرب خوف العدوى ، يقول طرفة في شعره[٢] :

نَدَامَاىَ بيضٌ كالنُّجومِ وقَيْنَةٌ   تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ
رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ   بَجِسِّ النَّدَامى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ
إذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا انْبَرَتْ لَنَا   عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوفَةً لَمْ تَشَدَّدِ
وَمَازَال تَشْرابِى الخُمُورَ ولَذَّتِى   وَبَيْعِى وَإنْفَاقِى طَرِيفِى وَمُتْلَدِى
إلَى أنْ تَحامَتْنِى العَشِيرةُ كُلُّها   وأُفْرِدْتُ إفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ

وقريب من هذا الوصف، بل يكاد يكون هو نفسه قول الأعشى:[٣]

---

(١) ديوان طرفة صـ ٤٦.
(٢) ديوان طرفة صـ٤٧ وما يليها.
(٣) ديوان الأعشى ق ٣٣ صـ ٢٦٩.

وَقَدْ أَقْطَعُ اليَوْمَ الطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ — مَسَامِيحَ تُسْقَى وَالخِبَاءُ مُرَوَّقُ
وَرَادِعَةٍ بِالمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا — لِجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ
إِذَا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ — يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ الكَفُّ يَنْطِقُ
وَشَاوٍ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٌ بِمِسْعَرٍ — وَصَهْبَاءُ مِزْبَادٌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ
تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْوَ دُونَهُ — إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

ونلاحظ أن هذا الفتق الذى تفتقه القينة فى كمها إلى رُفْغها لجس الندامى لها أوضح وأصرح فى أبيات الأعشى منه فى أبيات طرفة.

وكانت القيان فارسيات وروميات ومن جنسيات أخرى مختلفة يغنين الشعر العربى بألحان فارسية أو رومية، فيؤثر فى النفوس تأثيرا عجيبا، وقد ذكر الأعشى منهن التركيات والكابليات، فقال: (١)

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الخَمْرَ تَرْ — كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ

ويصف أيضا القيان وهن يختلن فى أكسية الحرير المختلفة الألوان، يقول: (٢)

والبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الإِضْ — رِيجِ والشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَالِ

ويصف الحانة وما تموج به من نساء ضخام يجررن ذيول الريط رافلات وكأن على أرادفهن قربا صغيرة ترج بما فيها من الماء، يقول: (٣)

والسَّاحِبَاتُ ذُيُولَ الخَزِّ آوِنَةً — والرَّافِلاتُ عَلَى أَعْجَازِهَا الْعِجَلُ

(١) ديوان الأعشى ق ٧٦ صـ ٣٩٧، و(كابل) اسم بلد فارسى انظر المعرب صـ٢٩٣.
(٢) ديوانه ق١ صـ ٥٩.
(٣) نفسه ق ٦ صـ ١٠٩.

ويصف لنا ابن عـسلة مجلس شـراب، وقد أخـذت حميـا الكأس برجل اسمـه كعب من قبيلة النمـر بن قاسط، فدفـعته إلى أن يأتى منكرا استـهجنه الشاعر، فقال: (١)

يَا كَعْبُ إنَّكَ لَوْ قَصـــــرْتَ عَلَى — حُسْنِ الـــــنِّدامِ وقِلَّة الجُرْمِ
وسَمَـــــاعِ مُــدْجنَة تُعَلِّلُنَـا — حَتَّى نَؤُوبَ تَنـــاوُمَ الــــعُجْمِ
لَصَحَــــوْتَ والنَّمَرِىُّ يَحْسِبُهَا — عَمَّ السِّمَـــاكِ وخـــالَةَ النَّجْمِ
هَلْهِلْ لكَعْبٍ بعــــدَ مـــا وَقَعتْ — فَوْقَ الْجَبِين بِمِعْصَمٍ فَعْمِ
جَسَدٌ به نَضْحُ الدّمـــــاء كَمَا — قَنَأَتْ أَنَامِلُ قَاطفِ الْكَرْمِ
والخَـــمْـــرُ لَيْسَتْ مِنْ أخـــيكَ ولَـ — ـكـــنْ قَدْ تَخُونُ بـــآمِنِ الحِلْمِ

وفى قصيدة لعبدة بن الطبيب وصف مفصل لمجلس شراب فى إحدى هذه الحانات التى يغـدو إليها عند انشقـاق الصبح، ثم يسهب إسـهاباً فى وصف مناظر الحانة، الساقى والفراش والصور والنقـوش والخمر والقينة التى تغنيهم وتلهيهم بغنائها، يقول: (٢)

وَقَـــد غَدَوْتُ وَقَرْنُ الشَّمْسِ مُنْفَتِقٌ — ودُونَهُ من سَوَادِ الــلَّيْـــلِ تَجـلِيـــلُ
إذْ أشرف الدِّيكُ يَدْعُو بعضَ أُسْرَتِه — لَدَى الـصَّبَاحِ وهـــم قَوْمٌ مَعَازِيــلُ
إلَى الـتِّجَارِ فــــــأعْدَانى بلَذَّتِه — رِخْوُ الإزَارِ كَصَدْرِ الـسَّيْفِ مَشْمُولُ
خِرْقٌ يَجِدُّ إذَا مـــــا الأمْرُ جَدَّ بِه — مُخَالِطُ الـــلَّهْو والـلَّذَات ضِلِّيـــلُ

---

(١) المفضليات صـ٢٧٩.
(٢) نفسه صـ ١٤٣ وما يليها.

حـــتَّى اتَّكأْنَا عـلى فُرْشٍ يُزَيِّنُهـــا ... من جَيِّد الـــرَّقْم أزْوَاجٌ تَهَاوِيـــلُ
فيها الـدَّجَاجُ وفيها الأُسْدُ مُخْدرَةً ... مِنْ كلِّ شَىء يُرَى فـيــهـا تَمَاثِيلُ
فـــى كَعْبَة شَادَهـــا بَان وزَيّنـــهَا ... فـيـــهـا ذُبَالٌ يُضــىءُ اللَّيلَ مَفْتُولُ
لَنَا أَصِيصٌ كــجذْم الحَوْضِ هَدَّمَهُ ... وَطْءُ الـــعِرَاك، لَدَيْه الـــزِّقُّ مَغْلُولُ
والـــــكُوبُ أَزْهَرُ مَعْصُوبٌ بِقُلَّته ... فَوْق الـــسِّيَاع مِنَ الـرَّيْحَان إكلــيـلُ
مُبَرَّدٌ بمِزَاجِ الماء بـيـنـهــــمــــا ... حُبٌّ كَجَوْز حمَارِ الـوحْشِ مَبْزُولُ
والـــكُوبُ مَلآنُ طـــاف فَوْقَهُ زَبَدٌ ... وطَابَقُ الـكَبْشِ فى الـسَّفُّود مَخْلُولُ
يَسْعَى به منْصَفٌ عَجْلانُ مُنْتَطقٌ ... فَوْقَ الخُوان وفـى الصَّاعِ الـتَّوابيــلُ
ثمّ اصْطَبَحْتُ كُمَيْتـاً قَرْقَفـــاً أُنُفـاً ... من طيّب الـرَّاحِ، واللَّذَّاتُ تَعْليــلُ
صرْفـــاً مزَاجـاً، وأَحْيـــاناً يُعَلِّلُنَا ... شعْرٌ كَمُذْهَبَة الـــــسَّمَّان مَحْمُولُ
تُذْرى حَوَاشيَهُ جَيْدَاءُ آنسَةٌ ... فى صَوتهـا لسَمـــاعِ الشَّرْب تَرْتيلُ
تَغْدُو عـلَيـنـا تُلَـهِّينَا ونُصفْدُهـا ... تُلْقَى البُرُودُ عليــهـــا والسَّرَابيلُ

ويصور لنا الأعـشى الحانة التى كان يغـشاها هو وأصحـابه، وقد تناثرت فيها قضب الريحان يتنازعها الندمان، وهم يتناقلون كؤوسا لا تجف؛ لأنهم لا يتوقفـون عن الشرب إلا ريثما ينادون: هات ؛ يطوف عليهم سـاق نشيط قد شمـر أسفل قميـصه لئلا يعوقـه عن الحركة، وعلق فى أذنيـه لؤلؤتين، وقد نشطت القيان للغناء على نغمات العود وجرس الصنج ، يقول: (١)

فى فِتْيَة كَسُيُوف الهنْد قـــد عَلمُوا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عن ذى الحيـلَة الحِيَلُ
نازَعْتُهُمْ قُضُبَ الـرَّيْحَانِ مُتَّكئــاً ... وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ

(١) ديوان الأعشى ق ٦ صـ ١٠٩ .

لا يَسْتَفِيـقُونَ منْهَا - وَهْيَ رَاهِنَةٌ- إلا بِهَاتِ، وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهَلُوا
يَسْعى بهـا ذُو زُجَاجَات له نُطَفٌ مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَال مُعْتَمِلُ
ومُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يُسْمِعُهُ إِذَا تُرَجِّعُ فِيه القَيْنَةُ الفُضُلُ

فمظاهر الترف والحضارة واضحة تتمثل فى تلك العناية بإعداد المجالس التى نلمس من خلالها الذوق الفنى المترف، وكأنه يضفى عليها غلالة من السحر والروعة، فينتقل الأعشى فى قصيدة أخرى لوصف مغاير لوصفه السابق فهو يصف مجلس الخمر، وما يحيطه من أزهار ورياحين وغناء، فيجلو لنا صورة من بيئات الخمر الفارسية المترفة فى العراق، ويعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب، التى لم يعرفها العرب، بأسمائها الفارسية من جلسان وبنفسج وسيسنبر ومرزجوش وآس وخيرى ومرو وسوسن وشاهسفرم وياسمين ونرجس ليرينا أنه قد عرفها وخبرها، وقد شرب الأعشى الخمر ومن حوله هذه الألوان المنمقة من الرياحين فى عيد (الهنزمن) (١) حتى تعتقه السكر، وشربها فى كل يوم غائم حين يجلو الشراب، فى وجوه الرطيب المثير، وشربها على نغمات (الون) (والبربط) يصحبها أنغام (الصنج) الصدام ومن حوله ندماء ظرفاء، صفت قلوبهم، وتألفت نفوسهم، وكلهم يجله ويعظمه ، يقول: (٢)

لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَهَا وبَنَفْسَجٌ وَسِيسنبرٌ وَالمرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا
وآسٌ وَخِيرِىٌ وَمَرْوٌ وَسَوْسَنٌ إذَا كَانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا
وَشَاهَسْفَرَمْ وَالياسَمِينُ ونَرجِسٌ يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغَيَّمَا

---

(١) الهنزمن: عيد من أعياد النصارى أو سائر العجم، واللفظة غير عربية (اللسان جـ٦ صـ ٤٧١١). واغلب الظن أنها مأخوذة من (انجمن) الفارسية وهى بمعنى جماعة من الناس .
(٢) ديوان الأعشى ق ٥٥ صـ ٣٤٣.

وَمُسْتَقٌ سنـــــــين ووَنٌّ وبَرْبَطٌ يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إذَا مَا تَرَنَّمَا
وَفِتْيَانُ صِدقٍ لا ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ وَقَدْ جَعَلُونى فَيْسَحَاهَــا مُكَـــرَّمَا

فالخمارات كانت متنشـرة فى كل مكان ولاسيما على الطرقات حيث ينزل بها المسافرون للاستراحة واستعادة النشاط بعد النصب، وأصحابها نصارى أو يهـود فى الغالب، وفـدوا من الخارج للتكسب والعـيش فامـتهنوا مـهنة بيع الخمر، وإسقائها للناس، يقول الأعشى: (١)

وَصَهْبَاءَ طَـــافَ يَهُـــودِيُّـــهَا وأبْرَزَهَـــا وَعَلَيْهـــــَا خَتَمْ
وَقَابَلَـهَا الرّيحُ فِى دَنِّهــــــا وَصَلَّى عـــلـــى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ

وفى هذا المعنى يقول المرقش الأصغر: (٢)

سَبَاها رِجـالٌ مِنْ يَهُودٍ تَبَاعَدُوا لجِيـلانَ يُدْنِيــهـا من السُّوقِ مُرْبِحُ

واستـعمل الجـاهليون أوانى الشـرب المصنوعة من الزجـاج والبللور ومن الذهب والفضة، واستعملوا أوانى أخرى تتناسب مع منزلة الشارب ومكانته، فقد استعمل عبد الله بن جدعان الأوانى المصنوعة من الذهب فى شربه حتى ضرب به المثل فـقيل: «أقـرى من حاسى الذهب» (٣)، وعرف بـ (حاسى الذهب) وشرب غيره من أصحاب الثراء فى أوان أثمانها غالية استوردوها من الخارج ، فقال عبيد بن الأبرص يصف ريق محبوبته: (٤)

---

(١) ديوان الأعشى ق ٤ صـ ٨٥.
(٢) المفضليات صـ ٢٤٢.
(٣) بلوغ الأرب للألوسى جـ١ صـ ٨٨.
(٤) ديوان عبيد ق ١٠ صـ ٢٩ وما يليها.

إذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ: طَعْمُ مُدَامَةٍ مُشَعْشَعَةٍ تُرْخِى الإزَارَ قَدِيحُ
بِمَاءِ سَحَابٍ مِنْ أبَــارِيــقِ فَضَّةٍ لَهَا ثَمَنٌ فِى الْبَائِعِينَ رَبِــــيحُ

ويذكر الأعـشى الخمار وهو يجـول عليهم بإبريقه وقـد تخضبت كـفه بما يحمل من خمر حمراء، يقول: (١)

فَجَــالَ عَلَيْنَا بِإبْـــرِيـــقِهِ مُخَـــضَّبُ كَـــفٍّ بِفِـــرْصَادِهَا

ويذكر عدى بن زيد بيت الخمار المبنى بالدنان المكسورة والمظلل بالخصف، وهذا البيت فى أرض السواد به دواخيل التمر وأباريق الخمر، يقول: (٢)

يَا لَيْت شِعْرِى وأَنَا ذو عَجَّةٍ مَتَى أَرَى شُرْباً حَوَالَـىَّ أَصِـــيْصُ
بَيْتٌ جَلُوفٌ بَارِدٌ ظِلـــــهُ فِيهِ ظَبَاءٌ ودَواخِيـــلٌ خُوصُ

ويذكر الأعشى كئوس الخمر وآنية الفضة، يقول: (٣)

والمَـكَاكِيكَ والـصِّحَافَ مِنْ الْفِضَّـــــةِ والـضَامِزَاتِ تَحْتَ الـرِّجَالِ

ونرى حسان بن ثابت فى جاهليته يذهب إلى الحانة مع صحبة من الندمان ليشربوا الخمر المعتقة الصافيـة، ويستمتعوا بلذة اللهو والاستماع إلى الغناء، يقول: (٤)

---

(١) ديوان الأعشى ق ٨ صـ ١٢١.
(٢) ديوان عدى صـ ٧٠، المعانى الكبير صـ ٤٤٨ وما يليها.
(٣) ديوان الأعشى ق١ صـ ٥٩.
(٤) ديوان حسان ق ٢٨٨ صـ ٣٣٥ وما يليها.

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلى الْحَانُوت يَصْحَبُنِى ... مِنْ عَاتِقٍ مِـثلِ عَيْنِ الدِّيك شَعْشَاعِ
تَغْـدُو عَلَـىَّ وَنُـدْمَانِى لِمـرْفَقه ... تقـضى اللَّذاذَة مِنْ لَهْـوٍ وإسْمَاعِ
إِذَا نَشَاءُ دَعَـونَاهُ فَـصَبَّ لَنَا ... مِنْ فَرْغِ مُنْتَفِخ الْحَيْزومِ رَكَّاعِ

ونرى أيضا لبيد بن ربيعة فى معلقته يصف لنا الحانة وخمرها وقينها وآلة غنائها، يقول: (١)

بَلْ أَنْت لا تَدْريـن كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... طَلْقٍ لَذِيـذٍ لَهْوُهَا ونَدَامُهـا
قَد بِتُّ سَامِرُها، وَغَايـةَ تَاجـرٍ ... وافَـيتُ إِذْ رُفِعَتْ وعـزَّ مُدَامُهـا
أُغْلِى الـسِّبَاءَ بِكـلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ ... أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهـا
وَصَبُـوحِ صَافِيـةٍ وَجَذْبِ كَرِينةٍ ... بِمُوتَّرٍ تأْتَـالُهُ إِبـهـامـهـا

كما نرى امرأ القيس يذكر القينة التى تضرب بالعود وتحرك أوتاره بيديها، فتظهر فى صوته بحة، يقول (٢) :

وإنْ أُمْسِ مَكْرُوبًا فـيـارُبَّ قَـيْنة ... مُنَعَّمـة أَعْمَلْتُهـا بكران
لَهـا مِزْهَرٌ يَعْلُو الْخَمِـيسَ بِصَوتِه ... أَجَشُّ إِذَا مَا حَرَّكَتْهُ الْيَدَانِ

ويقترب الأعشى أحيانا فى وصفه لمجالس الخمر من ذوق جماعة المجان فى العصر العباسى أمثال أبى نواس، فنحس إلى جانب سهولة اللفظ والمقابلة بين المعانى أثر رقة الذوق بتأثير الحضارة التى ألم بها فى الحيرة وغيرها، فهو لم يكن يحسن وصف الخمر فحسب بل كان يضيف إلى هذا

(١) ديوان لبيد ق ٤٨ صـ ٣١٣ وما يليها.
(٢) ديوان امرئ القيس صـ ٨٦.

الوصف القصصى الذى يضفى على شعره حيـوية قلما نجدها عند معاصريه . فيعرض علينا ما كان بينه وبين الخمـار فى أسلوب قصصى رائع يفيض بالحياة والحركة، حـيث يصور الخمـار علجا غير عـربى، فيصفـه بأنه أزرق العينين ويسمـيه حـداداً، وكأنه حارس يذود النـاس عن هذا الكنز الثمين من الخـمر المختار من كـبار القطاف، وقد احتوته خـابية ضخمـة سوداء طليت بالقار، وضمنت جودتها أن لا تكسد عنده فهو ضنـين بها، يساوم فى ثمنها مغاليا، وينظر الشاعر إلى هذه الخـابية الضخمة فيـقول للخمار مشيـرا إليها (هذه - هاتها) ما أريد غيرها، وخذ فيها ما شئت، ويبذل له فى ثمنها ناقة بيضاء فى حبل عبدها القائم على خدمتـها. ولكن الخمار يتلكأ فى إجابتهم، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمر، فيقول: بل تزيدوننى فوقها تسعة، وما أراكم توفون ثمنها بشىء فيقـول الأعشى للخادم - وهو على شوق وعجل، يضن بالوقت أن يضـيع فى هذه المساومة الممـلة - اعطه ما يريد، وينتظر الخـمار، حتى إذا رأى الخـادم يخرج المال، أضاء خبـاءه الكبير بالسـراج، وقد تدلت هدبة يغمرها الظلام، وراح ينقـد الدراهم، قبل أن يبذل خمره، فـيصيح به الشاعر متعجلا إن دراهمنا كلها جيـدة فلا تظن أنها مزيفة، ثم يعمد الخمار إلى الدن، ويصب لهم خـمراً تتـمشى نشـوتها في المفـاصل فترعـدها، ثم تستـسلم للذتها فتـسكن هامدة فاترة، تبـدو حين تبذل سوداء، فـإذا مزجت بالماء وسكنت بعد إزبادها تكشفت عن لون أحمر جميل فهى تبدو فى أسفل الدن إذا أماله ليصب منه بعد أن طال تعوده، وقد تناقصت حتى اجتمعت فى أسفله، كأنها حوصلة النعام ويجول عليهم الخـمار بإبريقه، وقدتخضبت كفه بما يحمل من خمر حمراء ولا يزالون يشربون حـنى ينفذوا خمر الخمارة قبل أن يستـأنفوا سـفرهم على ركـابهم وخيلهم وقـد حبـسوا ركابهم بـأكوراها

وخيلهم بألبادها على باب الخباء، ثم مضوا بها تستخفهم النشوة، وتثور بهم جائرة بعد أن أصابت منهم مقتلا، يقول: (١)

تـنخَّلَهـــــــا مِنْ بِكَارِ الْقطَاف ... أُزَيْـــــرِقُ آمِـــــنُ إكْسَادِهَـــــا
فَقُلْنَا لَـــــهُ هَـــــذِه هَـــــاتِهَا ... بـــــأَدْمَاءَ فـــــى حَبْلِ مُقْتَادِهـــــا
فَقَـــــالَ تَزِيدُونَنِى تِسْـــــعَةً ... ولَيْسَتْ بِعَدْلٍ لأَنْدَادِهـــــا
فَقُـــــلْتُ لِمُنْصِفِنَـــــا أَعْطِـــــه ... فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شُهَّادِهـــــا
أَضَاءَ مِظَلَّتَه بـــــالـــــسِّرَاَ ... جِ والـــــلَّيْلُ غَـــــامِرُ جُـــــدَّادِهَا
دَرَاهِمُنَا كُلُّهـــــا جَيِّـــــدٌ ... فَـــــلا تَحْبِسُنَّا بِتَنْقَـــــادِهَا
فَقَـــــامَ فَصَبَّ لَنَـــــا قَهْـــــوَةً ... تُسَكِّنُنَا بَعْـــــدَ إرْعَـــــادِهَا
كُمَيْتـــــاً تَكَشَّفَ عَنْ حُمْرَةٍ ... إذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إزْبَادِهَا
كَحَوْصَلَـــــة الـــــرَّأْلِ فـــــى دَنِّهَا ... إذا صُوِّبَتْ بَعْدَ إقْعَادِهـــــا
فَجَـــــالَ عَلَيْنَـــــا بـــــإبْرِيـــــقه ... مُخَضَّبُ كَفٍّ بـــــفِرْصَادِهـــــا
فَبَاتَتْ رِكَابٌ بـــــأكْوَارِهـــــا ... لَدَيْنَا وخَيْلٌ بـــــألْبَادِهـــــا
لِقَوْمٍ فَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِيـــــن ... شَرَابَـــــهُمُ قَبْـــــلَ إنْفَـــــاذِهَا
فَرُحْنَا تُنَعِّمُنَـــــا نَشْوَةٌ ... تجـــــورُ بِنَا بَعْدَ إقْصَادِهـــــا

فهذه الأبيات لولا ذكر الرحال والألباد فى نهايتها لما اختلفت عن خمريات العباسيين فى شىء، فتأثير الحياة الحضارية التى عاشها الأعشى واضح فى أسلوبها وصورها ومعانيها.

ويصف لنا الأعشى فى قصائد أخرى مجالس الغناء والشراب التى يبكِّر إليها الندامى ليشربوا ناعمين، ويصف المغنى وهو فى هذا المجلس من

(١) ديوان الأعشى ق ٨ صـ ١١٩ وما يليها.

الرجال يرفع صوته بالغناء كلما هتف به الرفاق أن يسمعهم، ويصاحب غناءه العود فيختلط صوته بأنغامه بين رقيق وأجش، وهذا المجلس يموج بالشباب المنعمين الذين لا يبخلون بالمال، ثم يصورهم وقد أخذت الخمر بألبابهم، وتمددوا على الأرض، وكأنهم حبال متشابكة قد نصبت لصيد القرود، فهذا مقلوب قد صرعته الخمر لوجهه، وذاك قد خذلته رجله فهو يجرها وما هو بكسيح، وهذه الحانة تموج بنساء طوال ضخام، ناعمات، ولم يفسد جمالهن الكد، ولم يذهب به الهوان، كأنهن تماثيل قد ألبست حللاً وعريت منها البطون ، يقول :(١)

وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نُدْمَانِهَا ... وَغَدا عِنْدِى عَلَيْهَا واصْطَبِحْ
وَمُغَنٍ كُلَّمَا قِيلَ لَهُ ... أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى فَصَدَحْ
وَثَنِى الْكَفَّ عَلَى ذِى عَتَبٍ ... يَصِلُ الْصَوْتَ بِذِى زِيرٍ أَبَحْ
فِى شَبَابٍ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى ... ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِم والْفَرَحْ
رُجُحُ الأَحْلامِ فِى مَجْلِسِهِم ... كُلَّمَا كَلْبٌ مِن النَّاسِ نَبَحْ
لا يَشحُّونَ عَلَى الْمَالِ وَمَا ... عُوِّدُوا فِى الْحىِّ تِصْرَارَ اللِّقَحْ
فَتَرى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلَّهُم ... مِثْلَ مَا مُدَّتْ نُصَاحَاتُ الرُّبُحْ
بَيْنَ مَغْلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ ... وَخَذُولِ الرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحْ
وَشَقَامِيمَ جِسَامٍ بُدنٍ ... نَاعِمَاتٍ مِنْ هَوَانٍ لَمْ تُلَحْ
كَالتَّمَاثِيلِ عَلَيْهَا حُلَلٌ ... مَا يُوَارِينَ بُطُونَ الْمُكْتَشَحْ

ولقد غلب على حياة الأعشى الطابع اللاهى العابث القائم على التمتع بالنساء والخمر والقيان، وهذه الحياة جعلته يكثر من البحور القصيرة

(١) ديوان الأعشى ق ٣٦ صـ ٢٩٣ وما يليها.

والراقصة، سـواء منها التام أو المجزوء، ولاشك أنه كان من الطبيـعى لشاعر كالأعشى، كان يرتاد الحانات، ويخالط فيها القيان ويتعشق بعضهن، ويستمع لغنائهن، ويرى رقصهن، أن يتـأثر شعره بهذه العوامل، فيجـىء كثير منه فى هذه البحور الموسيقية الراقصة. [1]

وللأعشى قصيدة أخرى يفرغ فيها لنفسه يصور لهوه ومجونه ويذكر المغنين وآلاتهم وسامعـيهم ويصف مجلس الشـراب. وقد وقعت القصيـدة فى بحر الرمل وظهر فـيها الجـرس الموسيقى بوضـوح فى هذا الروى الساكن وقافـية النون إلى جانب ما تحـمله الألفاظ من وقع موسيقـى يؤثر على السامعين، يقول: [2]

وَعَـلالٍ وَظِـلالٍ بَـارِدٍ ... وَفَلِيج الْمسْك والشَّاهسـفَرَنْ
وَطَلاءٍ خُسْرُوانـىّ إذا ... ذَاقَهُ الـشَّيْـخُ تَغَنَّى وأرْجَحَنْ
وطَنَابِيـرَ حسَان صَوْتُهـا ... عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّما مُسَّ أَرَنْ
وإذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ ... عَزَفَ الـصَّنْجُ فَنـادَى صَوْتُ وَنْ
وإذا مَا غُصَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا ... وأَطَـاعَ اللّحْنُ غَنَّانَـا مُغَـنْ
وإذا الـدَّنُّ شَرَبْنَـا صَفْـوهُ ... أَمَـرُوا عَمْـراً فَنَـاجَوْهُ بِدَنْ
بِمَتَالِـيـفَ أَهَانُوا مَالَهُم ... لِغَنَـاء وَلِلـعْبِ وأَذَنْ
فَتَرى إبْرِيـقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا ... بِشَمُول صُفِّقَـتْ مِـنْ مَاءِ شَـنْ
غُدْوَةً حَتَّى يَمِـيلُوا أُصُلاً ... مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَـابِ الْوَسَنْ
ثُمَّ راحُوا مَغْرِبَ الـشَّمْـسِ إِلـى ... قُطُفِ الْمَشْىِ قَلِيـلاتِ الْحَزَنْ

(١) القيان والغناء - ناصر الدين الأسد صـ٢٤٦.
(٢) ديوانه ق ٧٨ صـ ٤٠٧ وما يليها.

مظاهر حضارية أخرى .

وفى غير مجالس الغناء والخمر نرى صوراً من مظاهر الترف والحضارة تتمثل فى بعض العادات التى أخذها الجاهليون عن الفرس، فالأعشى عندما يصف محبوبته يصفها بأنها امرأة متحضرة ثيابها الظاهرة من الخز وقميصها من تحته حرير، وهى مترفة ظاهرة الثراء، تتزين بالحلي من كريم الأحجار ونفيسها، فهى قلدت معصمها الأساور المنضدة بالدر من فوقه الزبرجد والياقوت، فهى تلفت الناظر إليها عندما تحرك يديها فى دل فتلمع الحلى فى معاصمها، يقول: [1]

تــــــــرىٰ الخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِراً ... وَتُبْطِنُ منْ دُون ذَاكَ الحَريـــــرَا
إذا قَلَّدَتْ معْصَمـــــــاً يَارِقَيْــــ ... ـــن فُصِّلَ بالدُّرِّ فَصْلا نَضيـــرَا
وَجَـــــلَّ زَبَرْجَـــدَهُ فَـــوْقَهُ ... وَيَاقُوتَهُ خلْتَ شَيْئـــاً نَكيـــرَا
فَأَلْوَتْ بِهِ طَارَ مِنْكَ الــــــفُؤادُ ... وَأَلْفـــيتَ حَيْرَانَ أَوْ مُسْتَحيـــرَا

فقد كانت ملابس العرب تختلف باختلاف منازلهم ودرجاتهم، فللشرفاء والوجهاء وأهل المدن والقرى لبس خاص يميزهم عن غيرهم من الطبقات الدنيا، كما كان الأعراب يتميزون أيضا بطريقة لبسهم عن أهل المدن والقرى، فهم كانوا يختلفون فى ألبستهم بحسب اختلاف أمكنتهم، ودرجة اتصالهم واختلاطهم بالأعاجم، وتأثر عرب العراق بألبسة الفرس وبنى إرم فأخذوا منهم ذلك.

فنجدهم يستخدمون أسماء معرّبة لملابسهم منها الديابوز والدخدار

(١)ديوانه ق ١٢ صـ ١٤٥.

والجودياء، والخسرواني، وقد تحدثنا عنها فيما سبق، ومنها أيضا (الدخريص) وأصلها فارسي وتعني البنيقة واللبنة. [1] وقد وردت في شعر الأعشى حيث يقول: [2]

قَوَافِي أَمْثَالاً يُوسِّعْنَ جِلْدهُ   كَمَا زِدْتَ فِي عَرْضِ القَمِيصِ الدَّخَارِصَا

والمرأة الحضرية أكثر تفننا واعتناء بنفسها من الأعرابية، فلها من أمور الزينة ما لا تعرفه الأعرابيات، فقد تأثرن بالأعجميات وأخذن عنهن بعض الملابس وأدوات الزينة، والطيب والحلي، وكانت الأسورة من أدوات زينتهن، وهي لفظة معربة عن الفارسية ووردت في شعر الجاهليين بمعنى الحلي والزينة، يقول حميد بن ثور الهلالي: [3]

يَطُفْنَ بـه رَأْدَ الـضُّحَى ويَنُشْنَه   بأَيْدٍ تَرَى الإِسوارَ فيهنَّ أَعْجَما

ويصف أيضا نساءً كُنَّ على سفر، لما ارتحلن ولوين فضول أزمَّة جمالهنَّ على معاصمهنَّ أسجدت الجمال لهنَّ وطأطأت رؤوسها ليركبنها، يقول: [4]

فَلَمَّا لَوَيْنَ علـى مِعْصَمٍ   وكـفٌّ خَضِيبٍ وأُسْوَارِهَا
فُضُولَ أزِمَّتِهَا أَسْجَدَتْ   سُجُودَ النَّصَارَى لأَحْبَارِهَا

كما كان بعض المحاربين يستعملون الأساور ويتباهون بها في الحرب.

---

(١) المعرب صـ ١٤٣، وما يليها.
(٢) ديوانه ق ١٩ صـ ٢٠١.
(٣) ديوان حميد صـ ٣١، ينشنه: أي يتناوله.
(٤) نفسه صـ ٩٦.

وكذلك استخدم عرب الجاهلية الأوانى المصنوعة من الفضة والذهب، كما كان يصنـع الملوك، فالنابغـة الذبيانى، مـا كان يأكل ويشرب إلا فـى آنية من الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك. (١)

وقد ذكر صاحب العـقد الفريد فى رواية للأصمعى أن أبا سـفيان وفد إلى كسرى وخرج من عنده ومعه ثمانمائة إناء من فضة وذهب. (٢) وإن كان ذلك صحيحاً فلابد أنه استعملها هو وأشراف مكة وأهل بيته.

كمـا استـخدم عـرب الجاهلية الأثريـاء والملوك الخدم والحشم فـى تقديم الأطعمة والأشربة كما كان يفعل ملوك الفرس والروم وسراتهما ، كما مر بنا فى أبيات عدى بن زيد التى ذكر فيها النسـتق، وكانوا يكسون خدمهم أكسية خاصة نظيفة، ويلبسونهم سراويل معتملة، كذلك فعل ملوك العرب وسراتهم بخدمهم ولاسيما عرب العراق وبلاد الشام.

وقد قرطوا آذانهم بالنطف (الأقراط) أحياناً مبالغة فى تزيينهم، حتى يعطى جو المأدبة والضيافة لوناً خاصاً، فـإذا قدَّم شيئاً وضع المنديل أو الديباجة على كتفـه ووضع تحت ما يقدمه شـيئاً، ثم يقدمـه للضيوف. (٣) وفى ذلك قـول حسان بن ثابت: (٤)

وذِى نَطَفٍ يَسْعَى مُلَـصَّقَ خَدِّهِ ... بديبـاجـةٍ تكفَافُهـا قَدْ تَقَدَّدَا

وكان الفـرس أكثر تفننا وتقدمـاً فى الحياة البيـتية من العرب، فـتفننوا فى

---

(١) الألوسى جـ ٣ صـ ٢١، خـزانة الأدب جـ٢ صـ ٤٤٩، العمـدة جـ١ صـ ٨٠ (وأغلب الظن أنه لم يعاصر والد النعمان ولا جده).
(٢) العقد الفريد جـ٢ صـ ٢١ وما يليها.
(٣) جواد على جـ٥ صـ ٦٤.
(٤)ديوانه ق ٤٠ صـ ١٥٢.

المأكل والملبس، وتنوعوا فى المطبخ، وافـتنوا فى تنويع الأكل، وأوجدوا لكل طعام اسما لم تعرفه العرب، وباحـتكاك العرب بهم اقتبسوا منهم بعض تلك المأكولات لاستساغتـهم لها واستـحسانهم إياها، فـقد قيل إن عـبد الله بن جدعان سيد قريش كان قـد زار العراق ووفد على كسرى وأكل عنده، وكان فى جملة ما أكل (الفالوذج) فـتعجب منه، وسأل عن حقيقـته، فقيل له هى لباب البر يلبك مع العسل، ويقال إنه ابتاع غلاما ليصنعه له، وأخذه معه إلى مكة فصنع بها الفالوذج وأمر بوضـع موائده بالأبطح إلى باب المسجد، ودعا الناس لأكله، وكـان ممن أكل أمية بن أبى الصلت، فـقال فـيه شعـرا ومدح صاحبه لجوده وكرمه، [1] فقال :[2]

لِكـــــلٍّ قَبِيـــــلَةٍ هَادٍ وَرَأسٌ   وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادِ

***

لَـــــهُ دَاعٍ بِمكَـــــةَ مُشْمَعِـــــلٌّ   وآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِى

***

إِلَى رُدُحٍ مِن الـشِّيـــــزَى مِلاءِ   لُبَابَ الـبُرِّ يُلْبَكُ بـالشِّهَـــــادِ

***

وقد ورد أن عمرَ بن الخطاب قال: إياكـم واللحم، فإن له ضرواة كضراوة الخمر، وقد كره الإدمان عليه، لما فيه من التنعم والتشبه بالأعاجم وكتب إلى

(١) شعراء النصرانية صـ ٢٢١، الألوسى جـ١ صـ ٤٢٣ وما يليها، النويرى جـ٥ صـ ٤٠.
(٢) ديوان أمية صـ ٣٨٠ وما يليها.

عماله : «اخشوشنوا وإياكم والتنعم وذى العجم». [١]

والأعاجم كانوا يفضلون أكل لحوم الخنازير، فكانت القياصرة والأكاسرة يقدمونها ويفضلونها، وكان من تنّصر من كبار القبائل وملوكها وكثير من الأشراف والوضعاء، والملوك والسوقة يأكلونه أشد الأكل ويرغبون فى لحمه أشد الرغبة [٢].

ولولا أن أظهر الله تعالى تحريمه لجرى عندنا مجراه عند غيرنا.

وما ينطبق على المأكولات والملبوسات ينطبق أيضا على أدوات الزينة والروائح والعطور وأدوات الطيب وما يتعلق بها، فقد انتشرت هذه العادات الاجتماعية ولاسيما بين العرب المتحضرين الذين كانوا على اتصال مباشر بالفرس، وأثر هذا الاتصال واضح فى شعر الشعراء الجاهليين عند وصفهم للمرأة المتحضرة، فنرى الأعشى يصف رائحة محبوبته العبقة التى يضوع منها المسك حتى يمتلىء به طريقها، مختلطا برائحة الياسمين الذى يعطر أردانها وكأنها روضة قد أزهرت ورودها، فى ربوة لا تطؤها الأقدام ولا تعبث بها الأيدى، قد جاد عليها المطر، وأشرقت عليها الشمس فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب، حين يهدأ الكون وتتضوع ريح الورد، بأطيب منها نشرا ولاهى أحلى منه رائحة ، يقول: [٣]

إذَا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدانِها شَمِلُ [٤]
مـا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جـادَ عليـهـا مُسْبِلٌ هَطِلُ

---

(١) بهجة المجالس جـ٢ صـ ٧٢.
(٢) الحيوان جـ ١ صـ ٢٣٤، جـ٤، صـ ٦١،٤١.
(٣) ديوان الأعشى ق ٦ صـ ١٠٥ وما يليها.
(٤) الزنبق : زهر طيب الرائحة طويل كالحربة ويغلب عليه اللون الخمرى، وقيل هو دهن الياسمين (اللسان جـ٣ صـ ١٨٦٩).

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُؤزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْماً بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رَائِحَةٍ   ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ

وقد مر بنا فى شعر الأعشى ذكر لأنواع مختلفة من الورود والرياحين التى نقلها العرب واقتبسوها من الفرس، وصارت من عاداتهم.

وعلى هذا النحو انتشرت مظاهر الترف والحضارة بين عرب الجزيرة العربية خاصة فى المراكز الحضارية التى كانت على اتصال مباشر بالفرس وغيرهم من الأمم الأخرى وسادت بلادهم عادات وتقاليد فارسية لا نجدها عند أهل البوادى، كما انتشرت أيضا عندهم بعض المعتقدات الدينية التى جاءتهم عن طريق الأعاجم وأصحاب المعتقدات الدينية الذين عاشوا مع العرب فى الجزيرة العربية أو اتصلوا بهم عن طريق الأسواق والهجرات والوفود وغيرها.

ونفصل القول فى هذه المعتقدات عند الحديث عن التأثير الدينى فى الفصل القادم.

****

الفصل الثالث

التـــأثير الـــــدينى

"الفصل الثالث"
التـــأثير الـــــــدينـــى

كانت الجزيرة العربيـة فى عصر ما قبل الإسلام مقصـداً يفد إليه الأعاجم من التجار والوفود الأجانب الذين أموها لأسبـاب شتى فأقاموا فيها وأطالوا المقام، ومنهم من اسـتقر وأقام بهـا حياته كلها ولاسـيما فى منطقـة الحيرة ، وتبايـنت أجناس هؤلاء الوافدين، واخـتلفت مقـاصدهم وأهدافهـم، كذلك تنوعت أديانهم فمنهم المجـوسى والصابئ والنصرانى واليـهودى والوثنى.(١) وواضح من آيات القـرآن الكريم أن الجزيرة الـعربيـة كانت تزخـر بمثل هذه المعتقـدات فى قوله تعالى: (٢) ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ ءَامَنُواْ وَالَّذِيـنَ هَادُواْ والـصَّابِئِينَ والنَّصَارَىٰ والمَجُوسَ وَالَّذِيـنَ أَشْرَكُوَا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الـقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ونحن فى هذا الموضع لا نريد أن نتـحدث عن الديانات التى كـانت تموج بها الجزيرة العـربية، ولكننا نتحدث عن ديانة الفـرس، وهى ضالتنا فى هذا الموضع؛ لنعرف مدى انتـشارها فى الجزيرة العربية، والآثار التى تركـتها فى نفوس العرب والشعر الجاهلى.

وتحدث الدكـتور هدارة عن المذاهـب والعقائد المخـتلفة التى شـاعت فى القرن الثانى الهجرى، فقال: «لا نستطيع أن ننكر أن أغلب هذه المذاهب كان يرجع فى أصله إلى الـفرس، كـالثنوية مـثـلا وهم أربع فـرق المانوية الذين يقولون إن للعالم أصلين: نور وظلمة وهمـا قديمان، والديصانية وهم يقولون

(1) A literary History of Persia, By. Browne, I, P, 154

(٢) سورة الحج آية ١٧ .

(زرادشت بن خركان)، وقد تابعه الناس على بدعته، ثم دعا العامة إليها بعده رجل يقال له (مزدق)[1] ، وقد ذكر الجاحظ أن زرادشت هو الذى دعا بهذه الدعوات الإباحية وقد بدأ بدعوة الملك الذى حمل جنوده ورعيته على ذلك.[2]

وقد عرضنا لذكر المانوية والمزدكية وهما من فرق المجوس المتطرفة؛ لأن بعض العرب فى الجزيرة العربية تأثروا بهما.

فقد ذكر الأخباريون أن الزندقة كانت فى قريش أخذوها من الحيرة[3]، وكلمة الزنديق فارسية معربة أصلها (زندكراى) [4] وهو الذى يقول بدوام بقاء الدهر ولا يؤمن بالآخرة وبوحدانية الخالق، والزنديق أيضا من الثنوية. [5]

وأغلب الظن أن زندقة قريش كان المقصود منها الثنوية ؛لأن قولهم أخذوها من الحيرة يفسر لنا ذلك، لأن الحيرة إمارة تابعة للفرس وبانتشار مذهب مانى فى الثنوية لابد أن تتأثر به هذه الإمارة، ولابد أن ينتشر بين بعض أهلها، ولذلك قالوا أخذوها من الحيرة، ولولا أنهم لم يقصدوا إلى مثل هذا النوع من الزندقة، وقصدوا الدهريين الذين لا يؤمنون بوجود إله واحد لم يكن لأخذها من الحيرة وجه.

ودليل آخر ذكره الدكتور هدارة عند حديثه عن بيئة الكوفة وأثرها فى حركة التجديد فى الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى من حيث تصوير

(١) الطبرى: جـ٢ صـ ٩٩ وأخذ براون بهذا الرأى = (A literary History of Persia,I, P, 170) وخلط اليعقوبى فيها فذكر أن أنوشروان قتل مزدك وقتل أيضا زرادشت بن خرقان لابتداعه فى المجوسية (جـ١ صـ١٨٦).

(٢) الحيوان جـ٥ صـ ٣٢٤ وما يليها.

(٣) المعارف صـ ٦٢١، الألوسى جـ١صـ ٣٨٠.

(٤) هكذا ذكرها صاحب اللسان، وأظن أن الزنديق مأخوذة من زنديك الفارسية ومعناها مجوسى عابد نار أو هو الذى يعمل بموجب ما هو مسطور بكتاب الزند.

(٥) اللسان جـ٣ صـ ١٨٧١ (زندق).

شعـر الشعراء لنوازعهـم العابثة وإباحتـهم وإقبالهم على المجـون والشراب، يقول: «هؤلاء الشعراء أول ما ظهروا فى الكوفة.... ولعل ذلك يرجع إلى أن الكوفة نشـأت بجوار الديانتين اليهودية والنصـرانية، كما جـاورت عقائد السكان الأصليين من مانوية وزرادشـتية ومزدكيـة، وهى إلى جانب ذلك كله وريثة الحيرة التى كانت عامرة بالحانات والأديرة وفنون اللهو والعبث». (١)

أما الدهريون فهم طائفة أخرى أشار إليهم القرآن الكريم بقوله تعالى: (٢) ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ وهم القائـلون ببقاء الدهر وينـسبون كل شىء إلى فـعله وينكرون البـعث والحسـاب والآخرة والخـالق والرسل، وإن الدهر هو الذى يؤثر فى حياة الإنسـان وفى العالم. وما أجدر سادات قـريش بذلك وخاصة فى بداية دعوة الرسول- ﷺ. وقـد أشار إلى ذلك المعرى فى رسالتـه حيث عد ابن شعوب وهو شداد بن الأسود الليثى شـاعر زنادقة قريش لقوله فى رثاء قتلى بدر: (٣)

أَيُوعدُنا ابنُ كـبْشَةَ أَن سنحـيـا؟ وكـيف حـيـاةُ أَصـداء وهام (٤)؟
أَتَتْرُكُ أَن تَرُدَّ المـوتَ عـنِّى وتُحـيـينى إِذا بَلِيَتْ عظـامى؟

ولأنهم نسبوا كل شىء إلى فعل الدهر، نجدهم أضافوا إليه بعض الألفاظ كـقولهم (الدهـر لا يبقى على حـدثانه)، (والدهر يحـصـد ريبه مـا يزرع) (ورمانى الدهر) وغيرها من النعوت التى تشير إلى مثل هذا التأثير فى الحياة.

---

(١) الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى صـ١٠١ وما يليها.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٤.

(٣) رسالة الغفران صـ ٤٢١ وما يليها.

(٤) ابن كبـشه كان يعبد الـشعرى اليمانـية، وترك دين آبائه وخالفهم فى دينهم وعـبادة الأصنام، فاستـعاروا هذا الاسم للنبى - ﷺ - لكونه ترك دين آبائه وما كانوا عليه، واتخذ دينا غير دينهم (المصدر نفسه).

فنجد أبا ذؤيب الهذلى أشار فى ثلاثة مواضع من مرثيته إلى قوله (الدهر لا يبقى على حدثانه)، فقال: (١)

والـــــــدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدثَانِهِ   جَوْنُ الــــسَّرَاة لـــــهُ جَدَائدُ أَرْبَعُ
والـــــــدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدثَانِهِ   شَبَــــــبٌ أَفَزَتْهُ الـــــكلابُ مُرَوَّعُ
والـــــــدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدثَانِهِ   مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الحـــــدِيـدِ مُقَنَّـعُ

فـفى الموضع الأول يتـحدث عــن هلك الحمـار الوحـشى، وفى الثـانى يتحـدث عن هلك الثور، وفى الثالث يتـحدث عن مصـرع البطل الفارس. فهو يرجع الهلاك فى الحالات الثلاث إلى فعل الدهر.

وقال زهير بن أبى سلمى: (٢)

فَاسْتَــــــــأثَرَ الـدَّهْرُ الـغَدَاةَ بِهِمْ   والـــــدَّهـــــرُ يَرْمِيــــنِى وَلا أَرْمِى

****

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرتَ فَجْعَتُنَا   بِسُرَائِنَا وقَرَعْتَ فـــــــــى الْعَظْمِ

****

وَسَلَبْتَــــــنَا مَا لَســـــــتَ مُعْقِبَهُ   يَا دَهْرُ مــــــا أَنْصَفـتَ فِى الحُكْمِ

****

وهذا الشعر وأضرابه لا ينم عن عقيدة قائله، وليس حتماً أن يكون الشاعر دهرياً ليصدر منه هذا القول.

---

(١) المفضليات ق ١٢٦ صـ ٤١٩ وما يليها، أبيات ١٦، ٣٧، ٥١.
(٢) ديوان زهير صـ ٣٨٥.

فإننا نلاحظ أن قصيدة أبى ذؤيب قالها بعد إسلامه فى رثاء أبنائه الخمسة الذين هلكوا فى عام واحد فأثر الفجيعة فى نفسه جعلته يذكر مثل هذه العبارات فى شعره، وكذلك زهير يرثى فى قصيدته هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى وهو ممدوحه الذى طالما غمره بعطفه وهباته، وقد اغتم الشاعر واهتم لذلك، فنراه ينسب هذا الحدث المفجع للدهر، وهذه عادة أى إنسان يصاب بفجيعة فى قريب له أو عزيز عليه.

أما المزدكية، فأغلب ظنى أنها لم تنتشر وسط العرب؛ لأن الحيرة هى همزة الوصل بين فارس والجزيرة العربية لم تتأثر بها بدليل ما ذكره الأخباريون فى العلاقة بين المنذر بن ماء السماء وقباذ ملك الفرس فقد ساءت هذه العلاقة عندما اعتنق قباذ المزدكية واتخذها ديناً رسمياً لدولته، وحاول أن يفرضها على المنذر ومملكته، فأبى المنذر، فعزله وولى مكانه الحارث بن عمرو الكندى المناصر لمذهبه، ولكن الأمور سرعان ما تغيرت فهلك قباذ وخلفه كسرى أنوشروان الذى قضى على المزدكية وأعاد المنذر إلى حكم الحيرة.[1]

أما ديانة المجوس الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، وهو القائلون بالنور والظلمة أو الخير والشر، وعبدوا النيران وعظموها، فقد عرفها العرب بدليل ذكرها فى القرآن، وخاصة العرب الذين خضعوا للنفوذ الفارسى فى العراق وشرقى الجزيرة واليمن ؛ لأن عمال الأكاسرة على هذه الأماكن كانوا على هذه الديانة إلى جانب الفرس أنفسهم الذين استوطنوا فى اليمن وعمان وغيرها من المناطق الخاضعة لهم وكانوا يدينون بالمجوسية، ومازالوا يعتنقونها إلى أن جاء الإسلام وصالحهم المسلمون على دفع الجزية، وامتنعوا عن أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم.[2]

---

(١) البدء والتاريخ جـ٣ صـ ١٩٩، الطبرى جـ٢ صـ ١٩٥ وما يليها وصـ ١٠٣، سيديو صـ ٣٨.
(٢) الطبرى جـ٣ صـ ٢٩.

وفى روايات الأخباريين، ما يفيد باعتناق بعض العرب لهذه الديانة فكانت المجوسية فى تميم، منهم زرارة بن عدس التميمى، وابنه حاجب، والأقرع ابن حابس، وأبو سود جد وكيع بن حسان، [١] وهم من سادات تميم وأشرافها وقيل إن لقيط بن زرارة كان قد تمجّس وتزوج ابنته دختنوس. [٢] وانتشرت المجوسية أيضا فى عمان؛ لأن الفرس كانوا يسيطرون عليها، وكان منهم من استقر به المقام فيها، كما كان يفد إليها عدد كبير من تجار الفرس، وعندما خضعت هذه البلاد للمسلمين دخل بعض أهلها فى الإسلام ودفع بعضهم الجزية شأنهم فى ذلك شأن اليهود والنصارى.

فقد ذكر الطبرى فى أحداث سنة ثمان من الهجرة أن رسول الله -ﷺ- بعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد بن جلندي بعمان، فصدقا النبى وأقرا بما جاء به، وصدق أموالهما، وأخذ الجزية من المجوس. [٣]

أما مجوس البحرين فقد كانوا أكثر عدداً وأعظم نفوذاً من إخوانهم فى عمان لقرب بلادهم من الإمبراطورية الفارسية، وقد بعث الرسول -ﷺ- العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى يدعو قومه إلى الإسلام فأسلم بعضهم وصالح الآخرين على دفع الجزية. [٤]

وانتشرت المجوسية أيضا فى اليمامة؛ لأنها كما ذكرنا من القرى التى اشتهرت بالزراعة والتعدين، فاستقدم أهلها أعداداً كبيرة من المجوس والرقيق للاستفادة منهم فى الأعمال التى يأنف منها العرب. كما كانت المجوسية هى

---

(١) الألوسى جـ١ صـ ٣٧٩ وما يليها، المعارف صـ ٦٢١، البدء والتاريخ جـ٤ صـ٣١.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم صـ ٤٩١، ابن الأثير جـ١ صـ ٥٨٧، وذكر الألوسى أنه حاجب بن زرارة (بلوغ الأرب جـ٢ صـ ٥٦).

(٣) الطبرى جـ٣ صـ٢٩.

(٤) المصدر نفسه.

الغالبة على الحميريين قبل أن يتهودوا أو يعبدوا الشمس أو يتنصروا [١]، وانتشرت المجوسية عندما خضعت اليمن للنفوذ الفارسى فى القرن السادس بعد طردهم للأحباش واستوطن الفرس بها وكانوا على هذا الدين وقد تسلمها المسلمون من أيدى باذان آخر ولاة الأكاسرة عليها، وقد بعث للرسول -ﷺ- بإسلامه هو ومن معه من الفرس. [٢]

وأغلب الظن أن ملوك الفرس لم يهتموا بنشر دينهم فى المناطق الخاضعة لنفوذهم، ولعل السبب فى ذلك اعتقادهم بأن المجوسية ديانة قومية خاصة بالفرس دون غيرهم، والدليل على ذلك أننا لم نجد أحداً من الأخباريين أشار إلى أن ملوك الحيرة أو الولاة الذين عينهم الفرس على الأرضين العربية الخاضعة لهم دخل فى المجوسية، مع علاقتهم الوطيدة بالفرس واتصالهم الوثيق بهم، وبالرغم من وجود أجناس فارسية مجوسية عاشت واستوطنت معهم فى هذه البلاد؛ ولعل السبب فى ذلك أيضا يرجع إلى هدف الفرس من الاستيلاء على هذه الأرضين ليس لنشر ديانتهم، بل كان هدفاً سياسياً بحتاً بسبب التنافس القائم بين الفرس والروم؛ ولذلك نجد معظم العرب الذين عاشوا فى الحيرة أو المناطق التابعة لها كانوا وثنيين أو نصارى، ولم يعترض ملوك الفرس على ذلك بل قد انتشر المذهب النسطورى [٣] فى الحيرة وغيرها، وغضت ملوك الفرس النظر عنه لأنه لم يكن من النصرانية المتشيعة للروم، وذلك أيضا لأغراض سياسية، وقد ذكر الأخباريون أن النعمان الأول ابن امرئ القيس انخرط فى سلك الكنيسة السورية الشرقية (النسطورية) وتقبل معموديتها، وهى أقل كنائس النصرانية كراهية عند الفرس. [٤]

---

(١) الألوسى جـ٢ صـ ٢٦٣ ، سيديو صـ ٤٩.
(٢) السيرة النبوية جـ١ صـ ٥٠، البدء والتاريخ جـ٣ صـ ١٩٥.
(٣) النسطورية : نسبة إلى نسطوريوس مطران القسطنطينية ٤٢٨ - ٤٣١م ، وهذا المذهب رفض الرأى القائل باتحاد طبيعتى السيد المسيح فى شخص واحد وذهبوا إلى أنه ذو شخصيتين متميزتين تماما تجمعهما روابط الألفة الوثيقة (راجع اللسان جـ٦ صـ ٤٤١٠ نسطر).
(٤) فيليب حتى جـ١ صـ ١١٣.

وأغلب الظن أن تنصر النعمان أمر لم يثبت منه بعد، وليس من الضروري أن تكون روايات الرواة وأخبارهم حقائق صحيحة أو وثائق لا تقبل الشك، ولكن هذه الروايات تحملنا على الاعتقاد بأن النعمان كان يتأهب لتقبل المسيحية أو أنه كان يميل إليها، وأن رعاياه من النصارى تمتعوا في عهده بحرية كاملة. (١)

وقد اعتنق بعض أهل الحيرة مذهب اليعاقبة القائل بالطبيعة الواحدة، وكان جل أهلها على الوثنية، بدليل ماذكره ابن الكلبي من أن العرب كانت لهم حجارة غبرٌ منصوبة يطوفون بها ويعترون عندها، يسمونها الأنصاب، ويسمون الطواف بها الدوار، وقال في ذلك المثقب العبدي لعمرو بن هند:

يَطِيفُ بِنُصْبِهِمْ حُجُنٌ صِغَارٌ فَقَدْ كَادَتْ حَوَاجِبُهُمْ تَشِيبُ (٢)

أما الذين اعتنقوا النصرانية فهم العباديون، وعلى ذلك لم تنتشر المجوسية بين العرب انتشار النصرانية أو الوثنية، إلا أننا نجد بعض عادات المجوس قد تسربت إلى العرب، فمن عاداتهم الزمزمة عند ابتداء الأكل، وهي عبارة عن قراءة شيء من كتبهم بصوت خفي لا يكاد يفهم، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أحد عماله في أمر المجوس، «وانههم عن الزمزمة» . (٣)

وكانوا أيضاً يستحلون نكاح البنات والأخوات (٤)، وقد مر بنا ذكر لقيط ابن زرارة الذي نكح ابنته دختنوس وأولدها، على أن هذه العادة لم تكن شائعة عند العرب.

---

(١) Nickolson, P, 41

(٢) الأصنام لابن الكلبي أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا- الطبعة الثانية- دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ، ١٩٢٤م صـ ٤٢.

(٣) اللسان جـ٣ صـ ١٨٦٦ (زمم)، البدء والتاريخ جـ٤ صـ ٢٧، اليعقوبي جـ١ صـ ١٩٩.

(٤) البدء والتاريخ جـ٤ صـ ٢٧، اليعقوبي جـ١ صـ ١٩٩.

والمجوس لـم يعرفـوا القبـور وإنما كانوا يغـيبـون موتاهم في الدهـمات والنواويس وذلك تكريما لباطن الأرض من تجيف الموتى [١] ، وكان إذا مات أحدهم لا يحزن على موته ولا يحمل إلى الناووس إلا بعد أن يدني منه كلب يشمه فـإنه لا يخفى عليه في شـبه عندهم أميت هو أم مغـشي عليه ولا ينفع عنده التـماوت. [٢] وقـد ذكـر الجـاحظ أن: «المجـوس تزعم أن المنخنقـة والموقوذة والمتـردية وكل ما اعـتبط ولم يمت حـتف أنفه، فـهو أطيب لحـماً وأحلى، لأن دمه فيه، والدم حلو دسم، وإنما عافه من عافه من طريق العادة والديانة لا من طريق الاستقذار والزهد الذي يكون في أصل الطبيعة.

وقد كانت العرب فى الجاهلية تأكل دم الفصد، وتفضل طعمه وتخبر عما يورث من القوة» [٣] وذلك بأن يضعوا الدم بعد فصـده فى الأمعاء ويشوونها ويبدو أن هذه العادة أخذها العرب عن طريق المجوس.

ونفهم من شعر الأعشى أن الجاهلى كان يأكل الميتة ويأخذ سهماً من حديد يفصد به بعـيره أو حيوانه فيـجمع ما خرج منه من الدم فيـشربه، يقول حين يذكر وصايا رسول الله -ﷺ: [٤]:

فَإيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاتَأْكُلَنَّهَـا   وَلا تأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيداً لِتَفْصِدَا

ويقول أيضا [٥]:

وَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَات لاتَقْرَبَنَّهَـا   كَفَى بِكَلامِ الله عن ذَاكَ نَاهِيَـا

وقد ذكـر الأخبـاريون أن صنفاً من الـعرب عبـدوا النار، فقـالوا: «وهم

(١) الحيوان جـ٣ ص ٣٦٩ ومايليها.
(٢) حمزة ص٤٣، الحيوان جـ١ ص٣٧٥، جـ٢ ص٢٨٩، جـ٣ ص٣٥١، البدء والتاريخ جـ٤ ص٢٨.
(٣) الحيوان جـ٤ ص٩٥ وما يليها.
(٤) ديوان الأعشى ق ١٧ ص١٨٧.
(٥) المصدر نفسه ق٦٦ ص٣٧٩.

أشتـات من العرب وكأن ذلك سـرى إليهم من الفـرس المجوس» [١]، وقد ذكروا بعضـهم ولكنهم لم يذكروا طريقة تعبـدهم لها، ولكننا لانشك فى أن العرب كانوا يقـدسون النار بدليل ورود بعض الألفاظ الفارسيـة مثل الهرابزة وهم خدم الـنار، أو حكام المجوس الذين يُصَلُّونَ بهم، ولهم مـشيـة فيـها اختيال تسمى الهربذى فى لغة العـرب، فقد عرفها العرب بدليل ورودها فى المعاجم[٢] ودليل آخـر، هو هذه الكثرة من بـيوت النيـران التى انتشـرت فى الجزيرة العـربية وغـيرها، فكان بأرض العـراق بيت للنار بالقرب مـن مدينة السلام، بنته بوران بنت كسرى أبرويز فى الموضع المعروف بأستينا [٣].

وبيـوت النيران كـثـيرة مما بنتـه المجـوس بالعراق وأرض فـارس وكرمـان وسجستان وخراسان وطبـرستان والجبال وأذربيجان والران، وفى الهند والسند والصين [٤] . وفى كل هذه البـيوت أسـبغ المجوس على نار المعـبد قـدسيـة عظيمة، حتى كان كاهن النار يتلثم عند اقترابه منها خشية أن يصل نفسه إليها فيلوثها [٥].

وذكر النويرى أن عبادة العرب لها كانت تـتم بطقوس خاصة فهم يحفرون أخدوداً مربعـاً فى الأرض، يضرمون فيه النار، ثم لايدعون طعـاما ولاشراباً ولاثوباً ولاعطراً ولاجوهراً إلا طرحوه فيها تقرباً إليها، وحرّموا إلقاء النفوس فيها [٦].

---

(١) الألوسى جـ٢ ص ٢٥٦.

(٢) اللسان جـ٦ ص٤٦٤٧ (هزبذ)، المعرب ص٣٥١.

(٣) أستينا أو أستيا أو أسنينا أو أستينيا (مروج الذهب جـ٢ ص٢٤٠، النويرى جـ١ ص١٠٥).

(٤) النويرى جـ١ ص١٠٥، مروج جـ٢ ص٢٤٠.

(٥) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ص٢٧.

(٦) النويرى جـ١ ص١٠٥.

وقد تجلى تقديسهم للنار فى مظاهر شتى، فهم حلفوا بها، وتحالفوا عليها[1]، إذ كانت نار باليمن لها سدنة، وسموها الهولة والمهولة، وكان سادنها إذا أتى برجل هيّبه الحلف بها بأن يطرح فيها الملح والكبريت لتستشيط وتنتفض فيهول بذلك الحالف، فإن كان مذنبا نكل وإن كان بريئاً حلف [2].

وفى ذلك يقول أوس بن حجر [3]:

إذا استقبلتْه الشَّمْسُ صَدَّ بوَجهِه   كما صَدَّ عن نارِ المهوِّلِ حالِفُ

وقال أفنون التغلبى [4]:

لَوْ أَنَّنى كنْتُ مِنْ عـادٍ ومِنْ إرَمٍ   ربِّيتُ فيهِمْ ولُقْمـانٍ ومِنْ جَدَنِ
لَمَا فَدَوْا بِأَخِيْهِمْ مِنْ مُهَوِّلَةٍ   أخـا السَّكونِ ولا جَارُوا عَلَى السُّنَنِ

وفى الحلف بالنار يقول الأعشى [5]:

حَلَفْتُ بالمِلْحِ والرَّمـادِ وبالعُزَّ (م) ى وباللاتِ تُسْلَم الحلقـهْ
حَتّى يَظلَّ الهمـامُ مُنجـدلاً   ويقْرَعَ النَّبلُ طُرَّةَ الدَّرَقَـهْ

وتحالفوا أيضا عليها، فلا يعقدون حلفهم إلا عندها، فيذكرون عند ذلك منافعها، ويدعون إلى الله -عز وجل- بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف أن يخلفه، وكانوا يقولون فى الحلف: الدم الدم، والهدم الهدم، وكل قوم يذكرون جبلهم أو المشهور من جبالهم ؛ يهولون بذلك على من يخاف عليه الغدر[6].

---

(١) دراسات فى الشعر العربى، د/ هدارة ص٢٢.

(٢) المعانى الكبير ص ٤٣٤، ثمار القلوب ص٥٧٥، القلقشندى ص٤٦٢، اللسان جـ٦ ص٤٥٧٣ (نور)، الحيوان جـ٤ ص٤٧٠ ومايليها.

(٣) ديوان أوس ص٦٩.

(٤) المفضليات ص ٢٦٢.

(٥) الأغانى ص٢٤، ص٧٩، ولم أجد البيتين فى ديوانه.

(٦) الحيوان جـ٤ ص٤٧٠ وما يليها .

واستمطروا أيضا بالنار، فكانت العرب فى الجاهلية إذا تتابعت عليهم الأزمات وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار بعد أن يئسوا من نزوله، يجتمعون ويجمعون ما يقدرون عليه من البقر ويعقدون فى أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر، ويصعدون بها فى جبل وعر، ويشعلون فيها النيران ويضجون بالدعاء والتضرع ويزعمون أن ذلك من أسباب نزول المطر(١).

وقد عجب الوديك الطائى من هؤلاء الذين يستمطرون بهذه الأبقار المحروقة ويجعلونها وسيلة بينهم وبين الله، يقول(٢):

لا دَرَّ دَرُّ رِجالٍ خابَ سعيُهُمُ ... يستمطرون لَدَى الأزماتِ بالعُشَرِ
أجاعلٌ أنتَ بيقورًا مُسَلَّعةً ... ذَريعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ

وقد أشار أمية بن أبى الصلت فى شعره إلى هذه العادة ، فقال(٣):

وَيَسُوقُونَ باقِرَ السَّهْلِ للطَّوْ ... دِ مَهَازِيلَ خَشْيَةً أَنْ تَبُورا
عاقدينَ النِّيرانَ فى شُكُرِ الأذْ ... نَابِ عَمْداً كَيْمَا تَهِيجَ البُحُورا
فاشْتَوَتْ كُلُّها فَهاجَ عَلَيْهِمْ ... ثُمَّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ، صَبِيرا
فرآها الإلهُ تُرْسَمُ بالقَطْ ... رِ وأمسى جَنَابُهُمْ مَمْطُورا
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ واكِفَ الغَيْ ... ثِ مُنه إذْ رادَعُوهُ الكَبِيرا
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشَرٌ مَا ... عائِلٌ مَا وعالَتِ الْبَيْقُورا

---

(١) الحيوان جـ٤ ص ٤٦٦، القلقشندى ص ٤٦٢، كتاب النيروز لأبى الحسين أحمد بن فارس جـ٢ من نوادر المخطوطات بتحقيق عبدالسلام هارون ط١- ١٩٥٤ لجنة التأليف والترجمة والنشر ص١٨، ثمار القلوب ص٥٧٩ وما يليها.

(٢) الحيوان جـ٤ص٤٦٨، كتاب النيروز ص١٩، ثمار القلوب ص٥٨٠، دراسات فى الشعر العربى د/ هدارة جـ٢ ص٢١.

(٣) ديوان أمية ق ٣٠ص٣٩٧ ومايليها. والأبيات مفعمة بالتحريف والتصحيف، فكلمة (ترسم) فى البيت الرابع صوابها (ترشم) لأننا نقول (أرشمت الأرض) إذا بدا نبتها، والضمير فى رآها للأرض المفهومة من الكلام.

ولهم نار أخرى، هى نار المسافر، أو نار الطرد، وهى التى يوقدونها خلف المسافر، وخلف الزائر الذى لايحبون رجوعه وكانوا يقولون فى الدعاء: أبعده الله وأسحقه، وأوقدوا ناراً خلفه، وفى إثره ! وفى ذلك يقول الشاعر:

وجَمَّة أقوامٍ حَمَلْتَ ولم أكنْ كَمُوقِدِ نارٍ إِثرَهُمْ للتَّنَدُّمِ(١)

ومن نيرانهم أيضا نار الحرب، وهذه النار قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية، فأما الحقيقية فهى تلك التى يوقدونها فى الحرب للأهبة والإنذار فإذا توقعوا جيشاً عظيماً وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلا على قمة جبلهم ناراً، ليبلغ الخبر أصحابهم، وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

ونَحنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فى خَزَازٍ رَفَدْنا فوقَ رِفْدِ الرَّافدِينَا(٢)

وكانوا إذا جدوا فى جمع عشائرهم إليهم أوقدوا نارين(٣). فأما المجازية فهى التى على طريق المثل والاستعارة، كما فى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾(٤). وقولهم شبت الحرب واشتعلت نارها، واستطال شرارها، وكقولهم: دارت رحى الحرب واستعرت جمرة الطعن والضرب.(٥) ومن نيرانهم أيضا نار الفداء، وهى التى يوقدها الملوك؛ لأنهم إذا سبوا قبيلة وخرجت إليهم السادات فى الفداء وفى الاستيهاب، كرهوا أن

---

(١) الحيوان جـ٤ ص٤٧٣ وما يليها، نهاية الأرب للنويرى جـ١ ص١٠٩، المعانى الكبير ص٤٣٣، اللسان جـ٦ ص٤٥٧٣ (نور)، (والجمة: قوم تحملوا حمالة فطافوا بالقبائل يسألون فيها، فأخبر أنه حمل من الجمة ما تحملوا من الديات، قال ولم أندم حين ارتحلوا عنى فأوقد على إثرهم ناراً) وورد البيت برواية مختلفة ولكنها تؤدى هذا المعنى فى (ثمار القلوب ص٥٧٧).

(٢) الحيوان جـ٤ ص٤٧٤ وما يليها وسماها، الثعالبى فى ثمار القلوب ص٥٧٩ (نار الإنذار)، القلقشندى ص٤٦٢- شرح القصائد السبع ص٤٠٩، وخزاز اسم جبل (المعانى الكبير ص٤٣٤).

(٣) الحيوان جـ٤ ص٤٧٥.

(٤) سورة المائدة آية٦٤.

(٥) ثمار القلوب ص٥٧٦ وما يليها، الحيوان جـ٥ ص١٣٣.

يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن، وأمـا فى الظلمة فيخفى قدر ما يحبسون من الصفى لأنفسهم وقدر ما يجودون به وما يأخذون عليه الفداء، فيوقدون لذلك النار(١).

وقد أشار الأعشى إلى يوم أوراة الأول، وكان للمنذر بن ماء السماء على بكر وقد أسر بنى شيبان وأوقد لسبـاياهم النار ليعرضهن عليها، وتشفع لهن رجل من قوم الأعشى، فاستجاب الملك لشفاعته ووهبهن له؛ ولذلك يمدحه الأعشى بقوله مفتخرا (٢) :

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَاهُ فِـــى الجَمْعِ رَبَّهُ عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا
سَبَايَا بَنِى شَيْبَانَ يَوْمَ أَوَارَةٍ عَلَى الـــنَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَا

ونار أخرى هى نار القرى، وهى من أعظم مـفاخر العرب وهى نار ترفع للسفر ولمـن يلتمس القرى، فكلما كـان موضعها أرفع كـان أفخر لصاحـبها وهى نار حقيقية وليست مجازية(٣)،وتعرف عندهم بنار الضيافة، وكانوا أحيانا يوقدونها بالمندلى وهو خشب ذو رائحة طيبة، تفوح منه إذا أحرق، فتشم من مسافة بعـيدة، فيهتدى إليهـا العميان(٤)، وكانوا يوقـدونها فى ليالى الشـتاء خاصة لحـاجة الناس إلى القرى فى ذلك الوقت، وكلما كانت النار مـرتفعة ضخـمة كانت أفـخر لصاحبـها ، وقد أشـار إليها أمـية بن أبى الصلت فى قوله(٥) :

(١) نهاية الأرب للنويرى جـ١ ص١١٢، الألوسى جـ٢ ص١٧٥ ومـا يليها، القلقشندى ص٤٦٣، المعـاني الكبير ص٤٣٥.
(٢) ديوان الأعشى ق ١٠ ص١٣٧.
(٣) الحيوان جـ٥ ص١٣٤.
(٤) الألوسى جـ٢ ص١٧٥ وما يليها، النويرى جـ١ ص١٠٩ومايليها، القلقشندى ص٤٦٣.
(٥) ديوان أمية ق ٥٢ ص٤٢٨ وما يليها.

لا الغَيـــابـاتُ مُنْتـــواكَ ولكنْ فِى ذُرَى مُشْرِفِ القُصُورِ ثَواكـــا
نَهْراً جــــاريـاً وبَيْتـــا عَلِيّاً يعـــتـــرى المُعْتَفِينَ فَضْلُ نَداكَا
فــى فَعـــالٍ من المكـارِمِ جَزْلٍ لم تُعَلِّلْهُمُ بِلَقْط حـــصــاكــا
ولا تَخـافُ المُحُولَ إنْ هَرَشَ الدَّهــــرُ ولا نَنْتَوِى لأهْلِ سِواكـــا

ولابد أن يكون للنار الموقدة على المزدلفة صلة، بعقائد الجاهليين القديمة فى النار، فقد ذكر الأخباريون أن أول من أوقدها قصى بن كلاب ليراها من دفع إلى عرفة فى أيام الحج، ومازال الناس يوقدونها فى الإسلام[١].

ولهم نار أخرى بمـنى كانوا يوقدونهـا أيام الحج على أحد الأخـشبين[٢]، ويسمونهـا نار الغدر، وكانت إذا استعرت، صاح مـوقدها هذه غُدرة فلان، ليحْذره الناس، وليعلموا أن فلانا قد غدر بجاره[٣].

وللعرب نار أخرى هى نار السعالى والجن والغـيلان، فمن أساطيرهم أن الغيـلان توقد بالليل النيـران للعبث والتخـيل وإضلال السابـلة، وأنها ترفع للمتقفر فـيتبعها فتهوى به الغول، وقـد وقع للعرب شعر فى ذلك فقـد ذكـر أبو المطراب عبيد بن أيوب[٤] أنه كان يؤاكل الظبـاء والوحش ويرافق الغول والسعلاة ويبايت الذئاب والأفاعى ، يقول [٥] :

فللَّه دَرُّ الغُـــــولِ أَىُّ رَفـيقَةٍ لصـاحـــبِ قَفْرٍ خائـــفٍ مُتَقَفِّرِ
أَرَنَّتْ بلَحنٍ بَعْدَ لَحـنٍ وأَوْقَدَتْ حَوَالَىَّ نـيراناً تَبُـــــوحُ وتَزْهَرُ

وقد ذكر الأخباريون العديد من النيران خـلاف ما أثبتناه منها: نار السلامة

(١) القلقشندى ص٤٦٢، الألوسى جـ٢ ص١٧٥، النويرى جـ١ ص١٠٩ وما يليها.
(٢) الأخشبان: جبلان بمكة (أبو قبيس وقيقعان، أو أبو قبيس والأحمر) اللسان جـ٢ ص١١٦١ (خشب).
(٣) الألوسى جـ٢ ص١٧٥ ومايليها، النويرى جـ١ ص١٠٩ ومايليها.
(٤) هو من بنى العنبر، انظر ترجمته وأخباره فى الشعر والشعراءجـ٢ ص٧٨٤ وما يليها.
(٥) الحيوان جـ٤ ص٤٨١ وما يليها، الشعر والشعراء جـ٢ ص٧٨٤.

ونار أبى حباحب، ونار البرق، ونار اليراعة، ونار الخُلعاء والهرّاب، ونار الوسم، ونار الاحتيال، ونار الصيد والبيض، ونار الحرتين، ونار الأسد[1].

فكان من العرب من يعظم النار على جهة التعبد والمحنة، أو على إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها [2].

ولذلك لم يكن فى استطاعة الباحث أن يجزم بأن العرب عظمت هذه النيران وأخذتها على جهة التعبد، كما كان يفعل المجوس؛ لأن فى ذلك إفراطا وغلوا، وتعميماً مضلاً.

والنتيجة التى يمكن استنباطها من هذا الحشد الهائل الذى ذكره الأخباريون عن النيران، أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون قوة سحرية فى النار، لذلك نراهم مولعين بتعظيمها، قد يصل هذا التعظيم فى بعض الأحيان إلى درجة التعبد.

أما الشعر الجاهلى الذى وصل إلينا فلم أجد فيه قصائد نظمت فى أغراض دينية خالصة تصور عبادة القوم فى هذه الفترة والطقوس الدينية التى كانت تقوم بها شعائرهم، سوى بعض الإشارات العابرة التى نسبت إلى الأحناف،أو ورد فيها ذكر لعقائد يهودية أو نصرانية، أما الطقوس الدينية الوثنية والمجوسية، فلم يصل إلينا من الشعر ما يصور كيفية هذه العبادة .

وأغلب الظن أن السبب فى ذلك هو امتناع الرواة المسلمين عن رواية مثل هذا الشعر، ولذلك كان جل اعتمادنا فى هذا الفصل على ماذكره أهل

---

(١) النويرى جـ١ ص١٠٩ وما يليها، الألوسى جـ٢ ص١٧٥ وما يليها ، القلقشندى ص٤٦٢ وما يليها، الحيوان جـ٤ ص٤٦٦ ومايليها، ثمار القلوب ص٥٧١ وما يليها.
(٢) الحيوان جـ٤ ص٤٧٩.

الأخبار من إشـارات عابرة أو قصص مروى عن حيـاة الجاهليين وعاداتهم ، ومن خلال هذه الأخبار لم يظهر للباحث تأثير ديانة الفرس فى نفوس العرب وشعرهم بصورة واضحة، كما ظهر تأثيرهم الفكرى والحضارى وغيرهما من المؤثرات فى العادات والتقاليد التى تأثر العرب فيها بالفرس.

* * *


الخاتمة

الخاتمة

عـرضت فى هذا البـحث لعـلاقة الـعرب بالفـرس وآثارها فى الشـعـر الجاهلـى؛ لأرد بذلك على من ظنوا أن العرب عـاشوا فى جـاهلية جـهلاء بمعزل عن الأمم المتحـضرة كالفرس والروم وغيرهم، وظنوا أيضـا أن الشعر الجاهلى لم يصور حياة الجاهليين كمـا ينبغى ولم يصور علاقاتهم بغيرهم من الأمم.

وقد عـرضت فى الباب الأول من هذه الدراسـة للإطار التاريخى لعـلاقة العرب بالفرس، فتحدثت عن بيئة الحـيرة وملوكها وعلاقتهم بالفرس، وعن اليمن واحتلال الفرس لها بعد الأحباش فى العقد الأخير من القرن السادس، وعن القبـائل العربيـة وعلاقتـها بالفرس، واعـتمدت فـى ذلك على المصادر التاريخيـة مستبعـداً منها ما أثار شكوكى فى كثـير من المواضع، وحاولت أن أوثق حديثى بالأشعـار الجاهلية التى قيلت فى هذه الفـترة وبينت لنا بوضوح عوامل الاتصال القائم بين عرب الجـاهلية والفرس، وخلصت من هذا الباب بعدة نتائج: فالعلاقة بين العرب والفرس علاقة قديمة ترجع إلى ماقبل الميلاد، وظهرت هذه العلاقة بوضـوح فى عهد الدولة الساسانية التى أسسـها أردشير بن بابك وتوالت عوامل الاتصـال بين الطرفين فى أيام ملوك الساسانيـة بعد أردشير حتى ظهور الإسلام، فلم تنقـطع أواصر هذه العلاقة سواء أكانت فى الحيرة أم فى مواضع أخرى من الجزيرة بين القبائل العربية المختلفة كإياد وتميم وطئ وتغلب وبكر وعبـدالقيس، أو فى جنوب الجزيرة حين استـولى الفرس على اليمن، كما استنتجت أيضـا أن هذه العلاقات لم تكن طيبة بين الطرفين على مختلف الأطوار التاريخية، فـأحياناً كانت تضطرب، ويقف العرب من الفرس مـوقف العداء الذى نشبـت عنه فى كثيـر من الأحيان عـدة حروب، وخلصت أيضـا إلى أن الفرس أنفـسهم كـانوا يقومـون على أمر العـرب فى

معظم الأوقات، وخاصة عندما يقوى نفوذهم وملكهم ويضعف أمر العرب. فهم كانوا يتولون أمور الحيرة وتولية ملوكها واختيار سادات القبائل، كما كانت بعض القبائل تخضع خضوعًا تاماً لملوك الفرس كقبيلة إياد.

وفى الباب الثانى تحدثت عن العلاقات المتبادلة بين العرب والفرس وآثارها فى الشعر الجاهلى، وقد وجدت العلاقات السياسية تتصدر الحديث فى هذا الباب فتحدثت عن هذه العلاقات بالتفصيل، وقد تمثلت فى معرفة العرب عن طريق اتصالهم بالفرس لوسائل البريد وقد ذكرت الأشعار التى أثبتت معرفة العرب لهذه الوسائل.

كما تحدثت عن الوسائل الحربية التى عرفها العرب نتيجة لاحتكاكهم بالفرس كإقامة التحصينات والموانع الحربية ومعرفة أدوات الحرب الفارسية كالدروع والنشاب وغيرها، ومعرفتهم أيضا للأساليب الحربية فى تنظيم الجيوش وإعدادها فى كتائب. وقد تحدثت عن جيش النعمان والكتائب التى كان يتألف منها، وعن جوهر العلاقة السياسية بين عرب الغساسنة وعرب الحيرة التى كان سببها هذا النزاع القائم بين الروم والفرس. وأوضحت أيضا موقف العرب تجاه الفرس فى حروبهم ضد الروم أو الغساسنة، وموقف العرب مع الفرس أنفسهم فى حروب قامت بينهم كيوم الصفقة الذى كان لكسرى على بنى تميم ويوم ذى قار الذى اتحدت فيه معظم القبائل العربية لتقف فى وجه الفرس.

وخلصت من هذا الفصل إلى أن العرب استفادوا كثيراً من علاقتهم السياسية بالفرس فعرفوا عنهم أساليب المراسلة وأدوات الحرب وأساليبها وطرائقهم فى تنظيم الجيوش نتيجة لاحتكاكهم بهم، واشتراكهم فى الحروب معهم أو ضدهم، وعرضت فى هذا الفصل أيضا للأشعار الجاهلية التى تصور هذه العلاقة السياسية التى قامت بين العرب والفرس؛ لأن الشعر

الجـاهلى- كمـا نتـصوره- لايمكن أن ينـفصل عن الجـو السـياسى والحـالة السياسية القائمة، فعرضت لهذه الأشعار التى من خلالها استنبطت أن الشعر وثيق الصلة بالحـياة مـرتبط بمختلف جـوانبهـا، ولايتوقف عند التـعبـير عن شخصية الشاعر فقط، فقد عـرضت لأشعار جاهلية تنم عن أغراض سياسية بحتة كقصيدة لقيط بن يعمر الإيادى، والأشعار التى قالها الأعشى وغيره فى موقعة ذى قار، والتى استنهضت همـم العرب وحثتهم على الاتحاد وترك ما بينهم من خلافات، وعبرت تعبيراً صـادقاً عن بداية ظهور ما يمكن أن نسميه (بالقومية العربية) التى اختفى وجودها قبل هزيمة الفرس فى ذى قار.

أما فى الفصل الثانى من هذا الباب فقـد تحدثت عن العلاقات الاقتصادية وممارسـة بعض العرب لحـرفتى الزراعـة والصناعة، واسـتنتجت مـن خلال البحث فى الأشعار الجـاهلية التى وصلت إلينا أن أكثر العرب كـانوا يتأففون من القيـام بالأعمال مثل الزراعـة والحرف الأخرى، ومن ثم كـان عليهم أن يستقدمـوا من يقوم بهذه الأعمال فجلبوا إلى بلادهم أعداداً كـبيرة من الرقيق المستورد من بلاد العجم للقيام بهذه الأعمـال واستوطنوا البلاد وأقاموا فيها، ومن ثم أصبحوا منـفذا من المنافذ التى عبرت من خلالهـا المؤثرات الفارسية للجزيرة العربية.

وتحدثت عن اشـتغـال أكثر العـرب بالتجـارة ومدى ازدهار هذه الحـرفة ومسـاهمة الفرس فى توسـيع نطاقهـا واتجارهم مع العرب وإرسـال قوافلهم التجارية إلى بلاد العرب، ومحاولة استرضائهم بعض رؤساء القبائل محافظة على مرور قـوافلهم بأرضهم حتى تصل إلى المكان المحـدد لها دون أن تنهب أو تسلب.

وتحدثت أيضا عن مـوقف العرب من قوافل ملوك الفـرس وملوك الحيرة، التى تعرضت فى معظم الأحيـان إلى السلب والنهب الذى أسفر عن حروب

دموية قامت بين الفرس والعرب أو ملوك الحيرة وغيرهم من العرب كيوم الصفقة ويوم الفجار.

وتحدثت أيضا عن الأسواق التجارية التى غمرت الجزيرة العربية وقام الفرس على أمر بعضها، واحتكارهم لبعض الطرق البرية والبحرية ومنافستهم للروم وخاصة فى العقد الأخير من القرن السادس.

وتحدثت أيضا عن عملات الفرس التى استخدمها العرب وجبايتهم هم وملوك الحيرة للضرائب فى الأسواق والموانئ .

وخلصت من ذلك إلى أن الفرس ساهموا فى ازدهار التجارة وعملوا على تنشيطها لما كانت تدره عليهم من أرباح طائلة، لذلك نراهم سعوا فى الاستيلاء على اليمن؛ لأنها طريق من طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

وفى الفصل الثالث من هذا الباب تحدثت عن العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرس كما صورها الشعر الجاهلى، فتحدثت عن طبقات المجتمع الجاهلى ووفود بعض العرب إلى بلاد الفرس، ونقل العادات والتقاليد الفارسية إلى بلاد العرب، وتحدثت عن الردافة باعتبارها منزلة ودرجة اجتماعية هامة، وعن عادات ملوك الحيرة فى يومى البؤس والنعيم، وفى جلب الشعراء إلى بلاطهم وازدهار الشعر في الحيْرة آنذاك، والنتائج التى وصلت إليها فى هذا الفصل تتمثل فى ازدهار الحياة الاجتماعية فى عصر ما قبل الإسلام ازدهاراً كبيراً وخاصة فى المناطق الحضارية التى ظهر فيها التكتل والتجمع وبعدت الشقة بينها وبين البداوة، وأثبت فى هذا الفصل من الأشعار الجاهلية ما يصور لنا هذا الدور الذى قام به الفرس وملوك الحيرة فى ازدهار الجوانب الاجتماعية. وهذه الأشعار- كما رأينا- تنم عن ارتباط الشعر

بالحياة وبالبيئة وبشخصية أصــحابه وأوضحت لنا الفروق الاجتماعية بين أهل الحضر وأهل البداوة.

وفى الباب الثـالث تحدثت عن أثر الثقـافة الفارسـية فى الشعـر الجاهلى فـتحـدثت فى الفصـل الأول عن التأثيـر الفكرى من حـيث إلمام الشعـراء بالثـقافـات المختلفـة التى ظهر أثرها واضـحاً فى أشـعارهم ، كظهـور فن الاعتذار عـند النابغة واختلاف أسـاليبه وألفاظه وصـوره ومعانيه عن أشـعاره الأخرى التى قالها في أغراض قبلية أو بدوية، كذلك عرضت لأسلوب عدى ابن زيد فى شعره والظواهر الفنيـة الجديدة التى استخدمهـا عدى وأمثاله من الشعراء المثقفين الذين اتصلوا بغيرهم من الأمم وقرأوا الكتب كذكرهم للأمم الماضـية وقـصص الذين بادوا لاسـتـخلاص العـبـرة والموعظة، وغلب على شـعرهم الـطابع الدينى التـعليمـي الذى يتضـمن مـعنى الزهد والحكمـة، وعرضت لكثير من شعر الأعـشى؛ لأوضح أثر اختلاطه بالأعاجم من حيث اختـلاف موضوعاته الشـعرية ورقة أسلوبه وتحـضره وما دخل فى شـعره من ألفاظ فارسية. وتحدثت أيضا عن أثر الـفرس فى خيال الشعراء وأثرهم أيضا فى لغة الشعر وألفـاظه وما دخل إلى العربية من ألفاظ فارسية. فـأثر الثقافة الفارسية يظهر بوضوح فى هذا الفصل حيث نجد أثر الفرس فى الموضوعات الشعرية والألفاظ والصور والمعانى والأخيلة.

ثم نمضى للفصل الثـانى فقد تحدثت فيـه عن التأثير الحضـاري فى الشعر الجاهلى فعرضت لذكـر المبانى العربية ووصفها في الشـعر الجاهلى وعرضت أيضا لمجالس اللهو والشراب والغناء، ومظاهر التـرف والحضارة التى عاشها العرب الذين ارتبطوا بالفرس ارتبطاً وثيقاً، ولم يغفل الشعر الجاهلى تصوير هذا الجانب الحضـارى فقد أسهب الجـاهليون فى وصفه وتوضـيح جزئياته، واستنتجت من ذلك أن الشـعر الجاهلى لم يقف عند حياة الصـحراء والبادية

ليصورها، بل انتقل إلى حياة الحاضرة ليصور مظاهر الترف والحضارة التى كان يعيشها عرب الحواضر متأثرين بغيرهم من الأمم كالفرس والروم، حتى إننا نستطيع أن نلمس هذه الظواهر الحضارية ليس فيما يصوره الشعر فقط بل في الشعر نفسه في ألفاظه وصوره ومعانيه.

ونمضى إلى نهاية البحث بالفصل الثالث حيث تحدثت عن التأثير الدينى وعن ديانة الفرس وهى المجوسية، وحاولت أن أوضح أثر هذه الديانة فى العرب عن طريق المصادر التاريخية والأشعار، ويبدو أن صورة هذا التأثير باهتة بسبب إهمال الرواة لكثير من الشعر الجاهلى الذى يصور حياة العرب الدينية. وكل مانستطيع استنباطه فى هذا الفصل هو اهتمام العرب وتقديسهم لهذه النيران العديدة التى قد تتشابه أحياناً مع عبادة المجوس للنار، وإن كان هذا الاهتمام والتعظيم جاءهم عن طريق الفرس، وإن كانت بيوت النيران انتشرت فى أنحاء عديدة من جزيرة العرب، إلا أن الباحث لايمكن أن يجزم بأن العرب عبدوا النيران وأقاموا لها البيوت ووضعوا لها السدنة كما كان يفعل الفرس.

ونحن لانستطيع أن ننفى هذا أيضا فقد تسعفنا الأيام بظهور آثار أو أدلة تثبت ذلك وتحققه.

وبعد: فهذه دراسة متواضعة لعلى أكون قد وفقت فى أن أجلو صفحة من تاريخ الأمة العربية من خلال أشعارها، وحسبي ما قدمت من جهد في هذا السبيل، والله من وراء القصد.

* * *

ثبت

المصادر والمراجع

ثبت المصـــادر والمـــــراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر والمراجع العربية.

١- أحسن التقاسيم فى معرفـة الأقاليم- ابن البشارى المعروف بالمقدسى، الطبـعة الثانيـة - طبع فى مدينـة ليدن المحروسـة بمطبعـة بريل- سنة ١٩٠٩ م ، و أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.

٢- أدب البحر. تأليف أحـمد محمد عطية- طبعـة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨١م.

٣- الأزمنة والأمكنة- تأليف: الشيخ أبى على المرزوقى الأصـفهاني الجزء الأول- الطبعـة الأولى بمطبعة مجلس دائـرة المعارف الكائنة في الهند بمحروسة حيدر أباد الدكن ١٣٢٢هـ.

٤- الأساطير العـربية قبل الإسلام. د/محمـد عبدالمعيد خـان طبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٣٧م.

٥- الأساطير- دراسة حضارية مقارنة. د/أحمد كمال زكى الطبعة الأولى ١٩٧٥م مكتبة الشباب.

٦- أسماء المغـتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام وأسـماء من قتل من الشعـراء لأبى جعـفر محـمد بن حبـيب ت- ٢٤٥هـ من نوادر المخطوطات- الجـزء الثـانى- الطبـعـة الأولـى ١٩٥٤م- تحـقـيق عبدالسلام هارون- لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٧- الأشـباه والـنظائر. فى أشـعار المتـقـدمين والجـاهلية والمخـضـرمين للخالديين : أبى بكر مـحمـد- ت٣٨٠هـ، وأبى عثـمان سـعيـد- ت٣٩٠-٣٩١هـ ابنى هاشم- حـققـه وعلق عليه د/السـيد مـحمـد يوسف- طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م.

٨- إصلاح المنطق- لابن السكيت- شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر- جزءان في مجلد واحد. (د.ت)

٩- الأصمعيات اختيار أبي سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك١٢٢-٢١٦هـ. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون- الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر-١٩٧٦م.

١٠- الأصنام: لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- تحقيق: الأستاذ/ أحمد زكي باشا. الطبعة الثانية- دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م.

١١- الأصول الفنية للشعر الجاهلي: د/ سعد إسماعيل شلبي- الطبعة الثانية- مكتبة غريب-١٩٨٢م.

١٢- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني- الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د.ت)

١٣- الألفاظ الفارسية المعربة- تأليف السيد أدى شير- ط المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- سنة ١٩٠٨م.

١٤- الأمالي الشجرية: إملاء ضياء الدين أبي السعادات هبة الله على بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري- ت بالكرخ ٥٤٢هـ. الطبعة الأولى في مطبعة دائرة المعارف العثمانية: حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٩هـ.

١٥- أمثال العرب: للمفضل الضبي- الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م مطبعة التقدم.

١٦- أيام العرب في الجاهلية: تأليف/ محمد أحمد جاد المولى وآخرين- دار إحياء الكتب العربية- طبعة عيسى الحلبي. (د.ت)

١٧- البدء والتاريخ تأليف/ مطهر بن طاهر المقدسى- شالون بمطبعة برطروند ١٩٠٣.

١٨- البرصان والعرجان والعميان والحولان/ تأليف أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(١٥٠-٢٥٥م)- تحقيق محمد مرسى الخولى طبعة دار الاعتصام- القاهرة- بيروت ١٣٩٢-١٩٧٢م.

١٩- بلدان الخلافة الشرقية- تأليف:كى لسترنج- نقله وعلق عليه بشير فرنسيس وكوركيس عواد- مطبوعات المجمع العلمى العراقى- مطبعة الرابطة- بغداد- ١٣٧٣هـ-١٩٧٤م.

٢٠- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب تأليف/ السيد محمود شكرى الألوسى ثلاثة أجزاء- الطبعة الأولى- مطبعة دار السلام-١٣١٤هـ.

٢١- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس. تأليف الإمام أبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى ٣٦٨-٤٦٣هـ. تحقيق/ محمد مرسى الخولى. مراجعة الدكتور/ عبدالقادر القط- الدار المصرية للتأليف والترجمة جـ١، جـ٢ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.(د.ت)

٢٢- التاج فى أخلاق الملوك المنسوب لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ- حققه وقدم له فوزى عطوى- الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٧٠م.

٢٣- تاريخ أبى الفدا (المختصر فى أخبار البشر) تأليف/ عماد الدين إسماعيل أبى الفدا- صاحب حماة ت- ٧٣٢هـ الطبعة الأولى- بالمطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٥هـ.

٢٤- تاريخ بغـداد للحافظ- أبى بكر أحـمد بن على الخطيب البـغدادى ت٤٦٣هـ- دار الكتاب العربى- بيروت- لبنان.(د.ت)
٢٥- تاريخ الأدب العـربى تأليف: كارل بروكلمـان- الترجـمة العـربية- الطبعة الرابعة- دار المعارف بمصر١٩٧٧م.
٢٦- تاريخ الأدب العربى- العـصر الجاهـلى- د/شوقى ضيف- الطبـعة العاشرة- دار المعارف- ١٩٨٢م.
٢٧- تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفـر محمد بن جرير الطبـرى تحقيق: محـمد أبو الفضل ابراهيم- الطبـعة الرابعة- دارالمعـارف بالقاهرة ١٩٧٩م.
٢٨- تاريخ سنى مـلوك الأرض والأنبـيـاء تأليف/ حــمـزة بن الحـسن الأصفهـانى- طبعة دار مكتـبة الحياة- بيروت ١٩٦١م. عـن طبعة كـاويانى فى برلين- المأخوذة عن الأصـل الذى حقـقه المسـتشـرق الألمانى جوتوالد فى ليسبك.
٢٩- تاريخ الشعـر السيـاسى إلى منتصف القـرن الثانى تأليف الأسـتاذ/ أحمد الشايب- الطبعة الخامسة- مكتبة النهضة المصرية(د.ت).
٣٠- تاريخ العرب (مطول) بقلم/ فيليب حتى وآخرين- الطبعة الثالثة دار الكشاف- بيروت- ١٩٥٨م.
٣١- تاريخ العرب العام تأليف: ل.أ. سيـديو (لويس أميلى سيديو) نقله إلى العربية- عـادل زعيتر- الطبعة الثانـية ١٩٦٩م-١٣٨٩هـ طبعة عيس البابى الحلبى.
٣٢- تاريخ العلم ودور العلمـاء العرب فى تقـدمه د/عـبدالحليم منتـصر الطبعة السادسة- دار المعارف١٩٧٥م.

٣٣- تاريخ اليعقوبى تأليف: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى- طبعة ليدن- مطبعة بريل ١٩٦٩م.

٣٤- التمثيل والمحاضرة تأليف أبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى- ٣٥٠هـ- ٤٢٩هـ. تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو القاهرة- ١٣٨١هـ ١٩٦١م. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى.

٣٥- تيارات ثقافية بين العرب والفرس د/ أحمد الحوفى- دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة- ١٩٦٨م.

٣٦- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب. تأليف: أبى منصور عبدالملك ابن محمد بن اسماعيل الثعالبى، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم- دار نهضة مصر للطبع والنشر. ١٣٨٤-١٩٦٥م.

٣٧- الجبال والأمكنة والمياه تصنيف: أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ت٥٣٨هـ. حققه وعلق عليه: السيد محمد صادق. المطبعة الحيدرية- نجف- عراق (د.ت).

٣٨- جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام تأليف: أبى زيد محمد ابن الخطاب القرشى- حققه: على محمد البجاوى- الطبعة الأولى- دار نهضة مصر بالقاهرة (د.ت).

٣٩- جمهرة الأمثال تأليف: أبى هلال حسن بن عبدالله بن سهل العسكرى- ت٣٩٥- طبعة بمباى- ملك الكتاب١٣٠٧هـ.

٤٠- جمهرة أنساب العرب: لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى- ٣٨٤-٤٥٦هـ تحقيق/ عبدالسلام هارون دار المعارف بمصر- الطبعة الرابعة (د.ت).

٤١- حديث الأربعاء: تأليف: د/ طـه حسين- الطبعة الثانيـة عشرة- دار المعارف بمصر (د.ت).
٤٢- حضـارة العرب: تأليف: غوسـتاف لوبون- نقله إلى العربيـة عادل زعيتر طبعة عيسى البابى الحلبى١٩٦٩م.
٤٣- حضارة العرب تأليف: د/ مصطفى الرافـعى الطبعة الثالثة ١٩٨١م- دار الكتاب اللبنانى - بيروت.
٤٤- الحماسـة: تأليف: ضياء الدين أبى السعـادات هبة الله بن على بن محـمد بن حـمزة العلوى الحـسنى المعروف بابن الشـجرى طبـعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة بحيدر أباد الدكن١٣٤٥هـ.
٤٥- الحماسة: لأبى عـبادة البحترى- ضبطه وعلق عليـه- كمال مصطفى الطبعة الأولى- ١٩٢٩م- المطبعة الرحمانية بمصر.
٤٦- الحماسة البصرية: تأليف: صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى ت: ٦٥٦هـ تحقيق/ عادل سليمـان جمال طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامى- القاهرة- ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٤٧- الحياة العـربية من الشعر الجـاهلى: تأليف: د/ أحمد الحوفى الـطبعة الخامسة- دار نهضة مصر- القاهرة١٩٧٢م.
٤٨- الحيوان: تأليف أبى عثمـان عمرو بن بحر الجاحظ- ١٥٠-٢٥٥هـ تحقـيق وشرح: عبـدالسلام هارون الطبـعة الثانيـة بمطبعـة مصطفى البابى الحلبى بمصر-١٩٦٥م.
٤٩- خزانة الأدب ولب لـباب لسان العـرب: تأليف: عبـد القادر عـمر البغدادى ١٠٣٠-١٠٩٣هـ- تحقيق وشرح: عبـدالسلام هارون- دار الكتاب العربى للطباعة والنشر١٩٦٧م.

٥٠- دراسات في تاريخ العـرب- عصـر ماقبل الإسـلام- الجزء الأول- تأليف: د/السيد عبدالعزيز سالم. دار المعارف- القاهرة١٩٦٧م.

٥١- دراسـات فى تاريخ العرب- تاريخ الدولـة العربيـة. الجزء الثـاني تأليف: د/السيـد عبدالعزيز سـالم. طبعة مؤسـسة شباب الجـامعة (د.ت).

٥٢- دراسات في الشـعر العربى- تحليل لظواهر أدبية وشـعراء- تأليف/ د. محمد مصطفى هدارة. طبعة دار المعرفة الجامعية١٩٨٢م.

٥٣- ديوان الأعشى الكبـير ميـمون بن قيـس- شرح وتعليق: د/محـمد محمد حسين. الطبعة السابعة- ١٤٠٣هـ:١٩٨٣م مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٤- ديوان امرئ الـقيس تحقـيق: محـمد أبو الفـضل إبراهيم. الطبـعة الرابعة- دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

٥٥- ديوان أميـة بن أبى الصلت. جمع وتحقـيق ودراسة: د/عبدالحـفيظ السطلى. المطبعة التعاونية بدمشق-١٩٧٤م.

٥٦- ديوان أوس بن حـجر. تحـقيق: د/ مـحمـد يوسف نجم. الطبعـة الثالثة- دار صادر بيروت- ١٩٧٩م.

٥٧- ديوان حاتم الطائى. دراسة وتحقيق: د/عادل سليمان جمال. مطبعة المدنى بالقاهرة (د.ت).

٥٨- ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: د/سيد حنفى. دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م.

٥٩- ديوان حمـيد بن ثور الهلالى. تحـقيق: عبـدالعزيز الميمنى. نسـخة مـصورة عن طبـعة دار الكتب ١٣٧١هـ ١٩٥١م. الدار القـوميـة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥م.

٦٠- ديوان زهيـر بن أبى سلمى. نسخـة مصـورة عن طبعـة دار الكتب ١٣٦٣هـ ١٩٤٤م. الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.

٦١- ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس. تحـقيق: عبدالعزيز الميمنى. نسخة مصـورة عن مطبعة دار الكتب ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م. الدار القومـية للطباعة والنشر.

٦٢- ديوان الشمـاخ بن ضرار الذبيانـى تحقيق: د/ صـلاح الدين الهادى طبعة دار المعارف- القاهرة١٩٧٧م.

٦٣- ديوان طرفة بن العـبد. تحقـيق وتحليل ونقد: د/ على الجندى مكتـبة الأنجلو المصرية (د.ت).

٦٤- ديوان قـيس بن الخطيم. تحـقيق وتعليـق: د/ ناصر الدين الأسـد. الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

٦٥- ديوان عـبيـد بن الأبرص تحقـيق وشـرح: د/ حسين نصـار الطبعـة الأولى- مطبعـة ومكتبة مصطفى البـابى الحلبي. القاهرة ١٣٧٧هـ: ١٩٥٧م.

٦٦- ديوان عدى بن زيد العـبادى حققه وجـمعه: محـمد جبار المعـيبد. بغداد- الثقافة والإرشاد ١٩٦٥م.

٦٧- ديوان لبيد بن ربيعة العامرى تحـقيق الدكتور/ إحسان عباس. وزارة الإرشاد- الكويت- ١٩٦٢م.

٦٨- ديوان لقيط بن يعـمر تحقيق وتعليق وتقـديم: خليل إبراهيم العطية. بغداد- مديرية الثقافة-١٩٧٠م.

٦٩- ديوان النابغـة الذبيانى: تحـقيـق: محـمد أبو الفـضل ابراهيم. دار المعارف بمصر١٩٧٧م.

٧٠- ديوان الهـــذليين. طبـــعـــة دار الكتب المـصــرية- بالـقـــاهرة ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

٧١- رسالـة الغفران: لأبـى العلاء المعـرى- تحقـيق وشرح: د/ عائـشة عـبـدالرحـمن(بنت الشـاطـئ)- الطبـعـة السـابعـة دار المعـارف بمصر ١٩٨١م.

٧٢- زهر الآداب وثمـر الألبـــاب تأليف: أبى إسـحق إبراهـيم بن على الحصرى القيروانى ت: ٤٥٣هـ شرح د/ زكى مبارك تحقيق: محمد مـحيى الدين عـبدالحـميـد- الطبعـة الرابعة ١٩٧٢م- دار الجـيل بيروت.

٧٣- سياست نامـة: تأليف: نظام الملك الطوسى ترجمة وتعليـق: السيد محمد العزاوى- دار الرائد العربى١٩٧٥م.

٧٤- السيرة النبوية: لابن هشام أبى محـمد عبدالملك بن هشام المعافرى. ت: ٢١٣هـ تحقيق: د/ محـمد فهمى السرجانى طبعة دار التـوفيقية بالأزهر (د.ت).

٧٥- شـرح القصـائد السـبع الطوال الجاهليـات- لأبى بكر مـحمـد بن القـاسم الأنبارى ٢٧١-٣٢٨هـ تحـقيق: عـبدالسـلام هارون. دار المعارف ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م الطبعة الرابعة.

٧٦- شرح المعلقـات السبع: لأبى عبـدالله الحسين بن أحمـد بن الحسين الزوزنى. ت:٤٦٨هـ. دار الاتحاد العربى للطباعة١٣٨٧هـ: ١٩٦٧.

٧٧- الشعر العـربى فى القرن الثانى الهجرى- تأليف د/ محـمد مصطفى هدارة- دار المعارف- ١٩٧٨م.

٧٨- الشعر العربى من الجاهلية حـتى نهاية القرن الأول الهجرى. تأليف د/ مـصـطفى هدارة- الطبـــعـــة الأولى- دار المعـــارف ١٤٠١هـ: ١٩٨١م.

٧٩- شعراء النصرانية: جمعه وصححه: لويس شيخو اليسوعى مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت-١٨٩٠م.

٨٠- الشعر والشعراء: لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ٢١٣-٢٧٦هـ تحقيق: أحمد محمد شاكر. طبعة دار المعارف بمصر١٩٨٢م.

٨١- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل. تأليف: شهاب الدين أحمد الخفاجى. عنى بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعسانى. الطبعة الأولى- مطبعة السعادة بمصر- ١٣٢٥هـ.

٨٢- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها. لأبي الحسين أحمد ابن فارس. تحقيق: مصطفى الشويمى- طبعة مؤسسة أ.بدران بيروت- لبنان- ١٣٨٢هـ-١٩٦٤م.

٨٣- طبقات الشعراء: لابن المعتز. تحقيق: عبدالسلام أحمد فراج- الطبعة الثالثة. دار المعارف بمصر١٩٧٦م.

٨٤- طبقات فحول الشعراء : تأليف: محمد بن سلام الجمحى ١٣٩-٢٣١هـ قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر مطبعة المدنى بالقاهرة- ١٩٧٤م.

٨٥- العصا: تأليف: أسامة بن منقذ.٤٨٨-٥٨٤هـ تحقيق: حسن عباس. الهيئة المصرية العامة للكتاب - الأسكندرية- ١٩٨١م.

٨٦- العقد الفريد: تأليف: أبى عمر محمد بن عبد ربه الأندلسى شرحه وضبطه وصححه: أحمد أمين وآخرون. طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

٨٧- علاقة أمراء الحيرة بعرب شبه الجزيرة كما يصورها الشعر: تأليف د/ أحمد محمد النجار. دار النهضة العربية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٨٨- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده. تأليف: أبى على الحسن بن رشيق القيروانى ٣٩٠-٤٥٦هـ. تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد- الطبعة الرابعة دار الجيل- بيروت- لبنان- ١٩٧٢م.

٨٩- فحولة الشعراء: تأليف: أبى سعيد الأصمعى تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجى وطه محمد الزينى الطبعة الأولى ـ المطبعة المنيرية بالأزهر ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م

٩٠ ـ فى الأدب الجاهلى: تأليف: د/ طه حسين الطبعة الرابعة عشرة ـ دار المعارف ـ بالقاهرة (د - ت).

٩١ ـ فى الرد على ابن غرسية (رسالة): لأبى الطيب بن منّ الله القروى ـ الجزء الأول من نوادر/ المخطوطات ـ بتحقيق عبدالسلام هارون ـ الطبعة الثانية ـ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ ١٩٧٢م.

٩٢ ـ قصة الحضارة: تأليف: ول وايريل ديوارنت الترجمة العربية ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (د - ت).

٩٣ ـ القيان والغناء فى العصر الجاهلى. تأليف د/ ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٩٤ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير - تصوير دار صادر بيروت ١٩٦٥م. عن نسخة الطبعة الأوربية لسنة ١٨٦٧م. باشراف المستشرق كارلوس يوهنس تورنبرغ.

٩٥ ـ كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه لأبى جعفر بن محمد بن حبيب الجزء الثانى ـ من نوادر المخطوطات. تحقيق عبدالسلام هارون ـ الطبعة الأولى. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤م.

٩٦ ـ لسان العرب: لابن منظور. بإشراف مجموعة من المحققين. طبعة دار المعارف (د.ت).
٩٧ ـ لطائف المعارف تأليف: أبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى. تحقيق: إبراهيم الإبيارى، حسن كامل الصيرفى. طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى بمصر ١٩٦٠م.
٩٨ ـ مجاز القرآن تأليف أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى ت: ٢١٠هـ ـ تعليق وتحقيق: د/ محمد فؤاد سزكين. مكتبة الخانجى بمصر (د.ت).
٩٩ ـ مجالس ثعلب: لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ٢٠٠ ـ ٢٩١هـ. تحقيق: عبدالسلام هارون ـ الطبعة الثالثة. دار المعارف بمصر. (د - ت)
١٠٠ ـ مجالس العلماء: لأبى القاسم عبدالرحمن بن إسحق الزجاجى ت: ٣٤٠ هـ ـ تحقيق: عبدالسلام هارون. الكويت ـ ١٩٦٢م.
١٠١ ـ مجمع الأمثال: لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسايورى الميدانى ـ منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت ـ ١٩٦١م.
١٠٢ ـ المحبر: لأبى جعفر محمد بن حبيب ت: ٢٤٥هـ تصحيح الدكتورة/ إيلزة ليختن شتيتر. المكتب التجارى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ (د.ت).
١٠٣ ـ مختار الشعر الجاهلى: شرح وتحقيق: د/ مصطفى السقا الطبعة الرابعة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٩٧١م.
١٠٤ ـ مختارات شعراء العرب: لهبة الله بن على أبى السعادات العلوى

المعروف بابن الشجـري. تحقيق: على محمد البـجاوى ـ طبعة دار نهضة مصر القاهرة. (د - ت)

١٠٥ ـ المرأة فى الشعر الجاهلى: د/ أحمد الحوفي. طبعة دار نهضة مصر ١٩٥٤م.

١٠٦ ـ مروج الذهب ومـعادن الجوهر: لأبى الحـسن على بن الحسين بن على المسـعـودى ت: ٣٤٦هـ ـ تحـقـيق: محـمـد مـحـيى الدين عبدالحميد. الطبعة الرابعة ـ دار السعادة بمصر ١٩٦٤م.

١٠٧ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمـتها التاريخية: د/ ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثالثة. دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

١٠٨ ـ المعارف: لأبى محمد عبدالله بن مـسلم بن قتيبة تحقيق: د/ ثروت عكاشة ـ الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ـ ١٩٨١م.

١٠٩ ـ المعانى الكبير فى أبيات المعانى: لأبى مـحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٩٤٩م.

١١٠ ـ مـعجـم البلدان: تأليف: ياقـوت بن عـبدالله الحـمـوى الرومى البغدادى. طبعة ـ دار صادر ـ بيروت (د.ت).

١١١ ـ المعرب من الكلام الأعـجمى على حروف المعـجم. لأبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى ٤٦٥ ـ ٥٤٠هـ. تحقيق: أحمـد محمـد شاكـر ـ أعيد طبـعه بالأوفـست فى طهران ١٩٦٦م ـ عن طبعة دار الكتب المصرية.

١١٢ ـ المعـمرون والوصـايا: لأبى حـاتم السجـسـتـانى ٢٥٠هـ ـ ٨٦٤م تحقيق: عبدالمنعم عامر ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى بمصر ١٩٦١م.

١١٣ ـ المفـصل فى تاريخ العرب قـبل الإسلام. د/ جـواد على الطبـعة الثانية والثالثة ١٩٧٦ وما بعدها دار العلم للملايين ـ بيروت ـ مكتبة النهضة ـ بغداد.

١١٤ ـ المفضليـات: للمفضل بن مـحمد بن يعلى الضـبى تحقيق: أحـمد محمد شـاكر وعبدالسلام هارون الطبعة الثـالثة ـ دار المعارف بمصر (د.ت).

١١٥ ـ الملل والنحل: لأبى الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى ٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ.دار المعرفة للطبـاعة والنشر - بيروت لبنان. تحقيق محمد سيد كيلانى (د.ت).

١١٦ ـ موسوعة تاريخ العالم: وليم لانجر ـ الترجمة العربية مكتبة النهضة المصرية (د.ت).

١١٧ ـ النابغة الذبيانى: ـ د/ محمد زكى العشماوى. الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

١١٨ ـ كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيـمى ـ ت ٢٠٩هـ اعتناء المستـشرق الإنجليزى: بيـفان. طبع فى مدينة ليدن ـ مطبعة بريل. جـ١ : ١٩٠٥م. جـ٢: ١٩٠٧م.

١١٩ ـ نهـاية الأرب نى فنون الأدب: تأليف شـهـاب الدين أحـمـد بن عبدالوهاب النويرى ٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ. نسخـة مصورة عن طبعة دار الكتب. المؤسـسة المصـرية العـامة للتـأليف والتـرجمـة والطباعـة والنشر. (د.ت).

١٢٠ ـ نهـاية الأرب فى معـرفة أنسـاب العـرب:ـ لأبى العبـاس أحمـد القلقـشندى ٧٥٦ ـ ٨٢١هـ ـ تحقـيق: إبراهيم الإبيـارى ـ الطبعـة

الثـانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م دار الكتـب الإسلامـية ـ دار الكتـاب المصرى ـ بالقاهرة دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت.

١٢١ ـ كتاب النيروز. لأبى الحسين أحمد بن فارس. ت: ٣٩٥ ـ الجزء الثانى: من نوادر المخطوطات تحـقيق: عبدالسلام هـارون ـ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤م.

ثانيا: الرسائل العلمية.

١٢٢ ـ شعر إياد فى الجـاهلية ـ رسالة ماجـستير (لم تنشر) إعـداد أحمد سامى زكى منصور ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا ١٩٨٧.

ثالثا: الدوريات العربية.

١٢٣ ـ مـجلة كلية الآداب ـ جـامعـة الأسكندرية ـ المجلد الثـامن عشـر ١٩٦٤م.

طبعة جامعة الاسكندرية ـ دورية رقم ٤٣/٤٧

رابعاً : المراجع الأجنبية .

124 - Aliterary History of Arabs: By Reynold A, Nickolson, London 1914.

125 - Aliterary History of Persia: By, Edward G. Browne, London and Leipsic 1909.

126 - Arabic Literature An Introduction: By H.H.R. GIBB. Oxford - At the charendon Press.

Reprinted 1970. Second Revised Edition.

127 - Les Arabes En Syrie: A (Monsieur) Hennry Roujon (Dussaud Rene) Paris Ernest Leroux, (VI) 1907.

****

فهـــرست المــــوضــــوعات

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

****